اللغة والكلام

أبحاث في التداخل والتقريب

الدكتور
أحمد كشك
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الناشر: مكتبة النهضة المصرية

اللغة والكلام

أبحاث في التداخل والتعريب

الدكتور
أحمد كشك
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الناشر: مكتبة النهضة المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

حين ألف هذا الكتاب طريق الكلام ويبحث عن موقع وعن سياق خلط الحابل بالنابل لعل في أمر الخلطة داخل حدود الكلام ما يمنح اللغة بعض تفسير ؛ فالكلام كائن مركب معقد ، قانون عقل واختلاس قلب وحركة حياة ، ومن خلال هذا المركب جاءت أفكار البحث من خلال محاور ثلاثة :

المحور الأول يحاول لمّ أمر الكلام كي يصل من خلاله إلى بيان خبيئه الذي تنوء القاعدة أو اللغة بحمله ، ويتمنى جعل الكلام سبيلا واضحًا للوعي بالفصحى المنطوقة فصحى الاستعمال ، وقد تحرك هذا المحور من خلال بحث بعنوان « نحو الكلام لانحو اللغة » .

المحور الثاني يقف مع حركة اللغة التي بان أثرها في التقعيد ، وقد اعتمد هذا المحور على مقولة للباحث مفادها أن ما وقع ميسورا في الكلام أسلم إلى يسر في صوغ القاعدة والنظام ، وأن ما وقع صعبا غير مألوف أسلم إلى غربة في مسار القاعدة والنظام ، وقد تحرك هذا المحور من خلال بحث بعنوان « الممنوع من الصرف وغربة المسار » .

أمّا المحور الثالث والأخير فقد ارتضى المزاوجة بين كلام الفصحى والعامية مستأنسا بظل الفصحى الطاغي المسيطر ؛ حيث يرى أن إحكام الفصحى لايضيره تصور للعامية فإثبات العلاقة بينهما يتم لصالح الفصحى وللوصول إلى كسر الخلاف الحاد بينهما ؛ فالعامية تصلح تفسيرا ؛ أي وسيلة بينما الفصحى هي الغاية والمرام ؛ في هذا الإطار ظهر هذا المحور في بحث بعنوان « ذوق

العامية في إطار الفصحى ، مسلما أمره إلى رصيد من مفردات العامية وبعض تراكيبها ودرس هذا الرصيد في ضوء الفصحى .

أيها القارئ العزيز :

للكلام نضرته وبهاء إذا ما سلم له طريق في الفصحى لغة الحق والإمتاع ، فلا تخش أيها القارئ ولاتفزع من اتجاه الحديث إلى العامية أحيانا ما دام هذا الحديث موصولا بما في العربية من وعي وجمال .

أحمد كشك

مسقط في ٢٧/ ٥/ ١٩٩٥ م

نحو الكلام لا نحو اللغة

نحو الكلام لانحو اللغة

فى إطار مشكلة لغوية وحضارية نعيش الآن ابعادها يبدو الترخص اللغوى ظاهرة ويبدو اللحن واضحًا فى منتديات أساس الإبداع والابتكار والتعامل فيها مبنى على صواب الكلمة وجمالها .

وقريبًا من تصور منهج تعليمى يقوم على درء هذه المشكلة التى أصبحت خطراً يهدد بانهيار قدرتى التعامل والإبداع اللتين أصبحتا من خلال وسيط أجنبى أو عامى سبيلين لا فكاك للمتكلم منهما ، ولأن الخطأ يتضح أمره فى المنطوق الآن أكثر من المكتوب ، كان من المنطقى أن يكون للكلام النصيب الأوفى فى درء هذه المشكلة ، وكان للمعرفة اللغوية أن تتوارى أمام مهارة الكلام .

فى إطار هذا وقريبًا من ذاك يطرأ أمام كاتب هذه السطور سؤال يقول : اسرفنا فى نحو اللغة ناسين نحو الكلام ، اسرفنا فى ضبط مسار ما لايحتاج إلى تقدير وكونه أولى مما يحتاج ولايجتمع عاملان لمعمول واحد ونسينا حد منطوق لاتعرف عربيته الآن من عاميته ولا عروبته من عجمته .

فكيف نستطيع من خلال هذا النحو الأخير المسمى بنحو الكلام أن نتدارك خطر هذه المشكلة ونقوم برصد بعض حلول تمتزج فى زمان لاحتكام الآلة والجهاز المرئى فيه النصيب الأوفى الكبير ؟

فى هذه المداخلات التى تمثل جزءًا من حركة اللغة بعض من آثارة المشكلة وبعض من محاولة رؤية الطريق ، ومن آثار هذه الرؤية .

الفارق بين اللغة والكلام:

وهو فارق بين مفهومين يحكمان مسار اللغة ولكل منهما طريق يحسم هذا المسار فما هما حتى نعرف طريقنا الأيسر لفهم مشكلتنا والحل الأسرع لها ؟

في إطار مفهوم بدأت به الدراسات اللغوية المعاصرة سبيلها أدرك عالم اللغة السويسري دوسوسير أنّ هناك فارقا بيّنا بين مفهوم اللغة ومفهوم الكلام .

فاللغة مجموعة من العلامات المختزنة في حقل الجماعة المعينة ، هذه العلامات والقواعد المختزنه في الذهن لانطق لها ؛ لأن محورها جمعي ، وهي تشبه كما يرى دوسوسير - القاموس الذي توجد فيه الكلمات صامته غير منطوقة صالحة للنطق والاستعمال ، وهي تشبه كما يقول الدكتور تمام حسان السيموفونية التي تستقل حقيقتها استقلالا تامًا عن حركات العزف التي يقوم بها اللاعب على الآلة ؛ أي أن اللغة اشبه بنوتة موسيقية مكتوبة اختزنت فيها الايقاعات ويبقى على تمامها واكتمالها أن يعدّ لها العازفون الذين يقومون بتحقيقها ، ومن ثم ينتقل هذا الصامت المجرد المخزون إلى القرين الأخر المسمى بالكلام .

وهو أي الكلام نشاط إنساني واقعي ، وهو تحقيق فعلي حي لتلك الصورة المختزنة في ذهن الجماعة ، حيث يقوم به فرد من أفراد الجماعة محققا من خلاله نشاطا إنسانيا بالإمكان رصده والبحث فيه بما يكشف عن سمات نفسية واجتماعية وثقافية وحضارية .

هذا الكلام مجاله أرحب وأوسع من مجال اللغة فحيث تختزن اللغة في الذهن بعلاقة تجريد يبدو الكلام أمرًا مركبا ؛ لأنه بحاجة إلى جملة اطراف تثرى ابعاده فهو نوع من الدراما الشاملة التي تحتاج على الأقل إلى متكلم ومتلق ومشهد خاص وزمان ومكان ودلالات تكون مقصودة أو مرتجلة ؛ بمعنى آخر هو مسرح وإيقاع حياة .

إذا ما ضاق بنا المقال الآن وأضحت اللغة مطلبا وعزا ورغبة عسيرة قلنا أن نسأل : أمن الانصاف والحق أن نصون المجرد المخزون أم نتدافع عن حمى الواقع ؟ بمعنى آخر : أمن الوعى الآن أن نحمى اللغة أم نحمى الكلام ؟

فطنة المقعد العربي للفارق بين اللغة والكلام :

حين حاول القدامى تحديد مصطلح الكلام بدا أن التحديد الواقعى هو الأساس وهذا واضح فى نظم ابن مالك له بأنه لفظ مفيد ، فالتعبير بكلمة لفظ ليس تعبيراً عن مجرد بل تعبيراً عن ملفوظ منطوق .

وكلمة لفظ أى صوت تستعمل مصدراً لما يصوت فيكون مناهضا فعل الشخص الصائت وهو أمر مرتبط بالهواء فقد قيل : « الصوت الهواء المتكيف بالكيفية المسموعة » فالواقع من خلال هذا الفهم مرصود فى إطار الكلام حيث الهواء وانتقال الصوت واعتبار المسموع قيم حياة لاقيم تجريد .

وحين يطلق أمر الفائدة لدى ابن مالك مرتبطا بنموذج نطقى هو « استقم » فإن الإطلاق هنا توسيع لأمر الكلام ومداه فلتكن الفائدة قرينة الأصوات والبنية والدلالات معجمية ونحوية وسياقية وكل هذه الأمور تشكل مسرحا يتحقق به الاكتمال وتتم الفائدة .

وهذا التوسيع يوضحه الأشمونى بقوله : « يجوز فى قوله كاستقم أن يكون تمثيلا وهو الظاهر فإنه اقتصر فى شرح الكافية على ذلك فى حد الكلام ، ولم يقصد التركيب والقصد نظراً إلى أن الفائدة تستلزمهما - لكنه - أى ابن مالك - فى التسهيل صرح بهما » .

فالجملة التى يحسن السكوت عليها غير قابعة فى النموذج السابق فهى أرحب من ذلك وأثرى . ولأن الكلام سبيل حى للتعامل حيث إنه اداة التفاهم لا اللغة ، فإن الأشمونى يؤكد هذه الحقيقة إذ يقول :

« إنما بدأ بتعريف الكلام لأنه المقصود بالذات إذ يقع به التفاهم » ولعل هذا يفهم أيضًا من حديث ابن جني :

« أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه ، مفيد لمعناه وهو الذى يسميه النحويون الجمل ، نحو زيد أخوك ، وقام محمد ، وضرب سعيدٌ ، وفى الدار أبوك ، وصه ، ومه ، ورويد ، وحاء ، وعاء فى الأصوات ، وحسّ ولبّ وأوف واوه » .

وهى منطوقات كما نرى تراعى حق الفائدة فى سياقها ، ومن ثمّ حق لابن جنى أن يعبر عنها قائلا : « **فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام** » .

فجنى الثمرة نتيجة علاقة تتم من خلال طرفى المعادلة المتكلم والمتلقى دون فصم ومعلوم أنهما يتلقيان حدود كلام لا حدود قاعدة ونظام .

هذا المراد الواقعى للكلام أدركت العربية مرادا مخالفا له يساوى تمامًا مقصود اللغة كما فهمه دوسوسير حيث يبدو ذلك واضحًا من خلال قول الشاعر :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وهنا يكون الكلام فى العقل والفؤاد شيئًا مختزنا حبيسا لا ايقاع له إلا باللسان الذى يبعث ساكنه فيحيل ثباته حركة ويرده دفئا ووهجا .

فالكلام فى مراد الشاعر هو اللغة واللسان فى مراده الكلام ، وواقعية اللسان جعلت الشاعر العربى يرى اثره ظاهرا حين قال :

وجرح اللسان كجرح اليد

أى وجرح الكلام المنطوق المسموع لا المجرد الذهنى الصامت كجرح اليد .

هذا الكلام الذي نروم نحوه وغايته جمل متركبة في الحقيقة وقد دل عليه صاحب اللسان ابن منظور بقول كثير :

لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة ركعا وسجودا

ومعلوم أن الكلمة الواحدة لاتشجي ولاتحزن ولاتتملك قلب السامع وتاسر فكره وإنما ذلك فيما طال من الكلام وامتع سامعيه .

شجن وحزن وطول وامتلاك لقلب السامع كلها قيم تشكل دراما الموقف برمته وهي دراما لاتبين وتظهر إلا في مسرح ؛ أي إلا في حياة .

إن ما سبق من حديث للنحاة يثبت ارتكاز الحديث لديهم حول حد الكلام وقد ندر لديهم ظهور المفهوم الآخر له وهو اللغة التي اصبحت في الفؤاد لأنها تجريد واستبطان .

نحو الكلام غاية الفصحى :

الكلام محور الحياة وفيه قيم تعتمد على مسرح وسياق وظروف وملابسات لايمكن الوقوف بها عند حد استشهاد زمانيا أو مكانيا ، ومن خلال الوعي به وجعله هَمّ المتعلم والمتلقي والمتكلم تصبح الفصحى سليقة يملكها طالبها كاتبا ومؤديا ومنشدا ومذيعا وخطيبا دون اعتماد على حفظ جبرية يحترق من خلالها القانون والنظام .

بنحو الكلام - أي بالنحو المسموع المنطوق تظهر الصلة والمفارقة بين النظام والاستعمال حيث التعديل المستمر الذي يبعث بحق الندرة والشذوذ ، وله يعود إلى ترسيخ حق الكلمة المنطوقة المكتوبة المسموعة وجعلها غاية كمالية وجمالية حيث تاتلف بها واخواتها وتتلاحم جوانب الصحة والصلوبة والجمال .

بنحو الكلام تبدو المشاركة الشمولية اللغوية قائمة ؛ لأن حق النحو فيه

موصول سمعا ونطقا في الحين الواحد بحقوق أخرى تتآزر معه ؛ واعني حق الأصوات والصرف وحد المعجم وكذلك الدلالة ؛ على حين أن نحو اللغة نظام مخزون في ذهن الجمع لايختلط واديه بحقوق الفروع الأخرى .

نحو الكلام أعمق اذا في خدمته من نحو اللغة فهو استبطان لدور الكلمة ودلالتها في مجالاتها المتعددة ومن خلاله تميز خصوصية التعبير حيث يصبح الكلام أنماطا :

(أ) كلام الشعر .
(ب) كلام الرواية .
(جـ) كلام المسرحية .
(د) كلام للمحاضرات والندوات .
(هـ) كلام السياسة .
(و) كلام المكاتبات والاخوانيات .
(ز) كلام الدواوين والمصالح الحكومية .
(ح) كلام التلغراف والبرقيات .
(ط) كلام الإعلان .
(ى) كلام الإذاعة والتليفزيون ...
(ك) كلام الخطب الرسمية والمؤتمرات .

لمسارحه اللغوية أنماط وحالات ، وفيها يبدو رسوخ التعبير وإنسانيته وانفعاليته أمرا واضحًا ؛ لأن تقديما للخبر الحاصل في قولنا هنا القاهرة يساوي في مخزون العقل الجمعي - بمنطق القياس والتجريد - تراكيب عديدة منها « هنا شبرا » ، « هنا بولاق » ، « هنا العتبة » ، « هنا أمريكا » ، فالقياس الجمعي الذهني وهو قياس من حق اللغة يذهب بخصوصيته الأثر الوارد

المسموع من خلال قول للمذيع المفعم بالوجدان : هنا القاهرة ؟ حيث تضحى المكانية المقدمة بموقع قائلها وحبه ووطنيته مكانية قلب وإحساس وانتماء وزمان .

بعض دلالات في النحو من وادي الكلام لا اللغة :

في قيم النحو العربي إمكانات سياقية مبرجحة لاتفهم حق الفهم إلا من خلال الكلام من علم القيم وما أكثرها إذا ما استبطن الدارس أمرها .

(أ) أن يكون التنغيم وهو قيمة صوتية تعتمد على سبل متكاتفة كالطول والنبر والسكت والاسراع والعلو والانخفاض مفصحا عن دلالات نحوية تتحدد به .

لدى التراث قصة احتكمت فيها صحة النحو إلى الكلام والأداء لا إلى مفهوم النظام فقد ألقى هارون الرشيد بسؤال أمام النحاة حول صحة قول الشاعر :

لايكون العير مهرا   لايكون المهر مهرُ

وهنا انبرى الكسائي موظفا النطق لصالح النظام قائلا : أقوى الشاعر ، أى اخطأ نحويا إذ المفروض في كلمة (مهر) الأخيرة أن تنصب خبرا لكان فيكون المنطوق احتكاما لقاعدة النظام : لايكون المهر مهرا .

لم يتواءم هذا الفهم مع مراد الكلام ودلالة المقام ومن هنا خلع اليزيدى قلنسوته ورمى بها في الأرض وقال : أنا لها . أنا أبو محمد لها . والله ما اخطأ الشاعر وإنما أراد أن يقول : لايكون العير مهرا : لايكون . . . المهر مهر .

فجعل مساحة للوقف بعد يكون الثانية ، وهنا صلح النحو للكشف عن معنى الجملة حيث اصبحت جملة « المهر مهر » جملة مكونة من مبتدأ وخبر .

هكذا كانت القاعدة وليدة كلام ، أى أنها وظفت له ولم يوظف لها .

أن ما تنبئ عنه هذه القصة أن النحو من خلال الإفصاح عن الموقع الإعرابى كان معتمدا على طريقة نطق وأداء وكلام لا طريقة تجريد ونظام وهذا هو نحو الكلام .

من قبيل ما سبق من إيضاح طريقة النطق وإيجاد سكتة ما كان هناك داعٍ فى مسرحٍ كلامى لوجود واو فى قولنا : لاحماك الله ، لأن الكلام مغن عن فرض واو فالسكتة الحاصلة قيمة لها مساحتها الزمنية وقد اضحت المساحة قيمة نحوية ولأنها زمن والزمن واقع لاتجريد فهى من نحو الكلام لا من نحو اللغة .

(ب) من أين لنا تصور مراد للإنشاء والأخبار اعتمادا على التجريد فى تصوركمْ ؟

ومن أين لنا تصور لخروج أداة عن طبيعتها إذا لم يكن الاحتكام هنا إلى نحو الكلام .

(جـ) كيف يتم الافصاح تمامًا عن استخدام مراد للفعلية من خلال علاقات المصادر والجار والمجرور والظروف دون مسرح من وادى الكلام : إليك عنى ، دونك مكانك ، رويدا .

(د) فى الحديث عن قرب للمنادى أو توسط أو بعد وكذلك الحديث عن مراتب المشار إليه ارتكاز غير قليل على مسرح يؤكد حق الكلام لا حق اللغة .

(هـ) حين يبين فارق بين لا النافية للجنس أو العاملة عمل ليس فإن هذا الفارق يرجع فهمه إلى الكلام لا إلى المخزون الذهنى ومثلها اعتبار (أمس) مبنية أو معربه بناء على المقصود بها اليوم المعين أو كونها يوما مطلقا .

(و) كيف يتحدد الفارق بين النكرة المقصودة وغير المقصودة إلا إذا كان هناك مسرح لغوى يبين فيه حدّ القصد من غيره .

(ز) حين ينظر إلى (ذا) موصولة هي أم إشارية في قولنا ماذا ومثلاً فإن لمح الإشارة فيها معتمد على مسرح لغوى ، أي على كلام يميز إمكاناتها في قول الشاعر :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

(ح) في مسرح لغوى يتحقق أمن اللبس فيما أوجب النحاة فيه الاعتماد على الرتبة حيث يكون المقدم فاعلا والمؤخر مفعولا فبناء على مسرح لغوى من خصوص الكلام يصبح موسى مفعولا مقدما وعيسى فاعلا مؤخرا في قولنا :

ضرب موسى عيسى إنها جتماعية المسرح حين أثبتت ضخامة جثة عيسى وقوة بنيانه ووهن ومرض وضعف عيسى ، دلتنا على موقع الفاعل من المفعول أياما كان التقديم والتأخير فقد دلنا للوقف دون رهبة من لبس أو خوف من اختلاط . (وشبيه بهذا الأمر ما تحدث به عبد القاهر الجرجاني قائلا كلم هذا هذا معتمدا في تمييز الفاعل عن المفعول من خلال نظرة العين وتوجه الإشارة) .

(ط) في مسرح كلامي تبدو النكرة مبتدأ دون حاجة إلى مسوغ فإذا كانت غرابة الخبر سبيلا مسلما إلى الابتداء بالنكرة في قولنا : بقرة تكلمت ؛ فإن الندرة أيضاً وهي تحديد لشيوع وارتكاز على غرابة تضحى سبيلا لجواز الابتداء بالنكرة في قولنا :

هداف في الأهلي

فيكون الهداف معروفا واضحا رغم القول بتنكيره .

(ى) المسرح اللغوى هو الذى جعل إدراك الرجل والمعلم النكرتين مبتدأ فى قولنا : فى بيتنا رجل وفى شارعنا معلم . هذا المعلوم الذى يحترس الجميع من سطوته وجبروته والذى تتجنب شره ومن المؤكد نسلم عليه ونحن خارجون من شارعه وداخلون ؛ أى تنكير لحقه وسطوته فى الحىّ تعلم عنه وتنبئ ! وقد سعدت بإحسان عبد القدوس حين عنون رواية له بعنوان « فى بيتنا رجل » وقد أدركت كيف حق للنحاة أن يجعلوا تقديم شبه الجملة مبررا لوجود النكرة مبتدأ ، فالرجل عُرِّف بخصوصية التقديم ، وكما تدرك فإن هذا الرجل المنكر هو محور الرواية وبطلها وشخوص الرواية رغم علميتها هوامش غامضة تدور حول هذا الرجل .

(ك) حين يتم التساوى فى التعريف والتنكير فعلاقة المشبه بالمشبه به التى يتحدد من خلالها مقام المبتدأ ومقام الخبر علاقة ثقافية اجتماعية فحين يقول سيبويه ابن هشام . أى كيان ذهنى يقول فى فى حق النحو إن ابن هشام هو الأستاذ وسيبويه التلميذ . ومنه قولهم أبو حنيفة أبو يوسف . لاحقّ لبيان علاقة المشبه التى تجعل الاسم الأول خبراً مقدما والثانى مبتدأ مؤخرا إلا بهذا المسرح الشامل مسرح الكلام .

(ل) إن الاحتكام إلى بيان موقع المحذوف فى قول الرائى المنتظر رؤية الهلال حين يقول : الهلال ورب الكعبة .

احتكام إلى منطوق ، أى إلى كلام يعتمد على مسرح حيث تقدير المبتدأ المحذوف تختلف علاقات نطقه عن تقدير الفعل المحذوف .

(م) أليس الاحتكام إلى فصل الضمير واتصاله احتكاما إلى منطوق كلامى يجرب فيه وضع الكلمة فى هذا الموقع أو وضعها هناك . إنّ تحديدا تجريديا لاستتار الضمير وجوبا واستتاره جوازا مرتبط بتجربة كلامية حيث

وضع الظاهر موقعه وعدم إمكان وضعه أمران يحددان قيمة الوجوب والجواز .

(ن) أن جملا وأساليب كاملة لن يتم لها حق إلا بمسرحة الكلام ، فمن يستطيع أن يحقق الفهم الكامل لأساليب الندبة والتحذير والاغراء بل من يستطيع تحقيق فهم التعجب غير القياسي إلا من خلال اعتبار مسرح اللغة ، بل من يستطيع إدراك جملة مقول القول أو إدراك الجملة الاعتراضية ، أو تمييز الشرط إذا اختلطت بجمل أخرى فى التركيب إلا من خلال الكلام .

من لنا بإدراك النداء والاستفهام وإدراك النقل فيهما حين يخرجان عن غرضيهما والانتقال إلي منطوق آخر .

هذه المطالب يؤكدها حق الكلام فنحوها نحو كلام .

(س) هل بالإمكان إدراك للمحذوف تماما - وحذفه اختزال كلام بعيداً عن تصور منطوق كلامي يتحدد من خلال أداء الأبيات الواردة على نحو معين :

قد قيل ما قيل إن صدقا وان كذبا
لايأمن الدهر ذو بغي ولو ملكا

نحن الألى فاجمع جموعك ثم وجههم إلينا

الاحتكام إلى الأداء الذى يكون سبيلا للضغط على مواقع : ان صدقا وان كذبا ، ولو ملكا ، الألى ، يثبت فهم المحذوف : أن كان ما قيل ، ولو كان الباغى ، عرفوا بالشجاعة .

فالحذف من منطوق الكلام ، وفهمه أي إرجاعه احتكام إلى كلام .

وليس بعيداً عـن هذا التصور أن ندرك أن الفارق النبرى الـنطقى هو الذى أوضح اتجاه :

« ذاكر الدرس » إلى المخـاطب المذكور و « ذاكرى الدرس » إلـى المخاطبة المؤنثة .

(ع) أن قضايا العلامة الظاهرة احتكام إلى منطوق وهل يضيق الفارق بين حذف حرف العلـة في المضارع المجزوم أو الأمر المبـنى إلا باعتماده عـلى الوعى بكـسم الحركة حيث الحـركات أبعاض حـروف المد واللين ، هذا الـتصور يقول : لم يـدعُ بضمة قصيرة شـىء ويدعو بضمه طويـلة شىء آخر . أن الثقل والمناسبة والتعذر قيم كلامية رغم تصور الفرض فيها .

(ف) أن جمـلة من قـضايـا الاشمام والـروم والإمالة والـتخـلص والتـوصل والإدغام والمناسبة والمجاورة والسكت وغيرها مما ينبئ عن حق نحو مرتبط بغيره من الحقوق الأخرى ، هذه القيم مرتبطة بالكلام لا اللغة .

(س) لن يكـون ترقيم الـسكت والتـعجب والاسـتفهام والوصـل والاعتراض والتعلـيل بديلا للغة منطوقة يسـتطيع الكلام فـيها أن يوضح خصـوصية الجملة ومذاقها تماماً .

هذه بعض قضـايا وغيرها كثير تثبـت مكانة اعتبار الكلام فى مـسار النحو العربـى وتثبت مـا هو أعمق وهو أن فـرض النحو كلامـا انتماس إلـى علاقات معـرفية أخرى كـالأصوات والصرف والـدلالة بمرتـفها الـلغوى والاجتمـاعى والثقافى ؛ أى أن النحو هنا ليس تجزيئيا وإنما علاقة ارتباط وشمول .

أن هذه الرؤية الكاملة فى إطار المطلب النحوى تثبت أن للكلام سطوة فى تحقيق أمر الصواب ومن ثم فإن الاتجاه إلى التركيز على نحو الكلام له ما يبرره

من وجود نظام يعتمد عليه وحده في تحقيق تعليم لغة نعيشها منطوقة مسموعة مكتوبة .

نحو الكلام إنساني ومساحة وجوده كما رأينا واقعية ، ولأن مشكلة التعليم مشكلة واقع فعلينا أن نحتكم إلى ما يوازيها فالواقع يحل أمره بوعيه ؛ أي بالواقع ومن هنا فلا امتلاك لسليقة لغوية إلا بإدراك أن المجرد الذهني لن يملك متكلما ولا مستمعا سليقة لغوية .

فالذي يدركها الكلام ، ومن هنا فمن الضروري أن نحاول اخضاع هذا وتصوره من خلال أشياء ومنجزات معاصرة تفرض وجودها الآن على حياة الأمم .

نحو الكلام والحاسب الآلي :

في إطار وجود حاسب آلي أصبح ميزة لنهايات القرن العشرين لأنه أوجز في إطاره معطيات العالم المتفرقة ؛ فمن الممكن الآن أن يحمل الإنسان جهازاً في حجم الكف في جيبه يلخص عناء شهور وسنين في البحث والتنقيب في لحظة واحدة ، هذا الجهاز هو الذي يصل بالعالم إلى فترته القادمة تلك التي تسمى ثورة المعلومات .

بإمكان هذا الجهاز يسر أن يقوم بتسجيل أي نظام بصدق وإحكام ؛ لأن النظام تجريد ومن هنا نقول أن الباحث إن أحكم جملة الخطوط الأساسية للنحو العربي أمكن تعليم الكمبيوتر بقوانين النحو وقواعده ، والمحاولات الآن جارية على قدم وساق من أجل إخضاع قوانين النحو للحاسب الآلي ، ورغم صعوبة ذلك الطريق مع نحو مكثف كالنحو العربي وذلك لتعدد الوظائف النحوية فيه والسمات الأسلوبية فقد أمكن للحاسب أن يتلقى قواعد نحوية متحركة صوب أي جملة توضع في نهاية الكمبيوتر فتلقى الكمبيوتر للقوانين

أمر ميسور أما استخلاصه لتطبيق القانون حين تعرض جملة أمامه فهذا هو المطلب العسير ومع ذلك فقد أمكن للكمبيوتر أن يحافظ تطبيقا على:

(أ) الثنائية التى قسمت من خلالها الجملة العربية إلى اسمية وفعليه .

(ب) علاقات التقديم والتأخير وبخاصة فى حدود الجملة الاسمية .

(جـ) علاقات المطابقة بمراعاة النوع والعدد والتعيين والعلامة .

(د) ربط صيغة الفعل بالمكونات التالية له حسب تعديه ولزومه .

(هـ) وضع المنصوبات فى موقعها وتحديدها تاركا التردد فى الموقع الواحد حول منصوبين حيث يختار واحداً تاركًا الآخر ، وهذا ملاحظ فى الأماكن التى تتردد فيها الكلمة بين الحالية والتمييز أو المفعول لأجله والمفعول المطلق .

(و) إدراك العلاقات الثنائية التركيبية ، وذلك كربط لم الجازمه بالمضارع ومن الجاره بالاسم بعدها وكان بجملتها الاسمية وهكذا .

(ز) إدراك علاقة التبعية للزوم موقعها حيث التابع بعد المتبوع .

(ح) إمكان تسجيل شبه دلالى للصيغة فى موقع الجملة بناء على ما يسمى القرابات اللغوية ، حيث تفرض « ضَرَبَ » علاقات تختلف عن العلاقات التى تفرزها « سَمِعَ » . وهكذا تكون الأولى فى مجموعة مخالفة للثانية .

لقد أمكن بواسطة الحاسب الآلى رصد علاقات المفردة على مستوى الشكل بمعنى أن الحاسب الآلى أصبح فى استطاعته إدراك جميع العلاقات الصرفية .

ولعلّ من المشاكل النحوية التى لم يستطع الحاسب أن يقوم بحل لغزها التركيبى :

(أ) توظيف شبه الجملة موقعيا حين يرد فى موقع الصفة أو الحال أو الخبر ولن يتم لشبه الجملة إدخالٌ فى الحاسب الا بكونْ مسمى شبه الجملة وظيفة نحوية لاعنصرا صيغيا .

(ب) توظيف الصيغ التى تعمل عمل الفعل بملاحظة إمكانات عملها ورفض كونها عاملة ، وكذلك تصور خصوصية الوصف المكتفى بمرفوعه .

(جـ) استيعابه لشتى الاتجاهات النحوية فهو غير قابل إلا لتلقى وجهة نظر واحدة بصرية أو كوفية أو بغدادية . .

إن الحاسب الآلي قد أمكنه أن يبرمج إطاراً ضخماً من قيم النحو الشكلية رغم تفرد الجملة العربية بثنائية القسمة إلى اسمية وإلى فعلية ، وتداخل الجملة فى إطار الجملة ، والإعلان عن شكل الجملة بما يخالف أصل ورودها فأصل ورود الاسمية :

مبتدأ + خبر

ومع ذلك فالتقديم جائز أحياناً وواجب أحياناً أخرى مما يجعل أنماط الاسمية

مبتدأ + خبر

خبر + مبتدأ

ولو تعلق بالخبر شيء بأن سمي معمولا عن طريق المفعولية أو عن طريق شبه الجملة لأمكن تقديمه ليصبح إطار الجملة الاسمية .

محمد	مقيم	فى المنزل
محمد	فى المنزل	مقيم
فى المنزل	محمد	مقيم
فى المنزل	مقيم	محمد

وهذا التحريك متحقق لشبه الجملة الذى يتوسع فيه ما لا يتوسع فى غيره ؛ ومن هنا لم ينحصر فى رتبة معينة .

وربما استقر الحاسب الآلي بعد جهد حول شكل صيغي مبرمج لديه يجعل الخبر مشتقا عاملا حيث يرتبط به معمول وذلك كالخبر (مقيم) ، لكن عطاء اللغة يفوق هذا الثابت حين يصرّح بأن كلمة أسد تساوي كلمة شجاع في قولنا :

محمد أسد في المنزل

وهي جملة تساوي في إمكاناتها الموقعية : محمد مقيم بالمنزل .

هذا الحد الثابت للمشتق يحيّره قبول الجامد موقعه فقد وقعت الحال جامدة مع أن حدها هو الاشتقاق ، وقد ضُمّن الجامد معنى المشتق فاضحى صفة مشبهة .

كل هذه تغيرات سياقية تزعج الحاسب الآلي وهو يقوم بلم شتات النظام النحوى .

أن محاولات الحاسب مستمرة لبرمجة كل شيء موجود على خارطة الدنيا ، مهما تعددت الصيغ اللغوية فإن الحاسب بإمكانه تشكيلها وجمعها مفردة ثم محاولة سيرها في علاقات ثنائية إلى أن يصل بها إلى تركيب نحوى مكتمل ومن ثم يتحقق تصور شكلي للجملة .

فقواعد النظام بالإمكان أن يستخلص الحاسب منها كل حد شكلي يمكن التعامل مع قيمته المجردة فالحاسب إذا تعامل مع « جلس محمد صباحا » فإن التسجيل يمكن تجريده بهذه الصيغة الجبرية :

فعل + اسم + ظرف ، أو ف + س + ظ أو برمز لاتيني

V + N + A

وهو تسجيل ينسى خصوصية الرموز حيث يتحول المشتق جامدا والجامد مشتقا والظرف علما والعلم ظرفا .

وقد يكون الخير لنظام تحددت قيمته النحوية والصرفية في جلّ أمرها على مستوى الشكل ذلك الشكل الذي كان مدخله لفهم الكلمة صرفيًا بحيث محاولة وزنها وقياسها . وكان مدخلًا لفهمها نحويًا البحث عن علاقتها وموقعها وتضامها - أقول قد يكون من الخير لهذا النظام أن يكون مطية ذلولًا لحاسب نحن في أشد الحاجة اليوم إلى اعتماده في تخزين معلومات لغتنا . لأننا مقبلون على عصر سوف يكون للمعلومة فيه قيمة تفوق اكتشاف بئر بترول . عصر تباع فيه المعلومات المختزنة للبيع ... كلها بحكم ... من خلاله الوحدة الدول ، عصر ... ثم ... النظام ... أن ينفر من هذا الكيان بل عليه أن يكون جزءًا من كيان هذا البنك مشاركًا جملة المعارف الإنسانية الأخرى في الاستفادة منه

إن نظام الحاسب الآلي سوف يجد في إطار نحوي ... إلى الشكل بغية له ؛ لأننا بناء على سلامة الشكل فاقدين حد الدلالة أدركنا حدود النحو وعلاقاته في جملة مثل :

طرق ... في ...

فالمواقع الشكلية في ... الفعل والفاعل والجار والمجرور وأداة الشرط ... يقتضي الشكل ... يستطيع الحاسب أن يقوم ... ما دام المقتضى الدلالي والسياقي والنفسي ... لا اعتبار له ...

للحاسب الآلي أن يدرك مساحات التعامل مع كيان اللغة إذا ... الكيان شكلًا ... علاقات الذهن ، أي علاقات اللغة لا علاقات الكلام ...

ومهما تطورت مدركات هذا الحاسب وعطاءاته وإمكاناته فلن يستطيع أن يخضع له الكلام وأن اخضع لواديه النظام ، لأن علاقات هذا الجهاز كعلاقات النظام استاتيكية ثابتة ، أما المتغير المتحرك المتطور مع عوامل الزمان والمكان والنفس والاحساس والوجدان ، فما أدرى أن للحاسب معه الكلمة الاولى إلا لو أمكن بث وجدان لهذا الحاسب المصنوع من جماد .

للحاسب عقل وليس له وجدان والعقل مناخ اللغة والوجدان مناخ الكلام . فأى جهاز إذا يقوم بالتعامل مع الكلام ؟

مازال جهاز رصد الصوت الإنسانى وجهاز رصد الحركات والسكنات ، أى مازالت الاجهزة التى تسجل الكلام قيمة حية مدركة كالإذاعة والتليفزيون والفيديو والكاسيت أيا ما كان حالها هى الأجهزة التى بإمكانها أن تعطى صورة واضحة لحق الكلام .

نحو الكلام نحو إنسانى يستبطن قدرة الانفعال والوجد وهى قدرة لها طاقة تحريك الكون واستغلاله لتصبح الآلة والقانون معا خادمين له ؛ أى للإنسان . بطاقة الكلام سوف يتحدد الخصوص وتتحدد المفارقات فإذا أمكن فى يوم ما توحيد العالم فى نظام لغوى فمن غير الممكن توحيده فى نظام كلامى ، ومن ثم فخصوصية البقاء للكلام . فبصمة الصوت الآن وهى عنصر أدائى اضحت سبيلاً للتفرد والخصوص لا العموم ، ومن هنا فإن السعى ينبغى أن يتجه للكشف عن دور لنحو الكلام لا نحو اللغة .

الكلام لم يعد وسيلة فقط فهو الغاية أيضًا وقد قالوا بأن اللغة لعصمة الكلام فكيف تذهب إلى الوسيلة والغاية ليست نتاجا لها ، فلم تسلم المقدمات إلى النتائج لأن ذلك لن يتم إلا من خلال قبيلين متحدين تمامًا وهنا فاللغة من واد والكلام من واد .

فليكن هذا التركيز على ما يمثل مطلبا ومراما وغاية ، ومن هنا فنحن بحاجة إلى نحو في إطار مشكلة نعيشها الآن وهي مشكلة غربة المنطوق والمسموع عن مسار الفصحى المعاصرة ، التي من خلال امتلاكها سليقة وعادة نصل الماضي بالحاضر نقرأ بها تاريخنا ونستوعب حضارتنا .

في إطار بحث هذه المشكلة وفي إطار سداد طريقها عن طريق إحياء نحو الكلام فإن هناك ضابطا لتحديد المقصود من هذا الكلام يتضح ما يلي :

من البدهي أن العامية لها دور استعمالي كبير في كل لغات الدنيا وقد يبدو [illegible] مختلفتا في الخصائص الصوتية والصرفية والدلالية ، لكن إذا كانت الفجوة شاسعة ، فعلى المجتمع الناطق وحده أن يضع كل جانب في موقعه المناسب وهنا نقول :

العامية للتداول والاستعمال في البيت في السوق في التطريب والغناء ؛ لأنه من غير المعقول نفيها فنيا ولدينا فنون نستلهم قيمها منها :

- الموال ، الزجل ، الأغنية ، المونولوج ، النكتة المضاحكة ، الفلكلور .

فهي جزء له كيان لكن له مجال على الثقافة المعاصرة أن تكون متحدة له ، من أجل ذلك على ثقافة الأمة وعلى المثقفين أن يعوا :

(أ) أن الكاتب بالعامية والمرتكز عليها إبداعا فنيا أن تحركه مادة لغوية بقيمها وموقعيتها وشعبيتها مخالفة لمادة التعبير بالفصحى . هذا الكاتب له ألقاب منها :

المونولوجست ، المطرب ، الزجال ، الأدباتي ، أو كاتب العامية .

(ب) أن هذه العامية رقيها موكول برقي دلالاتها وإتقان الصورة الفنية والعفوية من خلالها ، ومن ثم فإنتاجها وبقاء استخدامها مرتبطان بثقافة ووعي المبدع من خلالها ، ولدى ثقافتنا المعاصرة نماذج واضحة أثرت العطاء الفني

من خلالها ، فمن منا ينكر إبداع بيرم التونسي وأحمد رامي وحسين السيد ومأمون الشناوى ومرسى جميل عزيز وصلاح جاهين والأبنودى وأمثالهم .

(جـ) مع أداء هذا الدور الفنى من خلال هذه اللغة العامية على الثقافة أن تعى أن التركيز عليها دائمًا والالحاح على استمرار عطائها حضاريا وفنيا وثقافيا يشير بوضوح إلى دعوة اجتماعية طبقية لادعوة فنية ، ولعلنا نذكر أن اعتماد الدرس اللغوى المعاصر على الدرس المقارن والتركيز على درس اللهجات وازى ولاحق مذهبا سياسيا قام بكسر لغة الارستقراط نزولا للغة طبقة دنية هى طبقة البروليتاريا توجهت إليها الدارسات ، ومن ثم ذاع درس الادب الشعبى أكثر من شيوع الأدب المصبوغ بالفصحى وشاعت فكرة درس الفولكلور الذى يغوص فى باطن حكايا الجدة والافراح والموالد ، ووجدنا المغنى على الربابة تطفو شهرته على المطرب ومحمد طه يعلو صوته واضحا بجوار صوت عبد الوهاب . وأصبح الزجال شاعرا وأصبحت العامية لغة الإبداع ، أى أصبحت صيغة حضارية لثقافة أمة ، وهذا أمر غريب حيث فصحى الأمم عنوان أدبها وثقافتها وحضارتها » .

إطار مثل هذا لن يكون كلاما ولن يمثل مشكلة لكون وسيلة العامية قائمة تسرى فى بيئة غاب وعيها وغابت ثقافتها والحمد لله أن ضاعت معالم ذلك الكيان الذى اثرى لغة دنيّة كى تكون حكما حضاريا لمسار شعب وأمة .

أن هدفا للدرس سيكولوجى أو اجتماعى أو تاريخى لايعييه أن يبحث عن عامية دارجة . أما ان تكون العامية مطلبا ومراما فهذا يمثل شيئًا غير مقبول .

حين يدور البحث إذا عن كلام فإن القصد بهذا البحث كلام الفصحى المعاصرة التى نريدها بتاريخها وثقافتها وصراعها وتحديها لثقافات

الأمم الحضارية ، والتى نـريد منها قبل ذلك وبعد ذاك أن تكون سـبيلاً للوعى بالنص القرآنى المعجز .

تريد كلام الفصحى هذا عنوان حيا فى المجالات الآتية :

(أ) الصحافة :

رغم كونهـا عملا مكتوبا ، أى يسـتخدم الرمز تعبيـراً عن الدلالات إلا أنه رمز يعكس كلاما حيا معاصراً لمراكيبه شكارح لغوية متعددة ، ومن ثم وجدنا كلاما فى الفن وكلاما فى الرياضة وكلاما فى السياسة وكلاما فى الدين وكلاما فى الطب ، وكم يستطيع كلام فى الصحافة مفصح أن يسرى رويدا رويدا فى سليقة قـارئ دون قصد ظـاهر ، إن كلاما يكتب عن رياضة تشترى صحف كثيرة من أجلها ككرة القدم وأخبار مبارياتـها ولاعبيها لو ركز فـى هذا الكلام على صياغـة فنية راعية كـما هو ملاحظ فى كـتابة ناقدين رياضـيين مما يجنب المتكبارى رياضيه سليم لمكان المردود مـفيداً على الصحافة فى جلهـا أن تعطى مـساحة للفصحى المعاصـرة وأن يكون لها مفردات وتراكيـب تضاف إلى حـصـاد اللـغة المعاصرة وتـشكل شيـئًا من لسان الـناطق المعاصر . ماذا لو كانت الصفحة الأدبية يومـية وأن يكون فى الصحيفة اليومية مـساحة صغـيرة بالفصحى لقـصص الأطفال ؟ وماذا لو كانت الجـريدة مصدرة بقصـيدة من روائع الشعـر ولتكن من إبداع شـعرائنا أو من متـرجمات الأدب العالمـى المصوغة بـالفصحـى الراقية كـآلام فرتروفى سـبيل التـاج وتحت ظلال الزيزفون ورفاييل .

أن إعطاء أهمية للكـلمة الأدبية الفنية ترسيخ تدريجى للفصحى فى إيقاع التاريخ المعاصر .

(ب) الإذاعة :

محور الكلام المسموع المعتمد على طاقة الكلمة فى النفاذ والانتشار لو أمكن أن تستخدم بصورة عفوية ، لقد كان وجودها واستمرارها مسلمين إلى وحدة شملت ناطقى العربية من المحيط إلى الخليج وقد سادت من خلالها لهجة مصر على اللهجات العربية الأخرى وقد أدت الإذاعة بما تحمله من إشعاع للكلمة المسموعة خدمة جلّى للكلمة المنطوقة .

لو وظفت الإذاعة بخط مرسوم لأمْنِ الكلام لكان للكلمة رسوخ فى عقل ولب متلقيها ولَكانَ لها قدر فى تهييج طاقة خيال لايستطيع قتله واقع .

كيف نصل بهذه الكلمة من خلال الإذاعة إلى ترسيخ حق نحو الكلام ؟ على افتاحيات ومداخلات برامجها أن تترك للفصحى السهلة طريقا فلا تقديم لبرنامج إلا من خلال الف للفصحى ، وإذا كان لها أن تتعامل مع الفلاح والعامل قائلة لهما : ياولاد بلدى ؛ فإن لها أن تتعامل مع صورة مصر المتحضرة الواعية ،صورة مصر الامتداد والتاريخ ، الماضى والحاضر والمستقبل برسوخ الفصحى قائلة :

يا أبناء مصر ، يا من قامت حضارتهم على ضفاف نيل انطلقت من مجرى مياهه عذوبة واد رحب وخضرة أرض ظللتها سماء صافية وشمس ساطعة تذيب جليد الاحساس .

ماذا لو قيل :

هنا الإسكندرية قطر الندى رائعة المتوسط المغسولة بماء الندى . بالمسموع الإذاعى إمكان لرسوخ نحو الكلام ، وعلى هذا المسموع أن يعى طاقات مستقبلية فما عاد الشنفرى ولا الحارث بن حلزه ولا المرقش يصلحون لمخاطبة اذان الفت خيوط لهجة عامية .

أن الصالح لإثارة نبض هذه الآذان وامتلاك مساحة فيها لغة صافية سهلة المأخذ ذات جرس عميق ودلالة رائعة المضمون ولعل ثوابت كثيرة تصل بنا إلى ذلك منها : لغة القرآن ، المتخير من أحاديث تروم حياتهم وتنطق بها عذوبة لغوية ، المتخير من أشعار حانية لشوقي وحافظ وناجي وعلي محمود طه ومحمود حسن إسماعيل وطاهر أبو فاشا فالمتلقي الأمي لن تغرب عنه جملة تراكيب مثل :

ذهبيُّ الشعر ، مرح الأعطاف ، حلو اللفتات

ولن تضيع منه :

ياحبيبي كل شيء بقضاء

ولن يتزعزع إطلاقا إذا ما توسد قلبه وعقله ذلك المقطع الذي يقول :

أنا تاج العلاء في مفرق الشرق ودراته فرائد عقدي

سوف يثير نخوته المنطوق السابق ويأخذ بوجدانه مسموع آخر يقول :

كَم ذا يكابد عاشق ويلاقي ... في حب مصر كثيرة العشاق

للإذاعة أن تفسح مجالا لمساحة يتحرك فيها الإنشاد واعيا مستخدما وسائل تكثيف الجملة والإحساس بها . ومع استمراره رويدا رويدا وئيدا وئيدا سوف يأتي أوان لن يضيق من خلاله سمع عربي ولا لسان مصري ينطق مع الناطق :

أراك عصيَّ الدمع شيمتك الصبر

عندنا إذاعتان : إذاعة القرآن الكريم حق اللغة فيها واضح إذا ما انتقت واختارت وابتعدت اللغة عن ناطق يعذبها ويعذب معها السامعين ، ناطق متحذلق ينفر المستمع من خلال منطوق يلقي به يعرف الاصطناع لا العفوية والتلقائية والانطباع .

على هذه الإذاعة أن تنوع فينصت المستمع إليها واجدا فى عطائها :

آى الذكر الحكيم ، القصائد الدينية مثل نهج البرده ، سلوا قلبى ، إسلاميات شوقى ، عمرية حافظ ، ولامانع أن تضيف الإذاعة مقروءا نثريا من إسلاميات العقاد وطه حسين والزيات والرافعى وأحمد أمين والمنفلوطى وكل من يسر له الله سبيلا لكتابة كلام سهل عذب ميسور .

وإذاعة للأغانى تسمى إذاعة أم كلثوم يهجع إليها بعض الفارين من هموم يومهم التماسا لعطاء فنى إيقاعى ؛ لم لايكون هذا العطاء منظما تاركا مساحة للفصحى من خلال قصائد مغناه مثل :

الكرنك ، الجندول ، كليوباترا ، عندما يأتى المساء ، النهر الخالد ، دعاء الشرق ، همسة حائرة ، أنا انطونيو ، جبل التوباد ، ياليل الصب ، سلوا قلبى ، الاطلال ، سلوا كئوس الطلا ، إلى عرفات الله ، فى أى عهد فى القرى تتدفق ، مصر التى فى خاطرى ، آراك عصى الدمع ، وقف الخلق ، ليت للبراق عينا ، اسالى الفجر والغروب ، لا وعينيك ، اضنيتنى بالهجر ، عدت يايوم مولدى ، ياعاقد الحاجبين ، اعطنى الناى وغنى ، ايظن ، لاتكذبى ، وطنى وصباى وأحلامى ، بلدى احببتك يا بلدى ويسهر

المصباح والأقداح والذكرى معى

وعيون الليل يبدو نورها فى أدمعى

بعض غنائيات حنية جميلة لأصوات عذبة شجية تبرز من خلالها فصحى الكلام فتكون فى فؤاد وعقل مستمعها ملكة ذوق الكلام .

للإذاعة قدرة على ترسيخ أمر الكلام من خلال الوصول إلى الفصحى المعاصرة كي يرسخ من خلالها مقصود نحو الكلام .

قد يرى الدارس باحث المشكلة غربة في التركيز على الفصحى حين يوجه النظر إلى عطاء الأغنية كي تكون سبيلا للفصحى ؛ ذلك لأن حشدا ضخما من الأغنيات مقرون بالعامية ومن هنا فالخشية من أن تخرس عذوبة العامية والألف إليها ندرة الفصحى في عطائها لأجل ذلك فإن عطاء عامية منتقاة تقرب من الفصحى في بهائها وجمالها يعد مطلبا فلن تغرب العامية بعيدا عن الفصحى لو كانت على نحو :

مالناش لاحنـا ولا أنـت
فـي الحلاوة مثيل .. يا نيل
والناي علـى الشـط غنـى
والقلـــوب يميـل
علـى هبـوب الهـوى
لما يمـر عليـل .. يا نيـل

وعلى نحو :

كان القدر راضى علينا حنـون
كان القمر جماله يسبي العيـون
كان الشجر غصون تعانق غصون
والزهـر يبعـث أنفاسـه
مـع النسيـم
يصحـى معـاه مـا يامسـه

عامية طرزتها الفصحى في عطاء كثير اللهم إلا خلافا في حدود تبادل أصوات متقاربة أو امالة صوت بالإضافة إلى وقفات قد ترفضها الفصحى ؛

لكن مع كل هذا فهذه عاميات تفتح الطريق ميسوراً إلى تلقى الفصحى لا البعد عنها .

(جـ) التليفزيون :

جهاز مذهل خطير ، أمر تاه ، بيده أن يذهب بك إلى قمة الوجود والعطاء والفناء وبيده أن يهبط بك إلى مدارك سفلى ، إلى جُبٍّ ليس له قاع أو قرار .

هذا الجهاز الذى تحولت اللغة من خلاله إلى كيان فيه مسرح إنسانى كامل يبين فيه صنيع الزمان والمكان والإنسان ويبين فيه حق الانفعال وتصغر أمامه قدرة الخيال فما عادت عيون المها التى كانت بين الرصافة والجسر تثير فى الخيال ما تثير ؛ لأن الجهاز يستطيع أن يحيل هذا الخيال واقعا من خلال صورة غادة جميلة حولها طبيعة ساحرة صورت من خلال مساحات لونية مبدعة .

أقول أن هذا الجهاز اضحى حركة حياة تماثل حياة المتكلم فى يقظته وحلمه فى واقعه وخياله . هذا الجهاز اضحى ربيب الإنسان يعيش مع الطفل أكثر مما يعيش معه أبوه واخوته يناغيه أكثر مما تناغيه الآن أمه . لذا نقول أن الطفل يتعلم الكلام وهو يرضع ثدى أمه وقد آن لنا بعد خروج أمه مبكرة إلى العمل وعودتها مرهقه فى المساء أن ندرك أنه يتعلم الكلام وهو يرمق جهازاً مرئيا صار له الأم والأب والأخ والصديق .

كيف يكون هذا الجهاز الواقعى سبيلا لنحو الكلام ؟

من الحتمى أن ترشد فيه الفصحى وأن يتخيّر للتعبير عنها النموذج البشرى الوضاء الذى أُعجِب به المتلقى سلفا فالإعجاب بالإنسان يسلم إلى إعجاب بلغته فالمغنى يساوى قدره قدر الأغنية .

لقد تعودنا حديث الفصحى من خلال وجوه جامدة (أفواه جامدة) أفواه تغرب أشكالها في محيط التلقي حيث يبدو متحدث يتكلم اللغة دون انفعال ، أي دون إحساس بما يقول ، تسمعه فكأنك تسمع شريط تسجيل فتح ويعلم المولى عز وجل وحده متى ينتهي . يلوك الأصوات والكلمات ظانا أن وضع الصوت من مخرجه إظهار للمخرج لا للصوت ومن ثم يخرج لسانه مرئيا كي يبين كيف يكون وضع اللسان مع الذال أو الثاء فينشغل الرائي بهذه الصورة دون حس بقيمة الصوت لأنه ينشغل برؤية اللسان المنطوق دون أن يشغل باله بإيقاع الذال . يلوك جملة بصورة نمطية رتيبة لا تواكب إيقاع مسرحه فتراه في موقع والسؤال في موقع آخر ، وتتعها تحسب أن اللغة ليست من عالمنا ولا حياتنا فتستمع بروية آثرا على الأثان دون أن تتحرك نفسك معه .

تقول له ما رأي سيادتكم في كذا وكذا ، فيرد قائلا في الواقع في الحقيقة وهو لا يدري واقعا أو حقيقة يرد بكلمات وجمل أصبحت الكليشيهات تلقى برمتها مع كل جواب أيا ما كانت طبيعة هذا الجواب تراه مسئولا عن الباذنجان فيحوقل ويتحدث عنه ويسرف في التقديم دون أن يدخل في الموضوع غير مدرك أن من سمو الكلام قدرته على الاختزال وأن كل كلمة منطوقة بدلالاتها وموقعها تغني عن جملة ، يلقي بالجواب محفوظا مكررا بأداء واحد فكأنك أمام شيء غير إنسان ، لا عفوية فيه ولا إحساس بملامحها لك أن تتساءل لم ساد حديث الشعراوي ولقي صدى دون غيره متحدث مثل هذا يحتويه الجهاز معلب للغة يصدم الرائي بشكل تنوء أمامه الكلمة ؛ لأن الكلمة حس وقلب وفؤاد ووجدان ، الكلمة عمق وحيوية ودفء وتذوق وجمال فإن لم تجمل وتثير وتدهش من فم قائلها ظلمها وظلم مستمعها قتلها وعذب متلقيها .

كيف نصل إلى أن تكون الفصحى أمرا طبيعيا عفويا لا افتعاليا ؟

هنا يكون اختيار المتكلم أمرًا ضروريًا فليس كل عالم صالحًا لأن يواجه الجمهور عليه أن يكتب لا أن يتكلم .

وفي استخدام هذا الجهاز الذي يجلس له كما قلت المستمع بكل حواسه وملكاته علينا أن ننبه إلى كيفية تعامله مع اللغة وفي هذا الأمر علينا أن نراعي أمرين :

- محاولة كسر قدسية اللغة حين التخاطب بها لأنها تخلع الرهبة على متكلمها والمتكلم إذا تملكته رهبة اللغة الجم لسانه ولعل نموذج كسر قدسية اللغة وعدم الوعي بما وراءها هو الذي جعل الطفل الصغير يحفظ القرآن تامًا في سن يبين فيها حد الإعجاز .
- طواعية اللغة المستخدمة وكونها بناء حيا معتمدًا على الحركية والانفعال فالعين تعشق قبل الأذن أحيانا وإبراز الملامح الادائية ليس بمستغرب على لغة بانت قرينة المشافهة لرسوخ قدمها فيها .

في نطاق حب الفصحى علينا أن نتخير لها مذيعا مقدما له حضور وله قبول ؟ ما الذي يحدث للفصحى لو كان المتحدث بها نجما مثل محمود ياسين أو نجلاء فتحي ؟ في اعتقادي أن إلفًا بهذا المذيع سوف يسلم كما قلت إلى الف حديثه ، لم لايكون ناطق الفصحى حسن المظهر راقي الملبس خفيف الظل عذب الصوت له قبول حين تراه !

المذيع والمذيعة نموذجان إذا تحدثا بالفصحى أصبحت نموذجا مقلدا متسربا لدى المشاهدين وفي تقديم البرامج بإمكان مذيعة بخطة مدروسة أن تلقى في عب الشارع المصري بمجموعة من الجمل تصبح من خلال تكرارها سليقة متكلم . فليكن تقديم البرنامج في سطرين مفصحا كأن تقول المذيعة مثلا :

أسعد الله صباحكم يامن نرجو سعادتهم وهناءهم . . . أيها السادة . . .

وبالتكرار بعد شهر تكون هذه الجملة جزءاً من كلام ، مع ترديد روابط وعلاقات لغوية من مثل :

ليس هذا فحسب ، من غير المعقول ، ليس من اللازم ، إن ما نبحث عنه موجود ، لن يضيع حق وراءه مطالب ، عندك أيها المستمع الكريم تجد ضالتك ، من أين لنا بهذا الصواب . . . إلخ .

لو خصص جهاز التليفزيون خطة لإيجاد معجم تركيبى منطوق يلقى فى كل شهر منه بجملة واحدة أو جملتين لأمكن بعد مدى ليس بالكبير بتكرار هذا المنطوق أن تألف اذن المستمع المصرى عطاء الفصحى دون أن تمثل غربة أو نفوراً .

ماذا يجرى لو ركزنا فى إنتاجنا على تكلفة البرنامج الفصيح حتى تصبح الدراما من خلاله أمراً مركبا متوازيا لا يتملق المشاهد من خلال رؤيته وإنما يشد إليه مستمتعا بما فيه حركة وحبكة وأداء وحواراً .

إن لدينا فى جهاز التليفزيون مادة خطيرة هى مادة الإعلان ، والإعلان فيه قدرة آسرة تجعل الناس يتحلقون لمشاهدته فلا المسلسلات ولا الأحاديث ولا المباريات الرياضية تساوى فى قدرة الالتفاف حوله ما يساوى الإعلان ، فالإعلان هو الشريحة المفضلة لدى أطفال مصر بغير استثناء . ترى ماذا يحدث لو تسربت الفصحى من خلال هذا الطريق .

إن إعلاننا بالعامية يبدو أن تكلفته والاستعداد له والتحوط لنجاحه من خلال ديكور وحركة وصورة وممثلين يمثل مطلبا واضحا ، أو كونه مكلفا ومن هنا يصبح راسخ الرؤية والتلقى ، أما إعلان الفصحى فكما نعهده دائماً ورقة ملساء تستخدم المكتوب الثابت فقط وتتحرك أوراق كتاب تراه مشبها شريط قماش معلق فى الشارع . يرتبط المشاهد بإعلان عن معجون للأسنان أو شاى

الجوهرة أو سافو وينفعل معه بعاميته فإذا ما انتقل إلى إعلان الفصحى الذى يقول :

تعلن شركة استصلاح الأراضى عن بيع خمس قطع . . . .

هنا يتململ المشاهد منصرفا وقتها لقضاء حاجة أو محولا قناته حتى ينتهى من أمر ذلك الإعلان .

إلى هذا الحد يكون الضيق بالفصحى لأننا ارخصنا شأنها بارخاص تكلفتها .

فهل للعامية سطوة هنا تفوق سطوة الفصحى ؟

السطوة فى دramية الإعلان وتكلفته فالأول الباحث عن شاى الجوهرة مكلف والثاني المعلن عن بيع أرض لاشقاء فيه فهو مجرد ورقة بيضاء مكتوبة وضعت أمام الكاميرا تحركها أصابع يد فقط ..

لو كلفنا إعلان الفصحى مثلما كلفنا إعلان العامية لأصبح إعلان الفصحى لغة محفوظة لدى الأطفال والمشاهدين ، ومن هنا تتسرب الفصحى وئيدا وئيدا إلى لسان المتكلمين من خلال لغة الإعلانات .

عطاء التليفزيون للفصحى بإمكانه أن يثرى وجودها ونحن حين نحاول امتلاك عطاء الكلام من خلال بيئة حضارية اعطتنا جهازا مسموعا إذاعيا وجهازا مرئيا وخازنا للمعلومات وصحيفة تسرى سريان المنطوق والمسموع فإن محاولة أهم تتصل بالحقل العلمى الذى تروده معاهدنا العلمية والتعليمية والتى عليها أن تستأنس بمعطيات العصر فى الحصول على نحو الكلام أو نحو الأداء .

(د) القدوة السياسية :

وأمر الفصحى معها له خصوصية ورسمية ؛ فمن الواجب أن تكون الخطابات أو الخطب في شتى الاحتفالات والمؤتمرات ؛ باللغة الفصحى المصوغة صياغة تتب رقى مجتمعها لقد قيل أن جيكسار ديبتان عندما ألقى كلمته بجامعة القاهرة بخصوص حصوله على الدكتوراه الفخرية بان فيها دقة الاختيار بحيث كانت عبارة عن قطعة من الأدب الفرنسي المعاصر .

جلال اللغة والحرص عليها حين يكون واردا من سياسيٌ أمتنا يسلم إلى خير كبير في حق الكلام .

(هـ) معاهدنا ونحو الكلام :

والمعلوم أن المعهد مكان وظيفته التعليم والعلم معا وقد يختلف الحرص على الأمرين من خلال نوعية المعهد كتّابا أو مدرسة ابتدائية أو إعدادية أو جامعة ، فكل له دور ونصيب في نحو الكلام ؛ ومن الواجب أن ندرك أنه بقدر ما يتحقق لنا جانب من نحو الكلام يكون ذلك خادما مثريا لجانب من جوانب نحو الجمال **فالضعف اللغوى قرين القبح والصواب قرين الجمال** .

في بدء مرحلة التعليم على المنهج أن يركز على المنطوق لغويا وعلاقات هذا المنطوق الرمزية فتلك مرحلة يستطيع الطالب أن يحشد فيها مالايستطيع حشده في سنوات ، فمن المدرك أن هذه الفترة فترة سليقة لغوية كاملة لو مرت دون التفات منا استطعنا تعويضها لدى المتكلم في مقتبل الأيام .

في نشأة الابن المتعلم الذي امتلك سليقة لغوية عامية من خلال أمه وأبيه وأقاربه على المنهج الدراسي في بدايته أن يلقي بظله حتى تصير السليقة السابقة لها حق المتفرد فليكن في الحضانة والفرقة الأولى والثانية إظهار لحق الفصحى من خلال محفوظ كما قلت يصبح هم التعليم .

بهـــذا المحفوظ لـن يـطـول زمن الاستـعمال لتفـرد العامية لأن سلـيقة أخرى تملك قيما حضارية سوف تبين فى حـق الرسوخ وهى سليقة الفصحى ؛ على المنهج إذا ألا يغفـل أمر انفراد العامية فـى حياة الناشـــىء فإذا كان يأخـذ منه كمّاً لـلعامية فـعلى المدرســة أن تعـدل هــذه الكفه فـى جدرانها لـصالح الفصحى . . .

فى إطار التركيز على اللغة فى المراحل الاولى أقول :

ماذا يضير لو كان استغلال ملكة الكلام سبـيلا لتكثيف التعليم حول اللغة فإدراك الرياضة والعلوم إدراك يحتاج إلـى ذهن واع تجعله درجة الوعى يختزن الزمان فى الوعى والتحصيل .

على هذه المرحلة أن تـسأل ماكم المحفوظ اللغوى أيا كان سبيله قرآنا أدبا قصصا قـصيرة أخاذه للكـلمة فيها دور ؛ أى لـعذوبتها وجرسـها دور ، شعرا سهلا . وكم كان لقصـائد شوقى فى قصص الحيوان وأناشيد الـرافعى الوطنية دور لابأس به فى ترسيخ قدرة اللسان .

أين حصة القراءة التى كانت تسمى بالمطالعة التى إن كان للمنهج اللغـوى أن يعطى النحـو والصرف والأدب ساعة فعـليه أن يعطى هـذه الحصة ساعات ؛ علـينا أن نعطى هذه القراءة الكـم الأكبر ؛ أين نصيب الطـالب منها صوتا مسموعا !

أن طالبا يقرأ موضوعا أمام التلاميذ بصوت عال مسموع يحاسب نفسه مرة ومرة يصـل به هـــذا الأمر إلى حب اللـغة واجادتهـا ، إلى عـدم الـفزع من موقفها ، إلى تكوين شخصية مقدامة جريئة لاتهاب المواقف .

ثم أين حصـة الإنشاء وهى حصة الإبـداع والخلق والابتكار تـلك الحصة التى يتفق فيها محفوظ الطالب مع قدرته الواعية على التخيل .

مادتان جديرتان بالاعتبار والاهتمام والتركيز في حق تكوين سليقة الكلام .

إذا ما انتقلنا إلى مراحل تعليمية أكبر زاد الكم وزاد العطاء ومعها لابد من توافر أمرين أساسيين :

(أ) الاستاذ القدوة الذي يعشق اللغة ويتكلم بها ويصوغ من خلالها ، استاذ ليس معلما فحسب بل مبدعا ناقدا ، كيف تعلم إن لم تملك صيغة المادة وسليقتها أنّ فاقد الشيء لايعطيه أبدا .

(ب) المكتبة المدرسية والإذاعة الصباحية المدروسة والمسابقات والندوات المتتالية في حقول الإلقاء والإنشاد والشعر .

أما نطاق الجامعة فنطاق يؤسس الإحساس بقدرة الإنسان على استخدام الكلمة دون إسراف أو تهويم ، نطاق عليه أن يسلم بأن مستويات اللغة في التعبير مطلب أساسي فالقدرة الصوابية والجمالية شيء واحد ، وعطاء العلوم اللغوية لابد أن يكون رؤية واضحة في تصور المنهج التعليمي .

قد يقل نطاق الكلام في حيز الجامعة ، لأن المكتوب حيزه كبير ، بيد أن الصوغ العلمي والأدبي وكتابة البحوث وإلقاء المحاضرات والحوار الفكرى والتعقيب والأخذ والرد وتصفح المصادر والمراجع كلها وسائل ترسخ العطاء اللغوى من خلالها ولعلنا نستطيع أن نقول بتضافر إطارين معًا :- إطار اللغة وإطار الكلام .

فالتنظير في شتى فروع العلوم في هذه المرحلة مطلب يؤسسه مطلب آخر وهو التطبيق الواقعي . على الكلمة أن تخرج من الجامعة سليمة مبرأة من النقص وأن تكون بقدر لا اسفاف فيها كما قلت ولا إسراف ، لاغموض ولا التباس ، فيها من خلال المستوى ما يناسب المستوى التعليمي والعلمي ، ومن

هنا فإن مواكبة الجامعة للعطاء الإبداعي اللغوى ضرورة حتمية فاللغة لن يدرك باعها إلا بإدراك النصوص ، لأجل هذا فإن دراسة الأساليب من خلال الأعمال الفنية أخطر من دراسة قواعدها وقوانينها ، وقد بان أن النص اللغوى يمثل ثراء تنوء به القاعدة فالاستعمال أرحب مدى من القاعدة والنظام .

أن تحليلا أسلوبيا لشوقى فى إطار تحليل آخر للمعرى فى إطار تحليل ثالث لمحمود حسن إسماعيل يؤكد وقائع اللغة ويثرى حيز الكلام .

هل تستطيع الجامعة بمراعاة حق التطور أن تصور معجما تركيبيا غير إفرادى يواكب هذا المعجم عطاء الفصحى المعاصرة فتقف على سبيل المثال أمام تراكيب المنفلوطى فى ماجدولين وفى سبيل التاج وتراكيب الزيات فى آلام فرتر ورفاييل ، وتراكيب طه حسين فى المعذبين فى الأرض والأيام وتراكيب نجيب محفوظ فى اللص والكلاب وميرامار وهكذا .

إذا فعلنا مثل هذه الدراسة اللغوية مع منتجى أدبنا لخرجنا بكم هائل من أساليب الصوغ تمثل قدوة ومسارا لمن استمتع بقراءة ومشاهدة هذه الأعمال .

فلتكن الدراسة الأسلوبية سبيلنا إلى الوعى بلغة الكلام وبخاصة أن هناك ما يدعو إليها الآن حيث الشمول مطلب عالمى الآن ؛ لأن وسائله قائمة إذ باستطاعة الآلة أن تأتى بالمادة من أى مكان مهما كانت مفرقة مجزأة لتضعها أمام الدارس والناظر والمتلقى فى لحظة واحدة .

الممنوع من الصرف وغربة المسار

الممنوع من الصرف وغربة المسار

بدأت خيوط هذا الموضوع من خلال فكرة ملكت أمرى وهى أن الكلمة المفصحة تماماً عما فى نفسها ، وكذلك التركيب المفصح عن نفسه يسلمان معاً إلى يسر فى وضع نظام لهما ، ومن ثم لا يجد الدارس والمتلقى معاً صعوبة فى بيان أبعادهما . وللباحث أن يسأل كيف سهلت حدود كلمة « محمد » صيغة وإعرابا وموقعية وصعبت بوضوح نسبى قيمة « تأبط شرا » ؟ كيف سهل تركيب « محمد فى المنزل » أو « فى المنزل محمد » وصعب تركيب : ما أجمل السماء ! وأجمل بالسماء !

إن وضوح الصيغة ووضوح علاقاتها التى لها فى التركيب أمران يسلمان إلى سهولة النظام ودقته وعدم غربته ؛ لأجل ذلك وارتكازا عليه كانت حيرتى أمام الممنوع من الصرف صيغة وإعرابا وتركيبا ، حيرة بانت فى موقعه من النظام النحوى والاستعمال اللغوى ، حيرة بانت فى القيمة التى يحدثها التقابل القائم بين التنوين وعدمه . ودفعا لهذا الحيرة كان رصيدى لما يمثل مظهر الغربة فى هذا الممنوع من الصرف مستأنسا ببعض تبريرات معظمها صوتى أرجو أن يكون لها نصيب من صواب .

وكى يتحدد للموضوع مسارٌ واضح تناولت فى حدوده هذه النقاط :

- الصرف والمنع والتنوين وعدمه .
- دلائل الغربة فى الممنوع فى رصد النظام .
- مساحات المنع وفيها درس :

(أ) المركب تركيبا مزجيا . مع تصوره المقطعي .

(ب) وزن الفعل ورؤية الأعلام مقطعيا من خلال تصور الماضي والمضارع والأمر .

(جـ) العجمة وحوار يثبت الموقع والصيغ المعروفة من خلال ذوق سياقي مقطعي .

(د) أمور أخرى للمنع .

- الممنوع من الصرف والمبنيات والعلاقة بينهما .

وجملة النقاط السابقة يوضح تناولها فكرة المخالفة التي ظهر عليها الممنوع من الصرف في النظام النحوي والخصوصية التي تأكدت للممنوع في الاستعمال اللغوي .

الصرف وعدمه . او التنوين والمنع

يرام بالصرف التنوين وبعدمه عدم التنوين ، ومن المؤكد أن موقع التنوين آخر الكلمة وهو إن حقَّ للنظام أن يتحدث عنه بأنه نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم لفظا لا خطًا فإن لنا مع هذا الحق بعض احترازات منها :

- أن نفي الصورة الخطية ليس نفيا للخط ، وإنما نفي للرمز فالمرفوض في التنوين على المستوى الكتابي أن يرمز له بالنون الأصلية وليس المرفوض نفي الرمز مطلقا فهو موجود من خلال علامات أخرى تأخذ حيزها فوق موقع الحرف الأخير بالعلامة المدركة من وجود ضمتين أو فتحتين أو كسرتين الآن وما وضع النون المقلوبة فوق رمز الضمة دلالة على المرفوع المنون إلا إثبات لحق الرمز .
- هو من العلامات التطريزية التي لم يرد العرب جعلها مستقلة في الكتابه كالصوامت أي الحروف الصحيحة ؛ ومن ثم فهو في حسابهم كالحركات وحروف المد تابع في الرسم للصحيح .
- أن ارتباطه بالاسم ارتباط كثافة وكثرة وارتباط مخالفة له عن بقية أنماط الكلم ؛ لأن التنوين من خلال مفهوم صوتي يتشابه بعض الأفعال والحروف نهاية وتنوين الترنم وصوت الغالي وتنوين كأين وكائن بديلي كم أمور تؤكد ذلك .

فما حق هذا التنوين وما علاقته بالصرف ؟

التنوين أعم والصرف أخص

لعل وضع الكلمة المصروفة في مقابل الممنوعة من الصرف قد منح الصرف قدراً من التخصيص ومنح التنوين الإطلاق . ولعل مؤكد الإطلاق الوارد في حق التنوين الذي يبين أنه أشمل من الصرف تؤكده هذه الإشارات .

يقول سيبويه تحت عنوان هذا باب وجوه القوافي في الإنشاء : « أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو مـاينون ومالاينون لأنـهم أرادوا مد الصوت »[1] . وواقع المد هنا دلالة صوتيه إيقاعية يؤكده قول سيبويه : « وإنما ألحقوا هـذه المدة في حروف الروى ؛ لأن الشـعر وضع للغنـاء والترنم »[2] . ويأتي سيبويه بالتنوين مقابـلا لحروف المد حيث يقول : « وأما نـاس كثير من بني تميم فإنهم يـبدلون مكان المدة النون فيما ينون وما لـم ينون ، لما لم يريدوا الترنم أبـدلوا مكان المـدة نونا ولفظـوا بتمام الـبناء وما هو مـنه كما فـعل أهل الحجاز ذلك بحروف المد سمعناهم يقولون :

« يا أبتا علك أو عـساكن »[3] .

وكلام سيبويـه فيه دلالة على أن التنويـن بالإمكان وضع قيمتـه في مقابل قيمة إيقاعية أخرى هي المد .

وإذا كان التـرنّم آخذا حقّه بوضوح مـن خلال الارتكاز علـى حروف المد نهايةً ؛ فإن النون – ومنها التنويـن – دليل نهاية وسكت لايقل مداها ولا شأو إيقاعها عن شأو حروف المد ولعل هذا الفـهم التنغيمي واضح محدد من خلال كلام ابن يعيش حين تحدث عن تنوين الترنم قائلا :

« وهذا التـنوين يـستعمل في الـشعر والقوافي للـتطريب معاقبا بمـا فيه من الغنّة لحروف المد واللين »[4] وهذا كلام صائب لأنه يدرك واقع التنوين ومماثلته للمد واللين يؤكده بوضـوح قوله : « وقد كانـوا يستلذون الغنه في كلامهم وقد

قال بعضهم : إنما قيل للمطرب مغن لأنه يغنن صوته وأصله مغنن فأبدل من النون الأخيرة ياء »[٥] .

وحديث ابن يعيش رغم وجازته دال على أن النون من موارد الغنة وأن النون صالحة لتأكيد الغناء والتطريب وأن النون ساوت في ذلك حروف المد وذلك في افتراض إبدالها ياء في إيقاع المغني . يتأكد ذلك من خلال توضيح كانتينو الذي يقول فيه :

« فما الغنة في الحقيقة . . إلا نغمة خيشومية ممدودة وترنم يقع بإغلاق الفم »[٦] .

نصوص تذهب بالتنوين مقابلا لحروف المد مما يثبت أن تصويره أشمل من الصرف وأن الصرف أضيق في المفهوم منه يقول صاحب شرح الكافية : « فلو كان تنوين « مُسْلمات » تنوين صرف لزال عند العلمية كما يزول تنوين مسلمة إذا صار علما »[٧] ويؤكد خصوصية الصرف بقوله صراحة : « والصرف أولى من التنوين ؛ لأن التنوين يتناول الصرف وتنوين المقابلة وتنوين العوض وتنوين الترنم »[٨] .

ثوابت تؤكد اختصاص الصرف بمجموعة من الصيغ الاسمية في مقابل صيغ أخرى اسمية أيضا لا تقبله ، وأن التنوين فيه شمول وعموم يثبت الواقع اللغوي ثراءه وقيمته .

التنوين إثراء للواقع اللغوي :

ليس التنوين حلية صوتية فحسب كي أُخْمة تسبغ لغوي عربي فهو يقوم بأدوار متعددة في النظام اللغوي ففي حسباني أنه كالسكون الداخلي الذي يبيح سكتة قصيرة حين الوصل فتصبح السكتة لدى المنشد موازية لفك الكلمات داخل التركيب في لغة أجنبية فحين نقول :

Tell your teacher

أو : Look at this picture

نجد الوقف واضحا داخل الجملتين بالسكون حيث لا إعراب موجود فى نهاية الكلمات ، هذا الوقف يقابله سكون المنون داخل التركيب مثل :

رأى محمدٌ عليًا رؤيةً واضحةً فى المساء

حيث ملاحظة السكتات السريعة الخفيفة الداخلية التى عبر عنها التنوين الموسوم بأنه نون ساكنة تلحق آخر الاسم لفظا .. ولعل حديث ابن رشيق يؤكد قيمة الفصل به بين الكلمتين حين يقول :

« ومنهم من ينون ما ينون ومالاينون إذا وصل الإنشاد أى بنون خفيفة مكان الوصل فجعل ذلك بين كلمتين فينشد قول النابغة :

يا دارَمَيَّةَ بالعلياءِ فالسندِ

منونا إلى آخر القصيدة لايبالى بما فيه ألف ولام ولا مضاف ولابفعل ماض ولامستقبل وهم ناس كثير من بنى تميم »[٩] .

فالنص يعبر عن إنشاد يحقق التنوين داخليا فى غير مكانه حين إرادة الفصل بين الكلمتين أى السكت وإذا حق ذلك فى طريق نفيه نحويا ؛ لأن شطر النابغة كلماته محلاة بأل فإن تحققه مع المنون أصلا أكثر حقا وألزم وظيفة . فالتنوين سكتة داخلية خفيفة لو كان الترنم مطلبا واضحا لدى المنشد لحقّ لهذه السكتة أن يطول مداها وهذا واضح فى القافية وإن كانت سكتة الوقف إن جاءت لتقطع الداخل أوضح منه فى إطار الفصل بين الكلمات .

التنوين إذا يقوم بوظيفة السكت ويختلف مذاق السكت بين قصر المدى وطوله فى بيان حقه الصوتى الذى يثبت قيمة من قيم التنوين .

إن التنوين يَردُ مؤكداً لحق الاختزال في تركيب الصيغة والجملة دون أن تفقد الجملة حدّ الفائدة فيها أو الدلالة وقد يكون له دلالة مخصوصة تمثل فارقا للكلمات التي ينتفي عنها . فمن دلائل كونه عنصر اختزالٍ لغوي مجيئه عوضا عن حرف أو كلمة أو جملة كما هو واضح في تنوين المفردات جوارٍ وغواشٍ وتنوين صدر المركب الإضافي المتصدر بكلمتي كلٍ وبعضٍ في كلٍ وبعضٍ وتنوين الظرف إذْ داخل جملة حين يصبح التنوين بديلاً لجملة محذوفة كما هو واضح من قوله تعالى : ﴿ وأنتم حينئذٍ تنظرون ﴾ ؛ أي حين إذ بلغت الروح الحلقوم ؛ ومن دلائله الواضحة الاختصاص بالشيوع والتنكير حيث الكلمات صهٍ ومهٍ وكل ما ختم بويه وكل ممنوع من الصرف داخل في نطاق العلمية أريد تنكيره ؛ فمع التنوين يأتي الشيوع والإطلاق ومع النفي يأتي التخصيص والتحديد .

يحمل التنوين أيضاً قيمة زمنية تحرك المشتقات إلى العمل ، والقصة المتصلة بامتهان قاضي القضاة في بدء حياته للنحو تثبت ذلك ، فقد كان يقلل من صناعة النحو والنحاة إلى أن سأله الكسائي في حضرة هارون الرشيد : ألا تعتبره في قضايا الشرع ومسائله

وتحتاج إليه ؟ ولما أنكر ذلك سأله الكسائي : ما رأيك في رجلين جاءا إليك معترفين بجرم قال الأول فيه : أنا قاتلُ غلامِك بغير تنوين لاسم الفاعل وقال الآخر أنا قاتلٌ غلامَك بالتنوين وقع أبو يوسف وقد كان عليه أن يفطن من بدء المحاورة أنّ فيها شيئا من الخلاف والإلغاز وقال : آخذهما معا ؛ وهنا أجاب الكسائي قائلاً أخطأت حيث لا يؤخذ الذي نوّن اسم الفاعل لأن التنوين مرتبط باستقبال معناه . أنّ الجريمة بلغة العصر لم تقع فهل يعاقب معترف على شيء لم يقم به . وكي يصل التأنيب والسخرية منه إلى أبعد مدى ذكره بما يثبت ذلك وهو القاضي الذي يعرف أدلته من كتاب الله وسنة رسوله وقال له :

ألم تسمع قول المولى عز وجل ﴿ ولا تقولَنّ لشيء إني فاعلٌ ذلك غداً ﴾[١٠] .

ومن دلائل ثرائه الإيقاعي قوة الإحساس بالتطريب والترنم فيه ففي النون كما قلنا مساحة لدنة نسمعها ختاما للمقطع تن أو دن ، ولعل الصدى المأخوذ من وقوع هذه النون لـو سجل على جهاز يحسب بُعْد الزمن والتردد يثبت حدّ الوضوح والاستمرارية في صوت النون .

إن ناطقا بدنة النون في مكان لأركانه صدى بإمكانه أن يخرج من حيِّز المكان عائداً إليه مسرعا مدركا بقايا هذا الصوت ؛ فمن المؤكد أن غلق مقطع بصوت كالباء في كلمة أبْ يخالف في مداه مقطعا يغلق بالتنوين كالدال في كلمة محمدٌ ، لأجل ذلك استطاع الشاعر أن يرتكز في ترنمه على هذا الصوت فاستملح تنوين الممنوع كما في مثل :

تبصّر خليلي هل ترى من ظعائنٍ   تحملن بالعلياء من فوق جرهم

وأضاف للقافية نغما لم يغال فيه سمي بالترنم ونغما شطّ فيه سمي بالغالي ويبدو أن صناعة النغم هذه الآتية من التنوين كانت من حسبة الإنشاد ومن إضافة المنشد لا من وادي الشاعر إلا لو كان الشاعر يقوم بإنشاد شعره ، وقصة جرير مع الراعي فيها ما يؤكد ذلك .

دامغة جرير : في مأثور التراث الأدبي قصيدة تسمى الدامغة كتبها جرير يهجو بها شاعرا ينتمي إليه بصلة قربى ونسب يقول فيها :

فغضٌ الطرفَ إنك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وهي ذائعة الصيت لقسوتها ولأنها أطاحت بشرف الشاعر وقبيلته ومن هنا كان تناولها للترنم والإنشاد في المحافل مطلبا أدت بالمنشد في لحظة تطريب أن يقول في مطلعها :

أقلّي اللـومَ عاذِل والعتابَنْ   وقولي إن أصبْتُ لقد أصابن

مدخلا في هذا البيت تنوينا ترنميا تطريبيا على الاسم المحلى بأل في الشطر الأول مع مخالفة ذلك نحويا وعلى الفعل الماضي في الشطر الثاني مع المخالفة النحوية والصرفية أيضا ومن هنا بان أن هذا التنوين في الحسبان .

- من صنعة المنشد لا من صنعة الشاعر .
- لايختص بقبيل معين من الكلمات .
- موصول بختام الكلام ، أي بالنهاية ولعل استقراره نهاية الشطر الأول ونهاية الشطر الثاني دليل على ذلك ، ودليل الاحساس بمداه وطوله .
- يعتبر قيمة صوتية لاقيمة نحوية .
- يشبه في الوظيفة الإيقاعية أو يقرب مما يجرى داخل البيت أو نهايته من تنوين للممنوع من الصرف تلمسا للإيقاع ، حيث يقوم التنوين بما يملكه من صدى للنون بهذه الوظيفة .

التنوين جزء من إيقاع ومن ثم تلمس حقيقته وارد في صرف الممنوع خلافا لحق قاعدته وأصبح ضرورة مستحسنة يتطلبها نسق الشعر وذوق الشاعر .

فالاحتياج إلى التنوين يوافق هوى الإيقاع ولايقبل أن يكون إتمام الوزن سبيلا لصرف الممنوع وإنما الحاجة إلى الترقيع القائم في صوت النون هو المطلب ، ومن ثمّ فقد استحسن في إطار جملة الشعر صرف الممنوع وعدّت ضرورته حسنة ، واعتبار الضرورة حسنا نفيٌ لكونها ضرورة اضطرار وإنما هي ضرورة اختيار يلجأ إليها الشاعر راغبا لاعاجزا طالبا للحس الإيقاعي الصوتي الذي تمنحه النون للإيقاع الداخلي ، فتنوين الممنوع من الصرف داخل جملة التركيب الشعري شبيه بتنوين الترنم الممثل لختام إيقاع البيت والشطر .

ولم يقف حد المطلب الإيقاعي للتنوين عند حد الجملة الشعرية وحدها فها هى جملة النثر فى موازنة إيقاعية تحتاج إليه يقول أبو الطيب صاحب الاتباع .

« ومن الاتباع الموسيقى تنوين الممنوع من الصرف سلالا وأغلالاً فإن الأول غير المصروف سلا قد تبع الثاني المصروف أغلالا . فازداد التعبير بالنون والرنين الموسيقى جمالا »(١١) .

والسيوطي يقول : « ويجوز صرف مالايتناسب أو ضرورة والتناسب نحو قوله تعالى : ﴿ وجئتك من سبأ بنبأ يقين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ سلالا واغلالا ﴾ . تتأكد إذاً قدرة التنوين على منح التركيب حساً إيقاعياً واضحاً وهذا ما جعل الشاعر يحققه في غير كلماته حين قال :

ويوم دخلت الخدر خدر عُنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلى

وقول الراجز :

أو ألفا مكةً من ورق الحمى

دلائل الغرابة
في الممنوع وخروج النظام عن المألوف

من الواضح لي كما قلت أن غرابة الكلمة يسلم إلى غرابة علامتها ، ويسلم إلى صعوبة تعلمها وتذوقها ، ولعل الممنوع من الصرف داخل في إطار هذه الغرابة التي مؤداها الخروج عن نظام مفروض للعلامة حيث الضمة دال المرفوع والفتحة للمنصوب والكسرة للمجرور في حدود علاقة المفرد المعرب ، هذا هو طريق التوزيع تؤديه كلمات واضحة مثل:

رجل ، أسد ، عادل ، محمد ، ومن ثم فإن من الغريب أن يتحور مسار الاسم في مخالفة واضحة حيث تكون علامة المجرور فتحة . إن هذا التداخل بين قيمتي النصب والجر يمثل غرابة في نظام العلامة ترجع إلى غرابة الكلمات التي عوملت هذه المعاملة ؛ لأنها كلمات فقدت التنوين دون مبرر تركيبي كأن تأتي مضافة أو محلاة بأل ، ولأنها كلمات بان فيها حق التردد حيث التبس كثير منها بين قبيلين واتضحت الازدواجية غالبا سبيلا لورودها فالعلمية تزدوج معها العجمة أو التركيب . . وحيث جاء التأنيث مشكلا في نهايته تشكيلا يخالف عرف المختوم بالتاء ، وحيث الجمع صيغة خالفت بتناهيها دلالة الجمع المعروفة .

هذا الأرق في حدود تصور الصيغة أسلم إلى أرق في كيفية توضيحها من خلال علامتها .

ما يحدث للممنوع من الصرف حاصل شبيهه لجمع المؤنث السالم الذي ترددت صيغه بين المذكر والمؤنث ، والذي جمع بابه لصوغ الكلمات الأجنبية في نطاقه ، والذي اختارت صيغته جمع جمع التكسير أحيانا فالباحث عن العربية والتأنيث في الكلمات : مطارات ، اسطبلات ، سرادقات ، راديوهات لن يجد

منهـما شيئا وسوف يُفـاجأ بأن صيغا مـثل : شاهقات ، راسيـات ، راديوهات تقوم الـصيغ شواهق ورواسي ورداوى كـما في العاميـة المصرية بديلا عـنها . لدينا ازدواج في حد جمع المؤنث الـسالم أدى إلى غربة في تحديد العلامة الدالة على المنـصوب حيث أصبحت الكـسرة دالا على المنصوب لا الـفتحة ؛ أي أن الخلطة قائمة فيه بين المنصوب والمجـرور ولن يقوم تحديد للموقع إلا من خلال سياق لا من خلال تجريد ونظام .

والباحث الذى أدرك الأرق المـائل فى إعراب الممنوع وجمـع المؤنث سـوف يدرك أن هذه الازدواجية مالت بهذا أن يجـرى فى طريق ذاك فالذى سمي من جمع المؤنـث السالم بإمكـانه في التراث الـنحوى أن يعرب إعراب المـمنوع من الصرف وأن يعرب أيضًا إعراب المجموع بالالف والتاء ، ذلك الأمر واضح فى إعراب الأسماء : عـرفات ، بركات عطيـات وما شاهدُ النحـاة الوارد فى هذه القضية وهو قول الشاعر :

تنورتها مـــن أذرعـــات وأهلها　　　　يثرب أدنى دارها نظر عالى [١٢]

إلا دليل يؤكد ذلك .

نحن أمام كلمات ترددت بين دلالتين ومن ثمّ كان التردد سبيلا لإحداث ما يسمى كـسر المألوف فى سليقة الاستـعمال أو ما يـسمى صدمة النظام الذى حاول التقعـيد للشيء ومخـالفة ومن هنا بات واضـحا أن : مفاجأة الكـلام اسلمت النظام الملخص للاستعمال إلـى مفاجأة الإعراب ، لأجل ذلك كان الرجوع إلى الإعراب الـطبْعي ؛ أى إلى المسار الـواضح طالبـا صلة هـذه الكلمـات بأل أو إسلامها إلى تركيب إضافة لأنهما شـكلان يوضحان حدود الكلمة حيث وجود أل تثبيـت لحق الاسمية وكذلك الإضافـة ، والرجوع إعرابى تركيـبى لا علاقة للتنويـن به ؛ لأن الممنوع بصيغـته إنما رفض التنوين فإن الـرفض فى وجود أل ومع الإضافـة آكـد وأولى حيث يتافر التون أل والإضافة .

مساحات المنع من الصرف في اللغة

وأمر تحديد هذه المساحات محدد في كتب النحو بقيود وشروط فالممنوع من الصرف مجموعة من الأسماء من سماتها :

- اجتماع علتين أو تواتر الكلمة بين حالتين العلمية حالة والحالات الأخرى إما زيادة ألف ونون مثل عثمان ، أو وزن الفعل مثل يزيد أو العدل مثل عمر وزفر أو العجمة مثل إبراهيم أو التركيب المزجي مثل بعلبك أو التأنيث مثل سعاد وفاطمة .

والوصفية حالة ومعها حالة من حالات وزن الفعل مثل أسعد وأحسن وزيادة الألف والنون مثل عطشان وظمآن والعدل مثل فسق ورحل وخبث .

- وجود علة تقوم مقام العلتين . وفي ذلك ترد صيغة منتهى الجموع التي تجري على وزن مفاعيل أو فعاليل أو مفاعل أو فواعل أو فعائل . فالوزن الصرفي ليس حكماً لحدود هذه الصيغة وإنما الوزن المقطعي لأن الصيغة هي كل جمع بعد ألفه جمعه حرفان صحيحان أو ثلاثة أحرف وسطهن ساكن وفي ذلك توضع مساجد وكنائس وحوافز في قالب واحد رغم اختلاف أوزانهن ، ومفاتيح وقناديل وقوارير في شكل واحد أيضاً فكان الحاكم لمنع الصرف هنا مانع مقطعي حيث يكون ملمح الشكل الأول رغم اختلاف الوزن الصرفي :

مساجد كنائس حوافز وتصور هذه الكلمات المقطعي واحد هو :

ص ح / ص ح ح / ص ح / ص ح [١٣] .

- والمنع من الصرف مقتضاه عدم الوصول بالمقطع الأخير وصلا لئن يكون متوسطا مغلقا أي على هيئة (ص ح ص) .

ومعنى ذلك أن بنية هذه الكلمات لاتصل إلى هذا الحد غير المقبول فى نظام الكلام

ص ح / ص ح ح / ص ح / ص ح ص

ويكون ملمح الشكل الثانى وكلماته :

مفاتيح قناديل قوارير على النحو التالى :

ص ح / ص ح ح / ص ح ح / ص ح

والمنع يقتضى عدم تحويل المقطع الأخير القصير إلى متوسط مغلق وهنا يتصور رفض البنية التى على نحو :

ص ح / ص ح ح / ص ح ح / ص ح ص الاسمية .

وفى وجود العلة القائمة مقام العلتين يأتى المختوم بألف التأنيث الممدودة مثل الكلمات حسناء وصحراء وحمراء ويبدو أن زيادة الهمزة باعتبارها قُفل الكلمة عن طريق تطويل مد الألف قبلها يمثل سرا من أسرار منع هذه الكلمة التنوين فلم يعهد صرف لصيغة صحراء لأن الكلمة حال منعها تتشكل سياقيا من المقاطع :

ص ح ص   ص ح ح   ص ح

وهى لاتقبل فى السياق ان تنتهى بمقطع متوسط مغلق فتجرى على نحو :

ص ح ص   ص ح ح   ص ح ض

ذاك تصور موجز للمنع من ناحية الورود المقطعى ومن خلال الارتكاز على مثل هذا التصور نحاول رؤية انماط الممنوع من الصرف رؤية أكثر تفصيلا .

العلمية والتركيب المزجي

والمزج الحاصل بين بنية كلمتين يسلم إلى اختزال أو تغيير لبعض الأصوات حروفا أو حركات والمركب المزجي في غالبه خلطة حاصلة بين كلمتين إحداهما غريبة عن العربية ؛ ومن هنا فمن المتصور أن في أغلبه جزء عجمة تؤكد منعه بالإضافة إلى التركيب .

والكلمات التي تذكرنا بهذا المركب بعلبك حضرموت معديكرب رام هرمز يضاف إليها ما استخلص من حياتنا المعاصرة من كلمات مثل بورسعيد بورتوفيق بورفؤاد وهي كلمات جماع كلمتين Port بمعنى ميناء والعلم الذي تنسب إليه هذا الميناء ؛ ومن الملاحظ أن المزج أدى إلى اختزال صوت [12] من حد الكلمتين . ولعل حديثا للنحاة يوضح أمر هذا المركب يقول صاحب شرح الكافية : « المركب تركيب مزج نحو « بعلبك ومعديكرب » وهذا النوع في الأصل اسمان جعلا اسما واحدا لا بالإضافة ولا بإسناد بل بتنزيل ثانيهما من الأول منزلة تاء التأنيث ولذلك التزم فتح آخر الأول إن كان صحيحا كلام بعلبك . وإن كان معتلا كياء معديكرب التزم سكونه تأكيدا للامتزاج »[14] .

فطريق التركيب هنا بين الاسمين خارج عن طريق الإضافة ، أي لايشبه المركب الإضافي مثل زين العابدين وعبدالله وخارج عن طريق الإضافة ، أي لايشبه المركب الإضافي مثل زين العابدين وعبدالله وخارج عن طريق الإسناد أي لايشبه المركب الإسنادي مثل : تأبط شرا وشاب قرناها . والحاصل للكلمة الأولى عند المزج نوع من التغيير الصوتي فقد تحولت « بعل » العبرية أصلا لكثرة اشتقاقها في العبرية وتعدد دلالاتها [15] من ساكنة اللام إلى محركة اللام بين المزج والاختلاط ، والتزمت « معدى » السكون لتمام المزج حيث لو حركت الياء لبان الفصل واضحا بين الكلمتين ، ولعل رؤية مقطعية للكلمتين قبل تصور المزج وبعده توضح المفارقة النسبية بين الحالين .

بعلْبك قبل المزج تتكون من ص ح ص ح ص ص ح ص

بعلبــك بعد المزج تتكون من ص ح ص ص ح ص ح ص

والحاصل حدوث تبادل مقطعي حيث المـقطع القصير الاول ثانيًا والمتوسط الثانــي أولاً فالخلاف في تبـادل موقعية المقـاطع وهو خلاف برّز المـزج وسوّغه وغيرّ بـدوره موقع النـبر وهذا ملاحـظ في نطق بعـلبك ساكـنة اللام ونطـقها محركة اللام .

معدى كرب وهي قبل المزج وبعده على حال واحد :

ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح ص
مع	دى	ك	رب

حيث مـن الواضح ثبات موقـع المقطع الثانـي ولو حركت ياؤه ولم يـثبت لكان منطوق الكلمة مقطعيا :

ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص
مع	د	ى	ك	رب

ومن الواضــح خلوص الكلمـة وقتها إلى المقـاطع القصيرة عـلى حين أن الغلبة في الأولى للمـقاطع الطويلة المغلقة . وتعدد مناطق الـنبر بناء على تعدد هذه المقاطع يثبت أن الموجود أكثر من كلمة ومن هنا يضيع حد المزج ومراده . وسكون الياء في معديكرب مستصحب لازم أيضًا مع التركيب مطلقا يؤكد ذلك صاحب شرح الكافية إذ يقول :

« وقد يضاف أول جزأي المركب إلى ثانيهما فيستصحب سكون ياء معديكرب »[١٦] ومن الكلمات التي تأكد تركيبها المزجي كلمة رام هُرْمُزْ المركبة من كلمتين يميل نسجهما إلى غير العربية حين الإفراد ؛ لأن الأولى رامْ جوزت التقاء الساكنين ، ومع التركيب المزجي أصبحت الكلمة بفتح الميم على هذا النحو المقطعي :

ص ح ص   ص ح   ص ح ص   ص ح ص

را   م   هُرْ   مُزْ

والغلبة كما هو واضح للمقاطع المتوسطة ومع سبق التركيب أى مع إفراد الكلمتين باعتبار مذاق بيتيهما كان التصور المقطعي على نحو :

رام هرمز   ص ح ح ص   ص ح ص   ص ح ص

رامْ   هُرْ   مُزْ

والمقطع الأول كما هو واضح لايُقبل فى سياق تركيب عربى إلا نهاية ؛ لأن قبوله لايحدث إلا عند الوقف أو مع كل مثلين مدغمين قبلهما حرف مد ؛ فالمزج قد غير صورة المقطع خضوعا لأمر السياق .

ولعل الناظر المعاصر لمركبات مثل بورسعيد وبورتوفيق يلمح الشطور الحاصل من أجل المزج فمع وضوح الكلمتين المفردتين على نحو بورْتْ سعيد وبورْتْ توفيق يكون التصور المقطعي :

ص ح ح ص ص[١٧]   ص ح   ص ح ح ص

بورْتْ

ويلاحظ أن الكلمة الأولى استوعبتها صورة مقطعية ليست فى نظام العربية لأنها سمحت بالتقاء ثلاثة سواكن وهذا منطق تبرره لغة الكلمة ، وأن الكلمة الثانية قد سلم تصورها المقطعى لعروبتها . هذا النحو السابق من تصور الكلمة وهو فى طريقه إلى المزج اختصر كم المقطع الذى صورته الكلمة الأولى Port حيث تمّ اختزال صوت التاء وهى ساكنة فأصبحت الكلمة بورسعيد مكونة من :

ص ح ح ص / ص ح / ص ح ح ص

ولان المقطع الأول لايسرى فى سياق الفصحى إلا نهاية فقد حولته الفصحى المعاصرة إلى ص ح ص باختزال الحركة الطويلة وهى الضمة وجعلها قصيرة ليكون النطق الحالى للكلمة :

بُرْسعيد وهى تخلص مقطعيا إلى :

ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص .

وهو نطق يثبت المزج ويسرى مع الإلف العربى .

ذاك تصور صوتى لحق المزج فهل من الثابت فى حق الإعراب شكل المنع وحده ؟ للمركب المزجى مورد فى اللغة يقربه من المركب الإضافى وذلك فى إعراب صدره يقول بعض النحاة :

« قد يضاف صدر المركب- يعنى المركب المزجى - فيتأثر بالعوامل . . مالم يعتل فإن اعتل الصدر لم يتأثر بالعوامل حينئذ ، أى لم يظهر تأثره . . وللعجز حينئذ . . ماله لو كان مفردا ، أى من الصرف وتركه فموت من حضرموت مصروف وهرمز من رام هرمز ممنوع . . . وقد لايصرف كرب مضافا إليه معدى فإذا قلت هذا معدى كرب فعند سيبويه والفارسى أن كرب معرب غير منصرف لكونه علما مؤنثا ويحتمل كون الفتحة للتركيب . وقد أجاز السيرافى الوجهين

وفي كل منهما شيء أما الأول فلثبوت تنوين كرب وأما الثاني فلعلة التركيب هنا » [١٨] .

ومفاد هذا الكلام ما يلي :

- إمكان إضافة صدر المركب المزجي متأثرا بالعوامل ويبدو التأثير واضحا أي ظاهرا إذا كان الصدر غير معتل كما في بعلبك تقول هذه بعلبك ، رأيت بعلبك .....

- أما العجز فالجواز فيه يرجع إلى خصوصية الكلمة ففي « حضرموت » يصرف العجز مجرورا بالكسرة مع التنوين أو يمنع فيجر بالفتحة مع عدم التنوين ، وفي « رام هرمز » فمع الإضافة يمنع العجز من الصرف والجر بالفتحة دون تنوين ومع « معديكرب » فالصرف والمنع قائمان فتنون باء كرب المكسورة أو تفتح دون تنوين .

هذا الخلاف بين هذه المركبات يثبت التوتر القائم بين علاقات المركب المزجي والمركب الإضافي ففي المزج شيء من الإضافة ، كما أن في نهاية هذه المركبات شبهة التلاقي مع المبني منها يؤنسنا في ذلك قولهم عن كلمة « كرب » حين تفتح ممنوعة من الصرف حين مجيئها مضافة غير متصرفة « ويحتمل كون الفتحة للتركيب » [١٩] .

ومعنى ذلك أن الفتحة في نهاية « كرب » شبيهة بفتحة البناء وقد تأكد ذلك من قولهم « وقد يبنى هذا المركب تشبيها بخمسة عشر فيقال هذا بعلبك بفتح اللام والكاف وإذا فتحت لك في معديكرب فتح الباء » [٢٠] . ومثل هذا الكلام يتأكد من خلال قول سيبويه « ونحو ذلك من كلامهم كثير ... أشار إلى تركيب البناء ومن النحويين من يجوز ذلك » [٢١] .

ومعنى ذلك إمكان دمج المركب المزجي إدراج المبني للتركيب ، أي أنه شبيه بالمركب العددي وهذا يأخذ بنا إلى تفسير الغموض في هذا المركب بالغموض القائم في المبنيات .

وزن الفعل محقق للمنع

حين يأتي الاسم والصفة خالصين لوزن الفعل فمعنى ذلك أن مساواة بينهما وبين الفعل قائمة في الشكل على مستوى الافراد ؛ ومعنى ذلك أن توترا أصاب حدود الكلمات التي على هذا النحو ؛ ومن هنا كان الاستئناس بشكل الفعل وسوغه في السياق مسلما إلى رفض الكسرة علامة جر وجعل مناقضها سبيلا للإعراب حيث الكسرة ليست إعرابيا من خصوص مجرى الأفعال فالفعل مبني أو معرب والمعرب إما مرفوع أو منصوب أو مجزوم . وشرط المنع من الصرف مشاركة العلم لوزن من أوزان الفعل فإذا ما شارك الفعل وزنٌ من الأسماء لم تصبح هناك مخالفة كبيرة ومن ثمّ يصرف الاسم وقتها وفي هذا يقول صاحب شرح الكافية « وإذا كان الفعل المسمى به على وزن يشاركه فيه الاسم دون مزية لم يؤثر فلذلك يقال في المسمى بالأمر من ضارب هذا ضاربٌ ورأيت ضاربا » (٢٢) والشرط في الصفة حين تأتي ممنوعة « أصالة الوصفية وكون الوزن من الأوزان التي الفعل بها أولى » (٢٣) . وذلك متحقق في الأوصاف احمر ، أصفر اخضر ، أعظم ، أسعد ، أجمل ، وهي صفات جرت في الشكل مجرى الفعل الذي على وزن « أفعل » الذي أوله زيادة تدل على معنى في الفعل وتثبت علاقة المشابهة وهي الهمزة في أوله ؛ وبناء على هذا الشرط الوارد يبدو أن الصفات : أرْنب التي يراد بها ذليل وأكلب التي يراد بها اخساء لاتمنع من الصرف لعدم أصالة الوصفية إذ هي عارضة حيث سرعان ما تستخدم هذه الكلمات اسماء لاصفات . فقد منعت أسماء عارضة هي الأصل صفات مثل « ادهم » للقيد التي تعتبر جارية مجرى الأسماء الجامدة لأن ذلك كما يقول صاحب الكافية عارض . وصاحب شرح الكافية يؤكد أن أصالة الوصف مع وزن الفعل ثابتان للمخالفة الإعرابية وعدم التنوين فهو يقول : « بخلاف أحمر فإنه على وزن الفعل به أولى لأن أوله زيادة تدل على

معنى في الفعل دون الاسم . . من نحو أرمل وهو الفقير . . يعمل وهو الجمل . فكل واحد من هذه الأمثلة وصف أصيل الوصفية وعلى وزن فعل مضارع . . لكنها تلحقها تاء التأنيث فيقال امرأة أرملة . . وناقة يعملة فانصرفت لذلك » [٢٤] .

حدود المنع من الصرف هنا تتحقق من خلال ما يلي :

وضوح شكل الفعل في صيغة الممنوع ومن هنا يضيع الشكل إذا ما أنثت [illegible]
من الوصف ويقبل العارض من الاسم[٢٥] » ومعنى ذلك كما نلاحظ طغيان حق الاسمية في دلالة المنع حين المشابهة بالفعل فهي مقبولة أصليه كانت الاسمية أو عارضة . والملاحظ للمشابهة حين يلجأ إلى الموازنة الصوتية المقطعية يجد أن الفعلين : أسرع ، أخرج يساويان الصفتين أحمر وأرمل في سياق النصب والجر تماماً لأن القبيلين معا يتكونان من :

ص ح ص / ص ح / ص ح

ويجد أن الفعلين يميل ويفتح شبيهان بالعلمين يزيدُ ويعمل بحسب مواقع إعرابية هي الرفع والنصب وخلوص الاسمين إلى الجر دون اعتبار جزم الأفعال فالفعلان السابقان يتساويان مقطعيا مع العلمين فهما على نحو :

ص ح / ص ح ح / ص حُ في التلاقي بين يميلُ ويزيد و ص ح ص / ص ح / ص ح في التلاقي بين يفتح ويعمل .

فالارتباط كما هو ملاحظ كبير وفي اعتبار العلمية التي لم تحدد باستثناء في تصور المنع نجد ابن قتيبة يقول « وكل اسم في أوله زيادة نحو يزيد ويشكر ويعصر وتغلب وإصبع وأبلم ويرفع وإثمد كل هذا لاينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة هذا إذا كان الاسم بالزيادة مضارعا للفعل فإن لم يكن

مضارعـا للفعل صـرفته نحو يـربوع وأسلوب وإصليـت ويعسوب وتـحضوض وهوتمر »[٢٦] . والمنـع من خلال النـص مرتبط بـأمرين العـلمية المـعبر عنـها بالتعريف وشبه الفعل . وفى إطلاق المشـابهه أيا ما كان نوع الفعل يقول بعض النحاة . . ويمـنع صرف الاسم أيضًا وفاقـه الفعل فيمـا يخصه كما لـو سميت بانطلـق واستخرج . . . أو هو به أولى وهو المـعبر عنه بالوزن الغـالب وهو ما يوجد فى الاسم والفعل وأوله زيادة من زيادة المضارع نحو يشكل وأفكل »[٢٧] ومراد النص أن المشابهة تـتعدد بتعدد أقسام الفعل فهناك شبهية تتصل بالمضارع الذى تحققت فى أوله زيـادة مثل أحمد وأفكل وأسلم ويشكر ويـعصر وتغلب ويرمع ، وهناك شبهـية تتجه إلى الأمر كالأعلام إصبعْ وأبْلم وإثـمد ، وشبهية تتجه إلى المضى كما لو سميت باستخرج وانطلق . وفى هذا التقسيم يبدو إطار المساواة بين الممنوع والـفعل محددا من خلال التصور المقطـعى التالى فالأعلام التى وافقت المـضارع ساوته كما وكيفـا فكلمة « أحمد » حين تـرد فى قولنا : أحمدُ مريض أو قولنا : احمد الله ربى ترد بتصور مقطعى واحد هو :

ʔ ah[٢٨]	ma	du
ص ح ص	ص ح	ص ح

⟵

وكلمة يشكر ترد أيضًا رغم الخلاف التقسيمى بين العلمية والفعل على نحو مقطعى واحد سواء أقلـنا : يشكر ينتمى إلى عائلة كبـيرة ، أم قلنا : هو دائمًا يشكر صديقه . فالكلمتان معا اتفقتا كما وكيفا على نحو :

yas	ku	ru
ص ح ص	ص ح	ص ح

⟵

وهذا حاصل أيضًا في تغلب ؛ حين تستخدم علمًا كما في قولنا : تغلب قبيلة عربية وكما قلنا : تغلب يالحق الظالم فالاتفاق في الكم والكيف واضح لأن تصور الكلمتين هو :

Taɣ	Li	bu
ص ح ص	ص ح	ص ح

⟵

والأعلام التي وافقت الماضي والأمر وسارت مسارهما لم تستطع أن تصل بالمشابهة السياقية المقطعية إلى منتهاها ؛ لأن المضارع إن حلا له أن يرفع وينصب فالممنوع المشبه له ينال حق الضمة والفتحة نهاية . أما مع الماضي والأمر فلا اعتبار للموافقة إلا بطرح اعتبار النهاية ؛ ومن ثم كان المسار الإعرابي مع هذه الأعلام أشق من الشبيه بالمضارع . فالأعلام التي وافقت الأمر مثل إصبع وإثمد وأبلم لو تصورناها موازية لأفعالها لكانت الموازنة على النحو الآتي :

الأمر		العلم المشبه إياه	
اضرب	ʕid / rib	إثمد	ʔiθ / mid
العب	ʕil / ?ab	إصبع	?is / bas
	ص ح ص / ص ح ص		ص ح ص / ص ح ص
اكتب	?uk / Tub	أبلم	?ub / Lum
	ص ح ص / ص ح ص		ص ح ص / ص ح ص

وهنا تبدو الموافقة تامة مع اعتبار الممنوع من الصرف موقوفا عليه ويقل حد هذه الموافقة مع الوصل لأن حركة الممنوع من الصرف الإعرابية سوف تغير هذا التصور السابق وهذا واضح في الفارق بين قولنا : اضربْ يا محمد المخطئ وقولنا :

إثمد يا أخي أقبل إلينا . فالكلمة اضرب فعل أمر بحكم بنائها على السكون مكونه من مقطعين متوسطين مغلقين هما (ص ح ص / ص ح ص) . أما اثمد في سياقها بحكم كونها مناديا مبنيا على الضم تتشكل من مقاطع ثلاثة هي : (ص ح ص / ص ح / ص ح) والفارق في كم المقاطع يسلم إلى فارق في كيفها ..

علاقة العلم الممنوع بالماضي مع اعتبار الوصل تساوي كميا وإن كان الخلاف في كيف المقاطع فالتسمية بالفعلين استخرج وانطلق توافق الفعل في حالة النصب ؛ لأن حركة البناء على الفتح هي فتحة العلم المنصوب أو المجرور بالفتحة لكن الخلاف حين الرفع بين العلم والفعل قائم . هذا الخلاف الكيفي يمثل غرابة حين استخدام هذه الكلمات مرفوعة ؛ لأن مستمعا لمقاطع استخرج على نحو استخرجُ :

?is	Tax	ra	gu
ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح

سوف تنتابه غرابة ضم المقطع النهائية ؛ لأن اذنه ألفت ذوق هذه الكلمة وأمثالها منتهية بفتحة . فالغرابة في الموازنة قائمة . وهي في العلاقة القائمة تمثل في إطار ذوق الأفعال والأعلام المساوية لها نوعا من الاغتراب .

العجمة : محاور حول الموقع والمنافرة والذوق

اتسع أثر الكلمات التي خضعت لمفهوم الأعجمي حين دخلت هذه الكلمات أعلاماً في العربية دالة على أشياء وأشخاص وفي إحساس المتلقي بذوقه لكلمتي إبراهيم ويوسف في ظل سياق عربي بأن الأمر أكثر قبولاً من إحساسه بذوق كلمات مثل نيكسون وبيلتون وكلتون وهاتموت في ظل هذا السياق ؛ ومن هنا بدا أن العجمه في نطاق التقبل والذوق عجمتان . وفي نطاق تحديد هذا الحدث والتأكد منه لابد أن تكون النقاط الآتية محورا لبحث وحديث وهي نقاط تدور حول موقع العجمة مكانا وزمانا والفي العربي للأعجمي وتعريبه ووضوح التصورات المقطعية في تحديد الأعجمي وما يقبل من نسق صوتي في الأعجمي ولايقبل في العربي ومورد الفارسية وغيرها في السياق العربي .

الموقع والزمان :

في دلالة البحث عن أجنبي في العربية وقت تحديد ما يسمى الأعجمي في نظام الدرس اللغوي دارت فكرة أن المراد بالأعجمي غير العربي ، وكانت مساحة غير العربي المكانية كبيرة يدخل فيها بلاد الهند والسند والصين والروم والفرس والأحباش ، أي أن المكان مطلق وقتها متسع ، لكن هذه المساحة الجغرافية الكبيرة لم تهمل الدارس وقتها يغفل أمرين :

- كثرة الكلمات الفارسية والعبرية وطغيانهما في ظل البحث عن الممنوع وندرة كلمات اللغات الأخرى وهذا أمر بين فالمجاورة في الموقع مشاركة لغوية والتصاق بيني ، كما ندرت للغاية كلمات من موقع الهند والصين وقد كان الإحساس بالبعد المكاني في حس العربي واردا حين يكون من بلاد الصين والهند والسند فقد أصبحت هذه المواقع رمزا للحصول على الشيء البعيد .

- ذوق الكلمات فإن الذوق العربي كان يستسيغ نطق الفارسي والعبري داخل منظومة السياق العربي الذي تعتمد فيه الكلمة العربية على تغيير آخر الكلمة لصالح الموقع الإعرابي واتباع ظواهر العربية من عدم إمكان البدء بالساكن أو الوقوف على متحرك أو التقاء ساكنين أو كراهية توالٍ إلى آخر الأمور التي تمثل قوانين اللغة العامة وتحكم مسارها ؛ ولم يكن لهذا الذوق أن يتأهب لقبول كلمات واردة من موقع ناءٍ بعيد .

هل كان في حس المقعِّد العربي وقتها إحساس بهذه المفارقة وهل كان يصرِّح بأن للعجمة حدودا؟ أو هل كان يشمّ هذا الإحساس وإن لم يصرح به؟

في حسباني أن التصريح غير وارد وأن القضية تبدو على استحياء خبيئة الإحساس والإدراك . يقول صاحب قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان :

« ثم إن كل من عدا العربي فهو عجمي ، سواء الفرس أو الترك أو الروم أو غيرهم ، وليس كما تتوهم العامة من اختصاص العجم بالفرس ، أما الأعجمي فالذي لايفصح في الكلام وإن كان عربيا ، ومنه سمي زياد الأعجم الشاعر وكان عربيا »(٢٨) .

عرض القضية في هذا النص للعجمة تثبت أنها وإن أطلقت فهي في ذوق المتلقي مخصوصة بموقع ومكان ويكفي أنها في ذهن العامة وهم من يتتجون الكلام لامن ينظِّرونه مخصوصة بالفرس . ذاك حيِّز كما ترى يثير أمر هذه القضية وأنه من المحتمل أن تكون هناك وجهتا نظر في إطلاق العجمة مكانيا أو تحديدها .

وفي تحديد المراد الزمزمة لدى ابن جني يقول :

« ورأيت مع هذا أبا علي رحمه الله كثير المستوحش من الابتداء بالساكن

في كلام العجم ولعمري إنه لم يصرح بإجازته ، لكنه لم يتشدد فيه تشدده في إفساد إجازة ابتداء العرب بالساكن . قال ذلك لأن العرب قد امتنعت من الابتداء بما يقارب حال الساكن وإن كان في الحقيقة متحركا يعني همزة بين بين ، قال فإذا كان بعض المتحرك لمضارعته الساكن لايمكن الابتداء به فما الظن بالساكن نفسه !

قال وإنما خفي حال هذا في اللغة العجمية لما فيها من الزمزمة يريد أنها لما كثر ذلك فيها ضعفت حركاتها وخفيت »[٢٩] .

ورغم وضوح دلالة النص في مخالفة العربية للبدء بالساكن وقبول كلام العجم كما يقول ابن جني للملك ، ورغم إحساسي بأن الهمزة التي يؤتى بها لحل إشكال البدء بالساكن في العربية ليست همزة خالصة وإنما هي بتعبيرنا المعاصر صويت بين بين ، أي بين الصائت والصامت . أقول رغم دلالة ذلك فإن ابن جني حين مثل لقبول البدء ربط قبوله بتحمل العجمة له لما فيها من الزمزمه .

والراصد لموقع الزمزمة سوف يجد أنها « كلام للمجوس عند أكلهم يتراطنون وهم صموت لايستعملون اللسان ولا الشفة إنما هو صوت يديرونه في خياشيمهم وحلوقهم فيفهم بعضهم عن بعض ، وفي الحديث أن عمر ﷺ كتب إلى أحد عماله في أمر المجوس أن ينهاهم عن الزمزمة »[٣٠] فالزمزمة التي نهى عمر ﷺ عنها خالصة للمجوس . والمجوس كما ندرك هم عبدة النار من فارس وقد ارتبط حديث العجمه لدى ابن جني بالزمزمه مما يعني أن موقع العجمة موقع فارسي . وفي خصوص تحديد اللذين كانوا على دراية بالعربية في فترة ابن جني التي هي جزء من مسار عصر عباسي اعتمد في نشأته على جهد الفرس كما اعتمد على جهد العربي يقول :

« وأيضًا فإن العجم العلماء بلغة العرب وإن لم يكونوا علماء بلغة العجم فإن لاشتراك العلوم اللغوية واشتباكها وتراميها إلى الغاية الجامعة لمعانيها »[٣١] .

ومع براعة النص في القول بأن المعرفة بلغة تسهل أمر المعرفة بلغة أخرى مما يثبت أن الظاهرة اللغوية في لغات الدنيا لها أسس حاكمة مشتركة رغم تفرق اللغات فإن الذى استأنس به أن حوار العجمة يدور حول رجل متحدث بالعربية أصله أعجمى وما جرى هذا إلا لأهل فارس ممن كانوا موالى للعرب فالاحتمال حول تخصيص العجمة بقبيل بشرى معين أمر وارد .

وفي إطار البحث عن دخيل سار ركبه إلى وادى العربية نجد صاحب المزهر يتحدث عن ابن دحية الذي يقول : « العرب أقسام : الأول عاربة وعرباء وهم الخلص ، وهم تسع قبائل من ولد إرم بن سام بن نوح وهى : عاد وثمود واميم وعبيل وطسم وجديس وعمليق وجرهم ووبار ومنهم تعلم إسماعيل عليه السلام العربية .

والقسم الثانى المتعربة : قال في الصحاح وهم الذين ليسوا بخلص . وهم بنو قحطان . والثالث المستعربة وهم الذين ليسوا بخلص أيضًا كما في الصحاح قال ابن دحية وهم بنو إسماعيل ، وهم ولد معد بن عدنان بن أد »[٣٢] .

في هذا الحوار الذى يتحدث عن الذين ليسوا بخلص متجها إلى إسماعيل العبرانى تأكيد بأن العبرية مورد متاخم لموقع العربية والمحور الجغرافى الذى تحرك منه العبرانيون لم يخرج عن موقع الرافدين وموقع مصر وفلسطين ، أى أن الموقع الوافد الممتزج موقع مجاور قريب وأمر العبرية في اتصالها بالعربية لايحتاج إلى تثبت وإلى تأكيد فالعبرية أخت العربية وهما بنتان من بنات السامية . دائرة العجمة إذا تحوم حول عجمتين الآن عجمة الفرس وعجمة العبرانيين ، ولعلنى قلت بأن مورد الفارسية قد كثر أمره وثما للخلطه الواردة بين الفرس والعرب قديما من خلال أطراف دولة الاكاسرة المتاخمة لشبه الجزيرة

العربية حتى كاد الحديث عن الأجنبي يصبح خالصا للفارسية. يقول الجواليقي تحت باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي :

« اعلم أنهم كثيرا ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجا . وربما أبدلوا ما بَعُد مخرجه أيضا . والإبدال لازم لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم »[33] . ويتابع حديثه مصرحا بمنظوره الفارسية وغلبتها في هذا المجال قائلا : « وربما غيروا البناء من الكلام الفارسي ، إلى أبنية العرب »[34] .

ويتحدث الجواليقي عن هذا التغيير خالطا في المفهوم بين ما هو فارسي وعبري كما يبدو من حديثه التالي :

« فمما غيروه من الحروف ما كان بين الجيم والكاف وربما جعلوه جيما وربما جعلوه كافا وربما جعلوه قافا لقرب القاف من الكاف قالوا كُربج وبعضهم يقول قربق ... وأبدلوا السين من الشين فقالوا للصحراء دَسْت وهي بالفارسية دشت وقالوا سراويل وإسماعيل وأصلهما شروال واشماويل وذلك لقرب السين من الشين في الهمس »[35] .

الخلطة واضحة بين الفارسية والعبرية حين وضع الجواليقي كلماتهما في محور واحد فالدشت كلمة فارسية وإسماعيل كلمة عبرية .

وفي بيان هذا التغيير والخلطة يقول أبو عمرو الجرمي « وربما خلطت العرب في الأعجمي إذا نقلته إلى لغتها» وأنشد عن أبي المهدي :

يقولون لي شنبذ ولست مشنبذا   طوال الليالي أو يزول ثبير
ولا قائلا زودا ليعجل صاحبي   وبستانُ في صدري عليّ كبيرُ »[36]

فالكلمات الواردة هنا فارسية وهي شنبذ التي هي شوف بوذي وزود وهي اعجل وبستان وهي بمعنى خذ . قال الجرمي :

« وإذا كان حكي لك في الأعجمية خلاف ما العلامة عليه فلا تردّنه تخليطا فإن العرب تخلّط فيه وتتكلم به مخلطا ؛ لأنه ليس من كلامهم فلما اعتنقوا وتكلموا به خلّطوا .

وكان الفراء يقول يبنى الاسم الفارسي أيّ بناء كان إذا لم يخرج عن أبنية العرب »[٣٧] . مورد الغريب إذا لاصقت بيئته بيئة العربي مقبول في نسق عربي والأمر ملحوظ في مجمل ما قال به الجرمي وما نظمه وقعده الفراء حيث النص لديه على أن هذا الأمر خاص بالفارسي وهذا واضح من قوله « يبنى الاسم الفارسي » ؛ أي الأعجمي من خلال هذا الخصوص . والعلاقة بين الفارسية والعربية تتمثل في كمٍّ ضخم من أسماء الأشياء والأعمال والأعلام احتلت مكانها في ثروتنا اللغوية المعجمية وقد أدرك اللغويون ذلك كابن قتيبة والجواليقي وابن جني والسيوطي . وها هو السيوطي في مزهره يقول :

« وثمّ ألفاظ شائعة على الألسنة لكنها أعجمية الأصل تأتي في نوع المعرّب » ويستطرد في تفصيل هذه الألفاظ قائلاً :

« وقال الثعالبي في فقه اللغة فصل في سياقه أسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكية مستعمله الكف ، الساق ، الفارش ، البزار ، الوزان ، الكيال ، المسّاح ، البيّاع ، الدلأل ، الصراف ، البقال ، الجمال »[٣٨] .

إن العربي حين توجه إلى الأعجمي توجه إلى ثقافة أخرى ليست بعيدة عنه يعرفها ؛ ومن ثمّ فإن ذكر أبي حاتم لقصة اللعب الفني بالأعجمي داخل الشعر تثبت عجمة يعرفها الشاعر العربي وما كان الشاعر يعرف غير أطراف دولة الأكاسرة ودولة الغساسنة يقول الجواليقي :

« وذكر أبو حاتم أن رؤبة بن العجاج والفصحاء كالأعشى وغيره ربما استعاروا الكلمة من كلام العجم للقافية لتستظرف ولكن لايستعملون المستظرف وربما أضحكوا منه كقول العدوي :

أي النقى من العيوب . وقال العجاج :

كما رأيت فى الملاء البردجا

وهم السَّبى

ويقال لهم بالفارسية ، بَرْدَه فأراد القافية (٣٩) .

هذه علاقة مجاورة يرجح فيها كم الفارسية وما أمر العبرية عن الفارسية ببعيد فالعلاقة بين العبرية وأخواتها الساميات المتجاورات بالعربية لايحتاج إلى تدليل فالأرومة واحدة وأسماء الاجناس تثبت الاشتراك ونظام الضمائر والإشارة والجمع والعطف وصوغ المشتقات يؤكد التلاقى ومن ثم يؤكد القرب وحدة الأرومة والنسب . وتلك جملة من نماذج تثرى حق المقاربة وتؤكد هذا التلاقى .

فكلمة « أب » العربية وكذلك لبنة وحديث وهيكل وعين ودم وبعل ويوم وملأ وفتح وبيت وكل وجمل كلمات ترد فى العبرية بمنطوقها - مع اختلاف يسير - ودلالتها .

والقرب الدلالى واضح وكذلك الصوتى ولعل المقابلات الآتية توضح ذلك فكلمة لحم العربية تقابل לחם العبرية وهى بمنطوق نصح العبرية التى تتفق مع لحم دلالة وكلمة مال مقابلها العبرى [illegible] أى لما والمال يمثل النماء فى حس العربية وكلمة مسح يقابلها מחק العبرية أى محق والمسح والمحق بمعنى ، وكلمة حنطة تأخذ فى العبرية الدلالة الصوتية בר التى تساوى البُرّ والبر والحنطة سيان .

هكذا يتضح التلاقى فى أسماء الأشياء ويزداد حده إذا ما توقف الدارس عند حدود التلاقى على مستوى صوغ البنية أو التركيب (٤٠) .

من خلال ذلك الاتفاق مع تحسب موقع الدخيل يبين أن العجمة المحوية في ذهن العربي ولسانه هي العجمة التي تلقاها وساغ وجودها في بناء عربي دون منافرة وأنها مرتبطة بموقع جغرافي يتاخم حدود شبه الجزيرة العربية شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ؛ ولعل دوام الاتصال من خلال عادة الاستعمال يسر لهذه الكلمات وجودها في مذاق عربي حيث لم يسمح للغات أخرى لم تملك حدود هذه المشاركة والاستعمال يدفعني إلى هذا تصور لبعض الأسماء المنتهيه بواو حيث كنا نحدد غربتها قائلين لم يوجد من ذلك إلا اسمان سمندو وقمندو والواقع أن هاتين الكلمتين أقرب إلى كلام الهنود الذين يختمون اسماءهم بالواو فيقولون بارجو ، ماندو ، سابو ، نهرو ، ولعل اعتبار الدخيل مقرون بقيم صوتية تركيبيه أدركها الدارسون بخصوص الكلمات الأعجمية . يقول الجواليقي في معربه تحت عنوان باب مايعرف من المعرب بائتلاف الحروف [٤١] .

- لم تجتمع الجيم والكاف في كلمة عربية فمتى جاءتا في كلمة فاعلم أنها معربة وذلك مثل جرندق جوق .

- لاتجتمع الصاد والجيم في كلمة عربية فجص وصنجر وصنجه وصولجان كلمات ليست عربية .

- ليس في أصول ابنية العرب اسم فيه نون بعدها راء فإذا مر بك ذلك فاعلم أن الاسم معرب وذلك مثل نرجس ونورج .

- ليس في كلامهم زاى بعد الدال إلا دخيل من ذلك الهنداز والمهندز وأبدلوا الزاى سينا فقالوا المهندسين كما في فصحانا المعاصرة وإن كانت الزاى قرينة طبقة اجتماعية معينة هي طبقة الحرفيين .

- لم يحك أحد من الثقاة كلمة عربية مبنيه من باء وسين وتاء فإذا جاء ذلك فهي كلمة دخيل . ومن مجمل ما ورد حول التوالي الصوتي المرفوض يبدو أن هناك جملة ثوابت تتعرف من خلالها على الدخيل ففي بنية الكلمة

الاعجمية والتمثيل فارسي يمكن وجود التوالي الآتي المرفوض عربيا :

(ج + ق) ، (ق + ج) ، (ج + ص) ، (ص + ج) ، (ن + ر) ، (د ز) و (ى + س + ت) بكل مقلوباتها :

(س + ت ى) + (ت + ى + س) ، (ى + ت + س) ، (ت + س + ى) ، (س + ى + ت) .

وقد شغل اللغويون بالهيم بمحاولة رصد الظواهر الصوتية في إطار هذا الدخيل يقول ابن سيده في المحكم : « ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية محضة ، الشينات كلها في كلام العرب قبل اللامات »[41] . أي أن التوالي الصوتي : (ل + ش) لا وجود له في عربية خالصة وإنما موقع الشين قبل اللام كالكلمات شلاَّ وشلل ... ويقول السيوطي في مزهره « وقال ابن فارس في فقه اللغة : حدثني الصباحي قال سمعت ابن دريد يقول : حروف لاتتكلم العرب بها إلا ضرورة ، فإذا اضطروا إليها حولوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها وذلك كالحرف الذي بين الباء والفاء مثل بور إذا اضطروا قالوا فور .

قال ابن فارس وهذا صحيح لأن بورليس من كلام العرب فلذلك يحتاج العربي عند تعريبه إياه أن يصيره فاء »[42] ، أي لاسبيل إلى معيشته في أرومة عربية إلا بمحاولة صوتيه تجعله مقبولا في نسق عربي .

هذا بعض من المرفوض على مستوى الصيغة عربيا والقيود هنا كما أرى تتجه إلى دخيل معين ، أي أعجمي محدود توضحه الكلمات السابقة ، ولعل عرضا لبعض كلمات أدرك العربي عجمتها التي تدور بين الفارسية والعبرية في الأغلب توضح حدود العجمة فيما أدرك العرب عجمته الكلمات الآتية التي قالوا فيها :

واليارق فارسي معرب وأصله ياره وهو السوار

الجاموس أعجمي وقد تكلمت به العرب

والديدبان يريدون به الديذبان فارسي معرب قال الأزهري الديذبان الطليعة فارسي معرب

والأرجوان فارسي وهو الصبغ الأحمر وقد ساغته العربية ودخل باب الشعر حين يقال اللون الأرجواني مستخدمين معه ياء النسب .

والاصطبل فارسية ليست من كلام العرب أخذت حقها فيما جمع بالألف والتاء حين قيل اصطبلات .

والاربان والأربون حرف أعجمي وهو بمعنى أعطى العربون أي أظهر رغبته في الشراء كما يطلب من الثيب أن تظهر رغبتها في قبول الزوج « والأيم تعرب عن نفسها » وما زال نطق الأجانب لها بالهمزة بدلا من العين .

والإيوان اعجمي معرب ، والإبريق فارسي معرب وترجمته من الفارسية أحد شيئين إما أن يكون طريق الماء أو صب الماء على هينة ، والإقليم ليس بعربي محض .

والإبزيم ابزيم السرج ونحوه وقد تكلمت به العرب وما زال ظل الكلمة موجودا في عاميتنا المصرية حيث نقول ابزيم الجزمة أو الشنطة .

والأستاذ كلمة ليست بالعربية وهي تطلق على الماهر بصنعته وإن أضحت عاميتنا المصرية تطلقها على الحاصل على أرقى شهادة علمية وإن قالت عن ماهر حاذق بأنه أستاذ فإن ذلك من باب التشبيه بالعالم صاحب اللقب . ومن الغريب أن هذه الكلمة كانت مخصوصة بالصانع الذى تقابله الآن كلمة أسطى وبين الأستاذ والأسطى تحريف صوتي يسير يدل على أن المورد واحد ،

فالكتاب الصوتية التي تعتمد على أن الصوت الذى يوقف عليه من خلال التقاء الساكنين صوت شاجب ضائع وهنا يبدو أنو لافارق على المستوى الصوتى والمنطقى بين الكلمتين كما يبدو على النحو التالى :

?us / Taaz — أستاذ

?us / Taa — أسطى

فحرف الزاى قد غابت قيمته وقفا فى الكلمة الأولى وضاع فى الثانية والتاء فخمت فى الثانية فأحدثت فى الكلمة الثانية أمرين مجيئها مشوبة بلون الطاء وتحويلها السين إلى إلف الطاء وهو الصاد . وهذا ما وصل بنا إلى كلمة « أسطى التى خصت كما قلت بالحرفى الماهر كما كانت فى زمن ليس بالبعيد تختص بقائدة الفرقة الراقصة تلك المجموعة التى كانت تطلق عليها البيئة المصرية بالعوالم .

والجواليقى يحكى موقعا استعماليا لهذه الكلمة قائلاً :

« يقولون للماهر بصنعته أستاذ ولاتوجد هذه الكلمة فى الشعر الجاهلى واصطلحت العامة إذا عظموا الخصى أن يخاطبوه بالأستاذ ، وإنما أخذوا ذلك من الأستاذ الذى هو الصانع لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم فكأنه أستاذ فى حسن الأدب . ولو كان عربيا لوجب أن يكون اشتقاقه من الستيد وليس ذلك بمعروف »(٤٤) ولست أدرى هل هناك علاقة بين السيد والسيد تسمية العمل الأدبى المشهور لدى الأديب الفرنسى كورنى بخصوص تلك الدلالة العربية التى ترمى إليها كلمة السيد !

فالكلمة فى النص يحكمها النص بزمان يبتعد بها عن العصر الجاهلى ولو وجدت فى عصر عباسى لكان أمر الوافد الفارسى دليل ذهاب بها إلى

العجمة . ويدل النص أيضًا على أن الكلمة كانت تطلق تعظيما على الخِصى ولابد أن مهارته كانت سببا فى إطلاق اللقب تعظيما كما يقول الجواليقى . والكلمة الواردة لاعلاقة لها فى الأصل بالعربية لأن جذرها لايتحرك من خلال أرومة عربية ثلاثية (سيذ) لم تنشىء كلمة عربية مع افتراض القلب فيها حيث لايوجد س ى ذ ، ى س ذ ، ذ س ى . س ذ ى ، ذ ى س ، ى س ذ ؛ ومن هنا فلا اشتقاق على الإطلاق فى العربية من جذر هذه الكلمات وقد تأكد لدينا فى حوار رفض الجمع بين السين والياء أصلين فى كلمة عربية واحدة .

والأبريسم أعجمى معرب بفتح الألف والراء وقال بعضهم ابريسم بكسر الألف وفتح الراء وترجمته بالعربية الذى يذهب صعدا .

والبرسام أيضًا معرب وهو هذه العلة المعروفة فبر هو الصدر وسام من أسماء الموت وقيل بر معناها الابن والأول أصح ؛ لأن العلة إذا كانت فى الرأس يقال لها سرسام وسرهو الرأس .

والكلمة كما نرومها فى مصريتنا المعاصرة خاصة بالأقراص الطبية حيث تطلق عليها برشام بجمل سين الفارسية شينا . والسام أقرب شىء إلى السم الزاعف الموجود فى الفصحى .

والبستان فارسى معرب ويجمع بساتين . . ومن لفظ البستان هذا الذى يقال له بست ولم يحك أحد من الثقاة كلمة عن العربية مبنية من باء وسين وتاء . . وفى تابع لبعض أسماء الأعلام يقولون :

(وبسطام) ليس من كلام العرب وإنما سمى قيس بن مسعود ابنه بسطاما باسم ملك من ملوك فارس كما سموا قابوس ودختنوس وهو بالفارسية أو ستام . وفى قابوس يقول صاحب المعرب وقابوس اسم اعجمى وهو بالفارسية

كاوزس فأعرب فقيل قابوس فوافق العربية ومن الأسماء التى خرجت عن نطاق الفارسية إلى نطاق بيئة مجاورة متاخمة لحدود شبه الجزيرة العربية جملة يقال فيها بأن :

(عيسى وعزيز) أعجميان معربان وإن وافق لفظ عزيز العبرية[45]

و (الإسفنط) والإسفِنْط والأسْفَنْد والإسفنيد اسم من اسماء الخمر يقول فيه الجواليقى :

وروى لى من ابن السكيت أنه قال هو اسم بالرومية معرب وليس بالخمر وإنما هو عصير عنب وقد يذهب المسمى الرومى إلى بعد جغرافى قد يمتد إلى الدولة الرومانية الشرقية حيث البعد الجغرافى واضح ومن ثم يبدو الف الرومى ما ارتبط بالموقع المتاخم للجزيرة ، أى الشام وهذا ما عناه الجواليقى وهو يتابع رصد الكلمة السابقة قائلاً :

« قال ويسمى أهل الشام الإسفنط الرّساخون يطبخ ويجعل فيه أفواه ثم يعتق »[46] فالرومى والنبطى قرينا بيئة الشام .

(الفطيس) المطرقة العظيمة ليست بعربية محضة إما روميه وإما سريانية ، ومن ملاحظة عاميتنا المصرية نجد ظل الكلمة قائماً حين نقول : ده ميّت فطيس . والعلاقة بين الدلالتين الروميه والمصرية المعاصرة قائمة فى حد الموت فالآلة فى الرومية وسيلة الموت والمصرية العامة آثرت أن تسلم الموت الفطيس مرادفا للموت فى غير نضال وشهامة .

« الفندق » وهى بلغة أهل الشام خان من هذه الخانات التى ينزلها الناس .. وعن الفراء « سمعت أعرابيا من قضاعة يقول فنتق لـلفندق وهو الخان »[47] .

« الفدان » : قال أبو بكر الفدان نبطى معرب فإن شئت فشدده وإن شئت فخففه .

« القنبيط » وقال القنبيط أظنه نبطيا قال فى القاموس أغلظ أنواع الكرنب .

« والقمقم » قال الأصمعي هو رومى معرب وقد تكلمت به العرب .

تلك جملة اسماء خرجت عن نطاق الفارسية إلى لغات سامية متاخمة للعربية ومعظم هذه الكلمات تلقفتها العربية فأشربتها صوتها وصوغها واعطتها الحلى التطريزية التى تجعل من الاجنبى ضيفا تشرّب شكل العربية ولعل دخول « أل » على هذه الكلمات وهى لاصقة عربية تتحدد بها عروبة الكلمة واسميتها قد حددت الطريق ورسمته لدخول هذه الكلمات من غير عنت أو نفور فى سياق العربية . ووضع أل فى هذه الكلمة محقق لعدم موردها مورد المنوّن ؛ ولأن أل تنافر التنوين وفى هذا يقول صاحب المعرب « والأسماء المعربة فى الصرف وتركه على ضربين أحدهما لايعتد بعجمته وهو ما أدخل عليه لام التعريف كموسى وعيسى »[18] فأل هنا أذابت الاعجمى فى نطاق العربية .

جملة من أسماء أعجمية أثبت وجودها حق الموقع الذى أكد حدود المتاخمة للأعجمي وعدم إطلاق الموقع إطلاقا كاملا والسؤال الوارد الآن أىّ هذه الأسماء من الأعلام التى تدخل فى مسار المنع من الصرف تحت نطاق ما يسمى العلمية والعجمة ؟

قابلتنا سابقًا الأعلام قابوس ودختوس وأوسطام وهانحن نضيف إليها جملة اعلام أخرى صرح النحاة بها وهى :

إبراهيم ، واسماعيل ، وإسحاق ، وإلياس ، وادريس ، وإسرائيل ، وأيوب . وفى هذه الأسماء يقول صاحب المعرب :

« أسماء الأنبياء صلوات الله عليهم كلها أعجمية نحو إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وإلياس وإدريس وإسرائيل وأيوب إلا أربعة أسماء وهي آدم وصالح وشعيب ومحمد »[49] .

ومعنى ذلك أن جل أسماء الأنبياء أعجمية ولأن جميعهم من بني إسرائيل فالمورد إذا مورد عبراني ، يضاف إلى ذلك :

موسى ، عيسى ، اليسع ، طالوت ، جالوت ، داوود ، سليمان ، هارون ، يعقوب ، إدريس ، فرعون .

وعدم تنوين موسى وعيسى راجع إلى تقدير العلامة لهما منتهيان بحرف مد إطلاقه ينافي مساحة التنوين الموضوعة والمحسوبة سكتة خفيفة داخلية ، وفرعون المصرية أخذت إلف التعامل العربي لوقوعها في شركة المجاورة مع بني إسرائيل .

ولنا أن نضيف إلى ذلك أسماء الملائكة التي وافقت عبرانية إسرائيل مثل ميكائيل إسرافيل جبرائيل وهو جبريل وعزرائيل إلخ والشيطان إبليس .

والخارج من هذه الأسماء عن نطاق المنع الأعلام :

آدم وصالح وشعيب ومحمد ﷺ من الرسل وعزيز تصغير عازر وكما ندرك فإن التصغير ميسم عربي يؤكد خصوصية العربية حتى ولو كانت الكلمة وافدة . ومن الأعلام الخارجة حمص ونوح ولوط وهود مما سكن وسطه وهو ثلاثي . فهذه كلمات وإن كانت أعجمية تحتم لها الصرف . فهل في تصورها المقطعي ما ينبيء عن سر لإدراك التنوين ؟

لعل الرصف المقطعي التالي يثبت ذلك :

(أ) الكلمات آدم ، صالح ، شعيب ، محمد

كلمة آدم مقاطعها :

	ʔaa	da	mun
⟵	ص ح ح	ص ح	ص ح ص

والكلمة مساوية في إيقاعها لاسم الفاعل ضارب كمًا .

كلمة صالح مقاطعها :

	ṣaa	Li	han
⟵	ص ح ح	ص ح	ص ح ص

وهي كالسابقة مساوية لاسم الفاعل ضارب كما وكيفا .

كلمة شعيب مقاطعها :

	su	ʕay	bun
⟵	ص ح	ص ح ص	ص ح ص

وهي صيغة تشبه المصغر من الثلاثي فهي على وزنة فعيل

كلمة محمد مقاطعها :

	mu	ham	ma	dun
⟵	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص

وهي صيغة توازي صيغة اسم المفعول من الفعل الثلاثي مضعف العين .

كلمة « عزيز » وهي مساوية تمامًا لشعيب .

(ب) حمص ومقاطعها : sun him

ص ح ص ص ح ص

وهى صيغة ثنائية المقاطع تجرى مجرى الكلمات : فرْض / حقل / وجد / رزق / عيبٌ / عزم / عُزْم / غنم .

(جـ) الكلمات : نوح ولوط وهود وكلها مكون من مقطعين على نحو

hun nuu

ص ح ص ص ح ح ⟵

وهى مسايرة لكلمات مثل : عود ، حوت ، سُودٌ ، جُودٌ

والملاحظ على هذه الكلمات المصروفة اعتمادها على مقطعين متوسطين من نوع المغلق (ص ح ص) والمفتوح (ص ح ح) وبعض هذه الكلمات أستقل بالمقطعين وبعضها الآخر احتمل معها مقطعا قصيرا أو مقطعين .

فالكلمات السابقة المنونة تحركت فى هذا النظام المقطعى :

ص ح ص ص ح ص

ص ح ح ص ح ص

ص ح ح ص ح ص ح ص

ص ح ص ح ص ص ح ص

ص ح ص ح ص ص ح ص ح ص

وإذا كان هـــذا يمثل تصوراً لـلمنون فما الـتصور الوارد للكلـمات التى تـــم منعها ؟

جملة من الكلمات وردت على النحو التالي :

(أ) قابوس ومقاطعها

	qaa	buu	su
←	ص ح ح	ص ح ح	ص ح

ومثلها الكلمات هارون وجالوت وطالوت وداوود .

(ب) فرعون وتصورها

	Fir	ʕaw	nu
←	ص ح ص	ص ح ص	ص ح

(جـ) إدريس وتصورها

	ʔid	rii	su
←	ص ح ص	ص ح ح	ص ح

ومثلها إبليس وجبريل

(د) أيوب وتصورها

	ʔay	yuu	bu
←	ص ح ص	ص ح ح	ص ح

ومثلها يعقوب .

(هـ) إلياس وتصورها

	ʔil	yaa	su
←	ص ح ص	ص ح ح	ص ح

ومثلها إسحاق

(و) إبراهيم وتصوّرها

ص ح ص ح ح ص ح ح ص ح ص

وعلى غرارها الكلمات عزرائيل وإسماعيل وميكائيل التى تنطق فى الأعلام المسيحية المصرية الآن ميخائيل وهذا مطروح فى تصور الكاف تصورا عبريا حيث ملك تصبح ملخ . وإسرائيل وجبرائيل .

(ز) اليسع

ص ح ص ح ص ص ح ص

ومن الواضح بحكم المنع أن هذه الكلمات ميزت نهايتها بالمقطع القصير الذى لا ورود له فى الكلمات المنونه ولو سكنت هذه الكلمات دون تنوين لفقدت هذا المقطع القصير وتحملت حشرا فى مقطع نهائى لايصلح إلا حين الوقف حيث يلتقى فى حد هذا المقطع ساكنان فتكون نهاية أيوب والياس على سبيل المثال : ص ح ح ص . ولو نونت نهاية هذه الكلمات لتحول المقطع القصير إلى متوسط ويحوى نسيج الكلمات وانها ثلاثة مقاطع متوسطة وهذا أمر نجده موجودا فى الكلمات المنونة السابقة .

ذاك تصور مقطعى ينسج كلمات من مواقع متاخمة فماذا يكون التصور لو أطلقنا الموقع وجئنا بغريب نأى موقعه وابتعد ؟

إلى البحث جملة أعلام مع تصور جذورها المقطعية :

(اسطيفانوس) والكلمة مقطعيا :

	s	ti	faa	nuus
→	ص	ص ح	ص ح ح	ص ح ح ص

(جورياتشوف) ومقاطعها :

	guur	baat	suuf
→	ص ح ح ص	ص خ ح ص	ص ح ح ص

(شاوشيسكو) ومقاطعها :

saaw	sis	kuu
ص ح ح ص	ص ح ص	ص ح ح

(داستين) ومقاطعها :

	daas	tin
→	ص ح ح ص	ص ح ص

الكـلمات : هوفـمان ، مادلـين ، دانيال ، ديـستان ، تايـلور وتصـورها المقطعي يتم على نحو : ص ح ح ص   ص ح ص

أو   ص ح ح ص   ص ح ح ص ←

العلم جريس ومقاطعه : griis

ص ح ح ص

وكما نرى فالكلمة وحيدة المقطع

بوش ومقاطعها : bubs

ص ح ح ص

وهي وحيدة المقطع

جورج ومقاطعها : guurg

ص ح ح ص ص

برانت ومقاطعها : braant

ص ح ح ص ص

ومثلها كلمة كونين مع اختلاف في نوع الصوامت والصوائت

تلك دلالات مقطعية لمجموعة من كلمات لم تأخذ نمطا في تخليطها بالعربية ومن ثم لم يتيسر لها ما تيسر للأعجمي الذي تأخذ نسيجه العربية فهذه الكلمات بحاجة إلى أمثال ومثنى ومكانى وحركة عربية تتسق مع الكلمة لتدخل مزيج عربي حتى تتشكل تشكيلا يقربها من إبراهيم وإلياس ويوسف ويعقوب

إن الناظر إلى هذه الكلمات يقف أمام تجربة مقطعية لم تألفها العربية فالبدء بالساكن قرين كثير من هذه الكلمات كما في استطيانوس ، برانت ، كونين وهو بدأ غير مطروح في الفصحى ، وهو بدء يسلم إلى مقطع معتمد على صامت وحيد لاتعرفه العربية . ومن الغريب المتصور وجود المقطع الطويل المفتوح داخل الكلمة وبدايتها وهو مقطع لا يتسق ونظام العربية التى لاتقبل التقاء الساكنين إلا في الوقف وعند وجود مثلين مدغمين قبلهما حرف مد ،

هذا المقطع المرفوض عربيا حكم بداية كم من الأعلام السابقة مثل : شاوسيكو داستين .

أكثر من هذا غرابة إدراك تصور مقطعي ينبو عن نظام العربية لأنه أكبر من المقطع الطويل المرفوض داخليا حيث قبول ثلاثة سواكن كما هو واضح من كلمة جورج حين تنطق وحدة واحده فتكون مشكلة من صامت فحركة طويلة فصامتين على نحو ص ح ح ص ص .

الغرابة الصوتية والمقطعية فيهما إحساس التنافر بين هذه الكلمات والعربية عكس ما تصورناه فى الفارسى والعبرى وتوحى بأن بعد الموقع له من هذه الغرابة نصيب ، ومن ثم ترد أسئلة مفادها . هل أصبح الإحساس بهذه الكلمات فى نسق عربى مقبولا ؟ هل أصبحت العجمة مطلبا مطلقا أو أنها مطلب له حدود ؟

لقد حاولت فيما سبق ربط الأعجمى بمساحة جغرافية محدودة تدور حول موقع العربية المنطوقة حيث يحدث التبادل والقبول واعتقد أن هذا مطلب ترتضيه الدراسات اللغوية التى ترى أن الحدود بين لغتين تمثل واقع امتزاج وقبول وفيهما يكون الطالب مطلوبا والمطلوب طالبا وفى حدود هذه المحاولة بان أن من نأى وابتعد يحتاج إلى زمان وزمان حتى يتيسر له أمر القبول . هذا بعض حدس لناطق يألف ذوقه مزج إبراهيم وإلياس فى سياق العربية فى إطار المنع من الصرف ويرفض ذوقه شاوسيكو وتايلور فى مثل هذا السياق . فالعجمة عجمتان عجمة يرتضيها ذوق العربية ويعبر عنها النظام وعجمة نافرة ما زال الطريق أمام إلفها صعباً شاقا عسيراً .

امور للمنع اخرى

كان التركيز على محورين يتقاو للعجمة فيهما نصيب وأعنى بهما المركب المزجي الذى يأتى فى معظمه أنه يحتوى دخيلا فى جزء منه وكذلك الاعجمى والمحور الباقى من الكلمات الممنوعة لايخرج عن غربة تخالف المألوف ولعل حديثنا عن العلمية مرتبطة بالتأنيث يوحى بهذا الإحساس يقول فى ذلك ابن قتيبة :

« كل اسماء المؤنث لاتنصرف فى المعرفة وتنصرف فى النكرة . . إلا أن تكون فى آخره الف تأنيث مقصورة كانت أو ممدودة نحو صفراء وحمراء وحبلى وبشرى وحبارى فإن ذلك لاينصرف فى معرفة ولانكرة »[٤٠] .

وجماع ما يسلم إليه هذا النص :

- أن العلم المؤنث مختوما بالتاء أو غير مختوم يمنع من الصرف ما بقى على علميته ، أى مع كون التعريف قائما قاطعة وتحديد إذا ما خلد مرادهما وشخصهما بإتيان التنوين اللهم إلا لو كان القصد بهما الإطلاق والشيوع حيث يدخلهما التنوين لانتفاء قيمة المنع وهى العلمية .
- أنّ ما كان مختوما بألف تأنيث ممدودة لاتنوين له فى تعريف ولاتنكير وصفا كان أو علما فإن المنع سبيله موجود مهما كان الإطلاق أو التخصيص .
- أن المختوم بألف التأنيث المقصورة مثل حبلى وبشرى لاينصرف مطلقا فى تعريف ولاتنكير وهذا أمر مردوده واضح ؛ لأن نهاية الكلمات بالألف يغنى عن وجود التنوين فالتنوين لن يكون بديلا للمنع الذى تبرز فيه الحركة لأنه يغلق المقطع كما يخلقه حرف المد وهذا ملاحظ من خلال مقارنة بشرى غير المنونه بالمنونه حيث يكون تصورهما المقطعى ما يلى :

منونه	بشرى	غير منونه	بشرى
bss	ran	bss	raa
ص ح ص ←	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح

فالمقاطع واحدة من ناحية الكم ففي كل مقطعان متوسطان .

هذا التصور يخالف تصور المقارنة بين سعاد الممنوعة وسعاد المنونة لأن التصور يكون على النحو الآتي :

بفرض تنوينها		سعاد		ممنوعة	سعاد
sa	ʕaa	dun	sa	ʕaa	du
ص ح ←	ص ح ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح

فالخلاف واضح حيث الأولى تتشكل من مقطعين قصيرين ومقطع طويل والثانية من مقطعين متوسطين ومقطع قصير .

ويبدو أن المنع في الاسم المنتهي بألف التأنيث الممدودة لايرتبط بالتصور المقطعي قدر ما يرتبط بالحس الدلالي المبني على مزاوجة علاقتين التأنيث مع العلمية أو الوصفية في علاقة واحدة لأن كلمة أبناء المنتهية بهمزة المنونة والتي مقاطعها :

ʔab	naa	ʔun
ص ح ص ←	ص ح ح	ص ح ص

لاتفترق في مطلب التنوين عن همزة بناء المنونة أيضًا رغم افتراق التصور المقطعي فالكلمة مكونه من :

bi naa ?um

ص ح ص ص ح ح ص ح ح ص ح ص ←

فالهمزة الأولى ليست للتأنيث والثانية منقلبة عن أصل وليست بزائدة والتنوين لاحق لهما مما يدل على أن للتأنيث ارتباطا بالمنع ؛ ويبدو أن للتأنيث مشاكلة فى الصوغ العربى يلاحظ ذلك من يرى إحكام النظام فى جمع المذكر السالم الذى حرص فى صوغه على تحقيق قيمتين دلالتين التذكير والعقلانية كما يبدو من شروطه لدى النحاة – ويرى عدم إحكامه فى صوغ جمع المؤنث الذى أدخل فى واديه المذكر حمزه والمؤنث فاطمه والعاقل طلحه وغير العاقل اسطبل بل أكثر من ذلك أدخل فى إطاره العربى سعاد وأسماء الأشياء الأعجمية كسرادق وحمام والذى إذا سمى به كما يرى النحاة ترددت علاقة إعرابه بين إعراب الممنوع وإعراب جمع المؤنث كما يحكيه الشاهد الذى يقول :

تنورتها من أذرعات وأهلها ... بيثرب أدنى دارها نظر عالى

وحول تبرير المنع فى المختوم بألف التأنيث الممدودة يقول صاحب شرح الكافية :

« أصل الهمزة من حمراء ونحوه ألف والهمزة بدل منها فجعل للبدل من التأثير فى منع التصرف ما كان للمبدل منه . وهكذا جعل لهاء هراق ما لهمزة أراق .. وهكذا جعل اللام أصيلال ما للنون أصيلان » (٥١).

فرؤيته الفرضية التى تصورت كما تصور الصرفيون ختام الكلمة بالفين ومن ثم أبدلت الألف الثانية همزة توحى بأن فى هذا البدل تأثيرا مرتبطا بما كان للمبدل منه فمع تصور ختم الكلمة بالفين فإن الألفات بهذا المفهوم الصوتى مهما تجمعت فهى فى حيز الحساب الكمى ألف واحدة كما قيل سابقا لمن مد الألف « والله لو مددتها إلى العصر لما صارت إلا ألفا واحدة » . أحسب أن

الكلمة حمراء السابقة شبيهة بالمختوم بألف التأنيث المقصورة حيث المد النهائي الذي تصوره من حاول المد الطويل معتبرا حق الزمن لا الكم فرضا واضحًا في :

ham	raa	a
ص ح ص	ص ح ح	

ولأن الأصل ممنوع من الصرف : raa ham

فليبق فرعه المحول إليه ممنوعا مع اختلاف الكم بينه وبين الأصل ومن ثم تمنع حمراء

ham	raa	ʔu
ص ح	ص ح ح	ص ح ص

كما منعت حمرى وحبلى . .

فالسر لدى المنظِّر اللغوي كامن في ربط المحول والمحول عنه بحالة واحدة وهي عدم التنوين ولعل قيمة وقف للكلمتين تثبت تلاقيا كميا بينهما فإطلاق الألف في حمرى وحبلى وقفا تصل بنا إلى كم الوقف على حمراء ؛ ولعل تسجيلا صوتيا لمساحة المدى الزمني لنهايتي الكلمتين يثبت ذلك ؛ لأن ناطقا لألف مد ليصل بها إلى منتهى النفس لاجئ بطبيعته إلى سكتة تبدو في صورة همزة أو هاء سكت ؛ ومن هنا فالهمز هنا أشبه بهاء السكت فهو صيغة من صيغ الوقف تتلاشى فيه وتتضح عند الوصل .

من المؤنث الذي يدور في حيرة بين المنع والصرف العلم المؤنث الثلاثي ساكن الوسط الذي منه دعد وهند وشقة النطق ليست بقائمة حين التنوين ؛ لأن مجئ الكلمة من مقطعين أمر ميسور نونت أم لم تنون وما جرى من تدليل

للمنع وعدمه واضح في قول الشاعر :

لم تتلفع بفضل مئزرها ... دعدٌ ولم تسق دعدُ في العلب

حيث نونت الأولى ولم تنون الثانية ومن غير المقبول أن ينطق في حيز واحد في لغة الحديث بجهتين مختلفتين المنع وعدمه وإن كان هذا مقبولا في نسق الشعر الذي فرض منع الأولى وتنوين الثانية لإتمام حق وزن المنسرح فتنوين الأولى يكمل حق مستفعلن وعدم تنوين الثانية يؤدي تمام مفعولاتُ .

وفي خصوص منع الصرف لقبيل آخر من الكلمات تأتي إلى الأعلام والصفات المختومات بألف ونون زائدتين ، تلك الزيادة التي حققت سبيل المنع وفي إطار ذلك يتحدث ابن قتيبة قائلا :

« وكذلك كل شيء كانت في آخره ألف ونون زائدتان نحو عريان وعثمان إن كانت نونه أصلية صرفته في كل حال نحو دهقان من الدهقنة وشيطان من الشيطنة ، وسمان إن أخذته من السم لم تصرفه وإن أخذته من السمن صرفته ، وكذلك تبان إن أخذته من التب لم تصرفه وإن أخذته من التبن صرفته ، وكذلك حسان إن أخذته من الحس لا يصرف وإن أخذته من الحسن صرفته وديوان نونه من الأصل فهو ينصرف ورمان فعال فهو ينصرف لأن نونه لام الفعل ومران يصرف لأنه من المران سمي بذلك للينه »(٢٢)

والغريب في هذا الحوار أن الإطار الشكلي للكلمات حسان وتبان وسمان لا يختلف أمره بين المنع وعدمه إلا في اعتبار الأصل حيث افتراض زيادة الألف والنون ، فهل في تأكيد المنع بناء على زيادة الألف والنون ما يوقع هذه الكلمات في أمر المشاركة مع الزيادة الموجودة لتحقيق المنع في (محمدان ومدرسان ؟ وهي زيادة لا يتحقق مع نهايتها تنوينه لأن النون كما يرى النحاة تكاد تكون بديلا عن التنوين ، فالتردد في هذه الكلمات بين شيئين مسلم إلى هذا الاعتبار .

وفي إطار المنع أيضًا يأتي الحديث عن ارتباط العلمية والوصفية بالعدل وفرض المنع من أجل هذا الارتباط نجد أن الفرض يمثل غرابة ؛ لأن قبول تحويل كلمة عامر إلى عمر وفاسق إلى فسق تحويل لو لمحت دلالته لكان إلى المبالغة والتكثير أولى والمعدول مساره يتم من خلال قيمتين كما قلت مع قيمة العدل .

فالمعدول عن العدد وهو من واحد إلى أربعة بلا خلاف ويكون على زنة فعال أو مفعل فتقول أحاد وموحد وثناء ومثنى وثلاث ومثلث ورباع ومربع . وقد جوّز الكوفيون استمرار القياس لأكثر من هذا العد فيقال قياسا : خماس ومخمس ومداس ومسدس وسباع ومسبع .. إلخ [٥٣] .

ويتم المسار أيضًا من خلال لفظة لا صلة للعدد بها وهي كلمة أُخر جمع أخرى أنثى آخَر لاجمع أخرى بمعنى آخره . ومما ينوبه المنع للعلمية والعدل ما جاء معدولا عن صيغة فاعل مثل عُمر الواردة عدلا من عامر والعدل هنا يمثل افتراضا كما يقول النحاة حيث عدل عمر عن عامر مقدر .

أما ما جاء على صيغة فُعل كغدر وفسق فعدله محقق فقد خرج بوزنه من النداء إلى العلمية ، ومنه أيضًا جُمع وتوابعه مثل بُصع وكُتع ومتع ، ومنه أيضًا ما جاء على وزن فعال مثل : رقاش وحذام وإن كان الخلاف حول منعه قائما ، ومنه سحر حين يقصد بها التعريف أي تحديد يوم بعينه ؛ ولعل أمس المُعيّنه غير المطلقه داخله في هذا المورد .

وكل معدول للعلمية كما يقول صاحب شرح الكافية :

« عدله باق إلا سحر وأمس في لغة بني تميم فإن عدولهما يزول بالتسمية فينصرفان . غريب أمر هذا العدل . هل تصور الخروج والنقل هو الذي أسلم إلى المنع ؟ هل قصد التعريف بعد أن كان المورد مطلقا أضحى أساسًا آخر ؟

إن الخلطة أمرها قائم والتأويلية [illegible] التي أحكمت داخل العدل من خلال تصنيفها الصوتي [illegible] :

العلمية وتصور مقطعي	الوصفية وتصور مقطعي
عمر (من عامر) ص ح / ص ح / ص ح	أحاد ص ح / ص ح ح / ص ح
قثم ص ح / ص ح / ص ح	موحد ص ح ص / ص ح / ص ح
جمع ص ح / ص ح / ص ح	أخر ص ح / ص ح / ص ح
بصع	مثنى ص ح ص / ص ح ح
رقاش ص ح / ص ح ح / ص ح	
سحر ص ح / ص ح / ص ح	
أمس ص ح ص / ص ح	

والغلبة كما نرى من خلال الرصد السابق أمرها قائم في الكلمات لطغيان المقاطع القصيرة وتكتها غالبة لاتسلم إلى خلاف يجعل الممنوع في جانب والمصروف في جانب آخر اللهم إلا في عدم إمكان دخول آل على الكلمات في موقع العلمية حيث المعدول الفرضي هنا لاتدخله الألف واللام فحق علميته توازي حق تعريف شبيهه غير المعدول بأل .

عدل في الفرض ونفي لوجود أل وصيغة تغرب حيث التبديل قائم أمور تسلم إلى مفارقة وإلى كسر بين في نفي التنوين وكسر طريق الاعراب ، ولعل نصا من المساعد يوكل هذا إلى السماع حيث يقول عن فعال معدولا :

« وفي حكمه أي المعدول عند تميم فعال معدولا علما لمؤنث ، كرقاش فرقاش وبابه كحذام وهو مقصور على السماع ، كباب عمر ممنوع عند سيبويه للعلمية والعدل فرقاش عن راقشه وحذام عن حاذمه ، وذلك لأن الغالب في الأعلام أو اللازم فيها النقل ، فيقدر عدول فعال عن علم وفاء بما تستحقه الأعلام ، كما فعل في باب عمر »(٤١) .

المبنى من المركبات
وعلاقته بالمنع من الصرف

لدينا إحساس بوجود علاقة ما بين الممنوع من الصرف والمبنى من المركبات فاشتراك نهاية هذه المركبات والممنوع فى عدم التنوين ، وتسلط الإيقاع عليهما فى جوازه تنوين هذا وذاك يثبت هذا الإحساس فكما استحسن الشعر صرف الممنوع فى قول الشاعر :

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن ... تحملن بالعلياء من فوق جرهم

وصرفه فى قولك :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة ... فقالت لك الويلات إنك مرجلى

استحسن أيضًا صرف المبنى فى قول الشاعر :

سلام الله يا مطر عليها ... وليس عليك يا مطر السلام

وقول الآخر :

ضربت صدرها إلىّ وقالت ... يا عديًا لقد وقتك الأواقى

وقول بعضهم :

يا عديا لقلبك المهتاج (**) .

هذه المشاركة تعطى طريقا لوضع المبنى فى سلك قريب من الممنوع ؛ ومن المدرك أن المبنى فى نظام اللغة نوعان : مبنى بالصيغة ؛ أى أن صيغته مبنيه بإفرادها سواء أكانت خارج التركيب أم داخله وذلك كبناء اسماء الأفعال والضمائر وأسماء الشرط وحروف الجر إلخ . ومبنى بالتركيب وفيه تبدو الكلمة حين الإفراد معربة قابلة للتغيير مثل كلمة (أحد) التى ترفع فى قولنا :

جاء أحدُ الطلاب ، وتنصبه كما في قولنا رأيت أحدهم ونجر كما في قولنا رأيت أحدهم ، وكذلك كلمة (عشر) حين الإفراد .

هاتان الكلمتان لو ركبتا معا تركيبا عدديا يلحقهما البناء الذي يزول إذا ما فك التركيب ، ونحن نريد الوقوف أمام هذه المبنيات المركبة لرؤيتها في موازاة الممنوع من الصرف . هذه المركبات هي من الأعداد مثل أحد عشر واحدى عشرة وثلاث عشرة أو ثلاثة عشر . . . إلخ . والملاحظ أن التنوين لم يأت ختام مفرداته هذه التراكيب وإلا لكان التصور المقطعي ليس مستغربا فأحد عشر تتحول مقطعيا إلى :

ʔa / ḥa / da / ʕa /ʃa / ra

ولو نونت لكانت - وهذا فرض لا واقع له - :

ʔa ḥa dan ʕa ʃa ran

فمن غير التنوين وهذا يوضح غربة المركب بالبناء على فتح الجزأين تبدو جميع مقاطع المركب صغيرة وهي جملة مقاطع متوالية وصلت إلى ستة من نوع واحد والتنوين الذي يقرب إلى إلف العربية يكسر حد هذا التوالي ، ويبدو أن كسر المألوف هو الذي أعطى هذا المركب مزاجا مقبولا ، لأنه أبقى التناسب الصوتي من خلال توالي الفتحات علامة على هذا المركب .

البناء متصل بالتركيب كما نرى وهو تركيب يرفض التنوين كما يرفضه الممنوع من الصرف والتركيب العددي أقرب إلى التركيب المزجي الممنوع فيه إلى التركيب الإضافي لأن علاقة المزجي بهذا المركب العددي واضحة في عدم تغيير العدد بحال من الأحوال على حين أن صدر المضاف يقبل جريان العلامات عليه حسب موقعه الإعرابي ، كما أن الوضوح قائم في عدم إمكان تنوين عجز

هذين المركبين مع إمكان تنوين عجز التركيب الإضافي رغم اتفاق الجميع على ثبات الشكل الإعرابي أو البنائي للعجز .

المركب العددى مشبه للمركب المزجي ولن يبتعد عنهما ما بنى من المركبات للحالية والظرفية وذلك من خلال المركبات التي زووجت واتبعت مثل :

« شذر مذر » وهي بمعنى متفرقين ، « وحيص بيص » وهي بمعنى وقعوا في حيرة ، و « شغر بغر » أي متشرين ، و « جذع مذع » أي منقطعين و « أخول أخول » أي شيئا بعد شيء و « كفة كفة » أي مواجهة . . إلخ . وفي هذه الكلمة يقول صاحب شرح الكافية :

« وشبهت بخمسة عشر أحوال ككفه كفه » (٥٦) .

وإذا كانت المركبات السابقة لبيان الكيفية فإن الزمان والمكان يتضح أمرهما من خلال المركبات الظرفية الآتية : صباح صباح ، مساء مساء ، يوم يوم وحق التنوين في منتهى مفردات هذه التركيب غير مقبول ؛ لأن العلامة علامة بناء والبناء ينافر التنوين وكما قال النحاة لايجتمع مع الإضافة التنوين وأل - إلا بحساب كون المضاف مشتقا بشروط - وكذلك لايجتمع معها نونا المثنى وجمع المذكر يقال ذلك مع المركب المزجي والمبني من المركبات ؛ ويبدو أن الوصلة القائمة بين كلمتي المركب العددى والمركبات الإسنادية وكثير من المزجية تأتي وتتم من خلال مقطع قصير ينتفي من خلاله أمر التنوين ؛ لأن التنوين سكت واضح ووجود السكت ينفي الاتصال ولنا أن نلاحظ العلاقة القائمة بين مفردات هذه المركبات لنرى ذلك :

في المركب الإضافي مثل صاحب محمد الذي يتحلل إلى :

ص ح ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ص ح ص ح ص ص ح ص

نلاحظ التقاء نهاية الكلمة الأولى بطرف الكلمة الثانية من خلال مقطعين أولهما قصير وفي المركب الإسنادي مثل شاب قرناها وتأبط شرا والتلاقي بين نهاية الكلمة الأولى وبداية الثانية يتم من خلال مقطعين الأول قصير والثاني متوسط على نحو : ص ح ص ح ص .

وفي المركب الإسنادي جاد الحق دخلت حدود الكلمة الأولى مع الثانية في اشتراكهما في مقطع متوسط كان نتاج عدم إفراد كلمة « جاد » عن كلمة الحق ، فالصلة تمت بمقطع متوسط لكونه شركة بين الكلمتين وليس نهاية الكلمة السابقة .

والحرص على كون طرف الكلمة الأولى مقطعا قصيرا واضح في المركب المزجي بعلبك وكذلك حضرموت وحين اختلفت معدى كرب في كون طرفها الأول مقطعا وتوسطا فقد جاءت بداية كلمتها مقطعا قصيراً .

يبدو إذا من خلال تشكيل المركبات السابقة ومعها المركب العددي أن فرض التلاصق والتركيب يتم من خلال مقطع قصير داخلي . وكما كان هناك خلط في الحدود بين طرفي « جاد الحق » فإن العلم الموصوف بابن الذي انتفى منه حق التنوين تم له الخلط من خلال مقطع طويل . وفي نفس التنويع عن الموصوف بابن أو المخبر عنه بابن يقول بعض النحاة :

« ثم نبهت على أن حذف تنوين منعوت ابن لفظا . . . ثم نبهت على أن كل ما ثبت من النعت بابن يثبت من النعت بابنة فيقال ياهند بنة قيس . . ثم نبهت على أن المخبر عنه بابن قد يعامل معاملة المنعوت فيسقط تنوينه وأكثر ما يقع ذلك في الشعر كقوله :

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا

شعيثُ بن سهم أم شعيث بنُ منقر

ومما جاء في نثر قراءة غير عاصـم والكسائي

وقالت اليهود عزيزُ بن الله . وحذف التنوين

هنا أحســن من حذف التنويـن في قراءة عبد الوارث قـل هو الله أحد الله الصمد »[٥٧] فالتصـاق ابن بموصوفها أو بـالمخبر عنه بها ألـزم السليقة الـلغوية إسقاط التنوين فأصبح شبهة التركيب قائمة ؛ لأن المركب منافر للتنوين ، وقد لوحظ ذلك في تكرار الاسم المضاف في النداء نحو قال الراجز :

يازيـــد زيـــد اليعملات

حيث جمعت زيد الأولـى مع زيد الثانية جمعا يشبه المركـب ويشبه خمسة عشر ؛ لأن من النـحويين من جعل الاسمين عـند فتح الكلمة الأولـى مركبين تركيـب خمسة عـشر . ولو ذهبـنا إلى المنـادى الذى طاله الـتعريف بـالعلمية والقصد لوجدنا البناء جزءاً متمما لنطـاق رفض التنوين مع المبنيات فالمنافرة هنا مرتبطة بالتعريف والعلمية كمـا هو واضح في منافرة المركب المزجي وبقية أنماط الممنوع من الصرف للتنوين .

وأخيراً فإن مساحة المبنى تمثل غربـة أكثر من غربة المعرب الذى يتضح أمره في التركـيب كذلك غربت علاقـة المركبات في مسـار الجملة العربيـة كما غرب وصعب المـمنوع من الصرف وكـما قلت في بدايـة البحث أن ما صـعـب مساره نطقا تصعب قاعدته ونظامه فهل يحـق لنا أن ننظر هذه المفردات الممنوع والمبنى والمركب في إطار موقعي واحد ؟

هوامش البحث

١ - الكتاب لسيبويه جـ ٢ ، ٢٩٨/٢٩٩ تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢ - السابق جـ ٢ ، ٢٩٨/٢٩٩ .

٣ - السابق جـ ٢ ، ٢٩٩ .

٤ - شرح المفصل لابن يعيش جـ ٩ ٢٣ عالم الكتب ، بيروت .

٥ - السابق جـ ٩ ص ٣٣ .

٦ - دروس فى علم أصوات العربية لجان كانتينو ترجمة صالح القرمادى ١٩٦٩ م ص ٦١ بتصرف .

٧ - شرح الكافية الشافية لابن مالك تحقيق د. عبد المنعم هريدى مكة المكرمة جـ ٣ ١٤٢٧ .

٨ - السابق جـ ١ ص ١٦١ .

٩ - العمدة لابن رشيق القيروانى تحقيق محمد محيى الدين جـ ٢ ص ٣١١ .

١٠ - الأشباه والنظائر للسيوطى تحقيق طه عبد الرءوف سعد ١٩٧٥ جـ ٣ ص ٢٤٥ .

١١ - الاتباع لأبى الطيب اللغوى ص ١١ .

١٢ - شرح ابن عقيل تحقيق محمد محيى الدين مكتبة محمد على صبيح جـ ١ ص ٧٦ .

١٣ - فى نهاية الكتاب جدول بالرموز التى يعتمد عليها فى الأبجدية الصوتية والتصور المقطعى .

١٤ - شرح الكافية جـ ٣ ١٤٥٥ .

١٥ - فى قاموس ى قوجمان בעלה تزوجت وتُزوج منها ، התבעלה تزوجت ومن دلالات هـذه الكلمة حقل بـعل مزرعة بعل ، الـشيطان ، صاحب امتياز و בעלדהא الاصحاب ومكتبة المحتسب ودار الجيل .

١٦ - شرح الكافية جـ ٣ ١٤٥٦ .

١٧ - يذكرنى ذلك بـاغنية كان يؤديها فـريد الأطرش يحكى من خلالـها بـسالة شعب بورسـعيد حيث كان ينـشد (بور) على نحو (بـر) ، أى تتحول لديـه (ص ح ح ص) إلى (ص ح ص) موقـعا نبـر الكلـمة علـى هذا المقطع .

١٨ - المساعد جـ ٣ ص ٣٢ .

١٩ - السابق جـ ٣ ص ٣٣ .

٢٠ - السابق جـ ٣ ص ٣٣ .

٢١ - السابق جـ ٣ ص ٣٣ .

٢٢ - شرح الكافية جـ ٣ ص ١٤٦٧ .

٢٣ - السابق جـ ٣ ١٤٥٠/١٤٥١ .

٢٤ - السابق جـ ٣ ص ١٤٥١ .

٢٥ - يقول أيضًا : « وأكثر العرب يصرف أجدلا وهو الصقر وأخيلا وهو طائر وأفعى لأنها أسماء مجرده عن الوصفية وضعا . . إلا أن بعضهم لحظ فيها معنى الـوصفية فمنعـها الصرف . . على أن بـعض العرب يعتد بـالاسمية العارضة فى أبطح فيصرفه » جـ ٣ ١٤٥٢ . وهذا فيه خروج على القاعدة وفقا لرأيي .

٢٦ - أدب الكاتب لابن قتيبه تحقيق محمد محيى الدين ص ٢٢٤ .

٢٧ - السابق ص .

٢٨ - قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ص ١٢ .

٢٩ - الخصائص لابن جنى جـ ١ ص ٩١ .

٣٠ - هامش الخصائص جـ ١ ص ٩١ .

٣١ - الخصائص جـ ١ ٢٤٣ .

٣٢ - المزهر للسيوطى جـ ١ ٣٠ .

٣٣ - المعرب للجواليقى تحقيق الشيخ شاكر ص ٥٥/٥٤ .

٣٤ - السابق ص ٥٥/٥٤ .

٣٥ - السابق ص ٥٥ .

٣٦ - السابق ص ٥٧/٥٦ .

٣٧ - السابق ص ٥٧ .

٣٨ - المزهر جـ ١ ص ١١٢ .

٣٩ - المعرب ص ٥٧ .

٤٠ - تاريخ اللغات السامية أ ولفنسون من ص ٤٩ بتصرف ، دار القلم بيروت .

٤١ - المعرب جـ ١ ص ٥٩ بتصرف .

٤٢ - المزهر جـ ١ ص ٢٧٥ .

٤٣ - السابق جـ ١ ص ٢٧٢ .

٤٤ - المعرب ص ٧٣ .

٤٥ - الكلمات الفارسية الواردة تتبع راصد لما يحكيه معجم الصحاح للجوهرى .

٤٦ - المعرب ص ٦٤ .

٤٧ - الكلمات من المعرب ص ٢٨٧ / ٢٩٣ / ٣١٤ .

٤٨ - المعرب ص ٥٣ .

٤٩ - السابق ص ٥٠ .

٥٠ - أدب الكاتب ص ٢٢١ .

٥١ - شرح الكافية جـ ٣ ١٥٠٤ .

٥٢ - أدب الكاتب ص ٢٢٣ .

٥٣ - شرح الكافية جـ ٣ ١٤٤٥ .

٥٤ - المساعد جـ ٣ ص ٣٧ .

٥٥ - شرح الكافية جـ ٣ ص ١٣٠٢ / ١٣٠٣ / ١٣٠٤ .

٥٦ - السابق جـ ٣ ١٦٩٤ .

٥٧ - السابق جـ ٣ ص .

ذوق العامية فى إطار الفصحى

نظرة

فى الإفراد والتركيب

ذوق العامية في إطار الفصحى

ولسنا بهذا الدرس وذلك التحليل نهدف إلى اعتبار العامية لغة مشتركة بين ناطقي العربية فلا سبيل إلى ذلك مهما كانت قيمة هذه العامية بحكم موروث شعبها الحضاري .

ولسنا ندرسها باعتبارها لغة أدبية يطالع من خلالها إبداع ، فقد أضحت تلك كلمة الفصحى طيلة تاريخه وهي حفظت أمجاده لغة قرآن مثلت إعجازا مبهرا لا يصل إليه مبدع ، كما حفظت أبناءه قيم موروثة من فن عربي امتلك وجدان وعقل المتكلم بالعربية لأكثر من خمسة عشر قرنا .

وكرسنا تحليل الظاهرة اللغوية في إطار العامية نبغي من خلاله هذا الدرس ومن هذا الحوار الأدبي إدراك محصلة الكم الفصيح الذي تسرب بسطوة الفصحى وقدرتها إلى منظومة العامية ، لعلنا بإدراك هذا الكم إيجاد نوع من التلاقي يخلق جسرا بين العامية والفصحى وفي إيجاد هذا الجسر خدمة لصالح المتكلم الذي يدرك أن إلقاء ظل من الفصحى على العامية إثراء لها ، وأن التقريب كسر لحد الازدواجية التي بان من خلالها حد المفارقة واضحا حيث أضحت الفصحى في واد والعامية في واد آخر فبان حد الاغتراب إلى أن وصل الخلاف الحاد في الذوق والتلقي إلى الحد الذي أصبح فيه متلقي الفصحى لا يذوق العامية ومتلقي العامية لا يتذوق الفصحى .

إن درسا للعامية بحثا عن نصيب الفصحى فيها يثبت أن ارتقاء عامية ما راجع إلى مدى الصلة بينها وبين الفصحى وبذلك أيضا أن تصير ظواهر الفصحى بحاجة إلى الاسترشاد بالعامية حين التحليل ، وليست الحاجة إلى العامية تمثل الهدف والغاية وإنما الارتكان إليها ارتكان إلى وسيلة نبغي من ورائها خدمة الفصحى التي تمثل الغاية .

وتشابك الفهم واختلاطه من خلال درس الظاهرة اللغوية أمر واضح ، وتسرب الفصحى إلى العامية موروث ثقافي حققته لغة الكلام وطورته ، على

حين أن لـغة الكتـابة والتدويـن التى ضـاع منها مـسرح الإنشاد والأداء بـصحبه سكـناته ووقـفاته واختـزاله ومطّه وطـوله .. أبقـت موروث الفـصحى قـيد الصامـت الثابت الـذى يضع المعيـار ظلا صارما أمامـه حيث مراعـاة الصواب والخطأ مراعاة حـل وحرمه وكراهية وامتناع وجـواز ووجوب ، ولولا منّ من القرآن المعجز ما كان لموروث الفصحى ظل كبير من حياة .

فى درس العـامية إدراك لحق التـطور ، وبيان لما ينـتاب اللغة مـن اختزال وفهم لتغـيّر الدلالة ضيقا واتـساعـا أو مناقضة . وفى الدرس التـاريخى المقارن لايحق لعالـم لغة أن يهمل العاميات ؛ لأنـه لم يهمل سابقًا أمر اللـهجات فقد أدرك وقتها أن تفسير ظاهرة غامت فى الفـصحى لضياع مفرداتها من الممكن أن تكشف عنه عامية ما ؛ فقد تموت كلمة فى الفصحى لهجر متكلمها إياها وتبقى حبيسـة واد من الأودية أو نجع من النجـوع - واد لو أدركه الباحث لاكـتملت لديه أبعاد الظاهرة المدروسة .

نستطيـع أن نقول إن درس العامية مقارنـة بالفصحى قد يصـل بنا إلى عدة غايات :

١ - تفسير مـا غرب أحيانًا من ظواهر الفـصحى ففى درس لى للضـمير المنوى نحويا وأنا أبين لطلابى رابط جملة الخبـر بالمبتدأ حين يكون الرابط ضميرا منويًا كما هو واضـح فى قولهم : السمن منوان بدرهـم ؛ لـم أجد مفـسرا لحق الضمـير المنوى إلا البحـث عنه ظاهرا فى مـثل التركيب الـسابق وقد وجدته فى الحى الشـعبى فى الشارع المصرى حين سمعت بـائع البلح وهو يقول : رطلـين منك يا رطب بقرشين ؛ فـقد ظهرت لديه الكـاف الرابطة التى كانت منوية مستقرة فى الفصحى فى صورة الهاء ؛ وقد حدست وقتها بإمكـان رصد بيئتين فـى مناحين مختلفين حيـث بائع السمن الـقديم كان يختزل أمر الإعـلان عن سلعته فهى سـلعة غير بائرة لاتحتـاج إلى ما يرتق

أمرها من التزيد فى الإعلان ومن هنا كان اختزال الضمير مطلبا أما البائع المعاصر فلى تزيده إزاء عرض سلعة ألظهر الضمير فى عصر الإعلان والدعاية وهو عصر يطغى فيه الحديث عن المباع دون اهتمام بجودة المباع نفسه .

٢ - أن الفصحى ترقى ويرقى رقيها موصولا وحياتها فى استمرار لو ارتقت عاميتها بهذا التطعيم الحضاري من الفصحى .

٣ - إدراك كيفية التطور الصوتى والتركيبى والدلالى بين القبيلين الفصحى والعامية .

٤ - إدراك حدود معجم المبدع والكاتب والمتكلم الذى قد تفلت منه بعض كلمات يبدو وصل أمرها بالعامية واضحا ، وهى تمثل رصيدا للفصحى .

٥ - تقريب أمر الوادين حتى يسهل إدراك الفصحى وهل هناك من تقريب أوفى من العبارة المصرية « يسلم فمه » ؛ أى يسلم الفم الذى نطق القول الصائب . وقد كان يزعجنى تشديد العامية للميم فى كلمة « فم » وضم الفاء لكن الازعاج قل مرحوفة بل قد انتفى حين أدركت أن من شواهد الكلمة فى العربية .

يا ليتها قد خرجت من فمه

٦ - وضع العامية فى موقعها المناسب وذلك من خلال الرضا بها لغة للبيوت والأغانى والفولكلور .

٧ - إدراك أنه بإمكانها أن تكون وسيطا ناقلا من لغة إلى لغة .

ومعلوم أن هذا الموضوع معقد شائك وأن لــه لدينا لمس من يبحث عن الإطار والشكل كى يتضح تصورا للاحتمال الوارد فى علاقة فوق العامية بالفصحى ؛ ولأن العامية جزء من حياة فإن الباحث لن يقف أمام كل العاميات

وإنما سيختار العامية التي ألفها حيث يكون مرجعها نطقا واستعمالا وتحليلا ؛ ومن هنا فمقصود العامية مردود إلى عامية معينة هي العامية المصرية في النصف الأخير من القرن العشرين ريفا وحضرا ، ومع كون الاختيار اعتباطيا فقد أضحى الثراء التحليلي من خلال هذه اللغة قائمًا فهي لغة حفظت للفصحى كيانها وكشفت عن مخزون ليس بالنادر من ثراء لغات كالتركية والإيطالية واليونانية والانجليزية مع كم من ألفاظ البادية غير قليل ، وهي بهذا التركيب الحضاري أصبح لها حضور بين اللهجات فتكاد تكون اللغة الأخرى بعد الفصحى التي بالإمكان أن يقال عنها بأنها اللغة المشتركة الثانية فناطقو العربية من المحيط إلى الخليج يتفقون على إدراكها والوعي بها والاستقرار عليها دون تعصب لغة مشتركة ثانية وذلك راجع إلى امتلاكها حق الانتشار والقابلية بما تحمله من رقي وثراء .

فالعامية عامية مختارة منتقاة وسبيل الكشف عنها ؛ والربط بينها وبين الفصحى إذا ما أطلق مداه أضحى الأمر معقدا غير ميسور ومن ثم فقد كفانا لمس هذه الظاهرة الاتكاء على معجم لغوى أسلمت قراءته إلى وجود ظواهر التقاء وليس الأمر راجعا إليه وحده فالمعاجم التي احتشدت فيها مادة اللغة عبّرت عن نقطة التداخل هذه ؛ لكن المصدر مختار منتقى لأنه الصحاح للجوهري وهو مصدر تراثي أصيل .

حدود التحليل في هذا البحث ترتد إلى واقعين :

١ - واقع عامية مصرية معاصرة .

٢ - واقع فصحى ترتد مادتها إلى معجم هو الصحاح للجوهري .

والارتكاز في متابعة مسار الفصحى على معجم ارتكاز على عمل لغوى يمثل ثقافة لغوية شمولية ؛ فمن المعلوم أن المعجم العربي التراثي يحمل كما

ضخما من المعارف اللغوية صوتية وصرفية ونحوية وإيقاعية بالإضافة إلى الجوانب الدلالية المنتزعة المفردة أو الموجودة في سياق والإحساس بالعامية اعتمادا على الفصحى ليس جديدا على الدرس اللغوى فدراسات العامية لها وجود والربط بين دلالات الألفاظ في العامية والفصحى أمره قائم وفي معجم تيمور الكبير بتحقيق الأستاذ الدكتور حسين نصار حديث كبير في خصوص علاقة العامية بالفصحى ، ويكفى أن ننقل نصا من نصوصه حول كلمة من الكلمات كي يتأكد لنا تمام الصلة يقول في كلمة « بُرِّيه » : « بريه منك هى أنا برئ منك ، وعادة النساء إذا قلن ذلك مسكت الواحدة طوق قميصها ونفضته كأنها تسل ثيابها من الأخرى وهو اسم فعل عندهم بمعنى أبرأ منك كما في الأغانى جـ ١٨ ص ٧٨ »[1] .

والحرص في النص السابق على دلالة الفصحى أكثر من الحرص على توظيف العامية ، لأن دلالة التلطف في موقف نسائى آخر تذهب بإحساس الفعل حين يقال : بريه منك ، احمل إيه فيك بقى باللا أمرنا لله . وقد تناسب الكلمة حدود الجذر الآخر وهو برر وعلاقته ببرأ .

وفي حوار آخر يقول معجم تيمور حول كلمة تباع :

« لعله من القلب المكانى وأصله تباع أو من قلب الميم باء وأصله متاع وتطلق أيضا على صاحب كذا أو بائع كذا » ويحيل معجم تيمور أمره إلى مصادر أخرى شغلت نفسها أيضا بدرس العامى وعلاقته بالفصحى قائلا انظر مجلة الضياء جـ ٧ ص ٤٥ وما بعدها ففيها شيء عن لفظ بتاع وانظر شرح القاموس في باع وأن أصله مبتاع .. وفي كتاب المعرّب والدخيل لمصطفى المدنى بتاع فلان يعنى حقه عامية مصرية وكان أصلها من قولهم بتع بأمر العلم إذا قطعه دونك فاستعمله العامة فيما يختص به صاحبه توسعا .. وفي كنز الفوائد في الفوائد ص ٤٧ استعماله بتاع بمعنى صاحب »[2] .

والدراسة هنا ثرة تدل على إحاطه ووعى فقد دارت الكلمة كما أحسب حول الملكية الخاصة جداً من التابع وهو الخادم والخادم فى عرب صاحبه ملكية خاصة هذه الملكية أصبحت دليلا على الخصوصية التى لاتنقص ؛ ومن ثم كان التصرف فيها بما يوازى المملوكات والأشخاص فنقول :

ماتقولشى بتاعنا ولابتاعكم ده بتاعنا كلنا .

وتقول الفتاة :

المسطرة دى بتاعتى .

وفى الملكية الصغيرة تقول : دى حتة بتاعة .

وفى التحقير تقول :

دى حتة بتاعة صغيرة لاراحت ولا جت .

وتطلق على البائع كما يتضح من مرام الأغنية التى تقول :

يابتاع التفاح فين تفاحك راح .

وتصير يا بياع المناديل يا بتاع المناديل .

من هنا كان تشرّب العامية متعدد اثر الدلالة والاستخدام فقد اتسعت دائرة البحث هل بتاع من متاع أو من باع أو من تبع ؟

ضمت العامية فى حوزتها هذه الأمور لتستقر فى كلمة بتاع .

من أجل هذا الحوار لايقف الناظر لهذه العامية التى تعتبر لغة حية نامية عند درس سابق مكتفيا بما جاء فيه فاتجاهات الدراسات تختلف ولن يضير هذا البحث استخدام آلة ترتكز على توضيح مستويات الصوت والتركيب والدلالة معا فى درس هذه العلاقة ففى هذا الاستخدام إضافة جديدة لحق الظاهرة .

نعود إلى دراستنا التي ترتكز على معجم الصحاح للجوهري وقد كان اختياره مقصوداً ؛ لأن حجمه بين الطول والقصر كان سبيلا للاكتفاء ؛ ولأن تغطيته لأمر الفصحى تغطية واضحة ؛ ولأنه سابق على المعجم القافوى لسان العرب لابن منظور الشبيه به .

وصاحب الصحاح هو إسماعيل بن حماد الجوهري ١٠٠٣ هـ وهو لغوى أصله من فاراب وقد دخل العراق صغيراً وسافر إلى الحجاز فطاف البادية ثم عاد إلى خراسان بعد ذلك ومن غريب أمره أنه قد قيل بأنه حاول الطيران فمات في محاولته كما قال الزركلي في الأعلام (٣) .

وللجوهري غير هذا المعجم الكبير كتاب في العروض يسمى عروض الورقة فيه شيء من تفرد ، وله مقدمة في النحو . وقد سمى الجوهري معجمه بالصحاح لأنه ألزم نفسه بما صح عنده رواية ودراية وسماعا ، مشافهة من أصحاب اللغة الأصلاء . وقد بدأه بمقدمة قال فيها إنى « قد أودعت فى هذا الكتاب ما صح عندى من هذه اللغة التى شرف الله تعالى منزلتها وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها ، على ترتيب لم أسبق إليه وتهذيب لم أغلب عليه فى ثمانية وعشرين بابا ، وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلا على عدد حروف المعجم وترتيبها ، إلا أن يهمل من الأبواب جنس من الفصول بعد تحصيلها بالعراق رواية واتقانها دراية ومشافهتى بها العرب العاربة فى ديارهم بالبادية . . ولم آل فى ذلك نصحا ولا ادخرت وسعا نفعنا الله وإياكم به » .

فالمعجم محاولة لرصد دلالات اللغة والكلمات رصدا معتمدا على الدراية والرواية والسماع ؛ أى أنه أقرب إلى حق الوصف منه إلى حق المعيار والكلمات فيه يصل إليها القارئ اعتمادا على آخر حرف فى الجذر ومن ثم فهو عمدة المعاجم القافوية ورائدها ؛ ولعل استخدامه هذه الطريقة سبيلا للكشف كانت تعطى ناشئ الشعر المادة الموفورة لعطاء قافيته وقد اسعفنا هذا المعجم فى

رصد الظاهرة الصوتية رصدا سليما لأن الجوهري سار على طريقة ضبط الكلمات بالحركات بالنص على ذكر حركة حرف الكلمة التي تحتمل أكثر من وجه واحد فجنب معجمه كثيراً من تصحيف أصاب المعاجم التي لاتصنع ذلك من خلال أخطاء النساخ . وقد أشار في معجمه في كثير من الأحيان إلى الضعيف والردئ والمتروك والمذموم من اللغات كما أشار إلى النوادر والمعرب والمولد والمترك والأضداد وهي أمور تضع أيدينا على تسرب الكلمة بين أودية لغوية متفاوته ، ففي المعجم من اللهجات نصيب وفيه من المولد الأعجمي نصيب بجانب الصحيح من لغتنا ؛ ومن هنا كان الاعتماد عليه هادفا مسلما إلى ما نريد ، والذى نريده نحاول الوصول إليه من خلال الارتكار على نقاط ثلاث :

- مدخل يظهر فيه حق التلاقي والاتصال وذلك بدرس العلاقة بين اللغة واللهجة .
- وضوح الصلة بين العامية والفصحى في حق الدلالة .
- وضوح الأمرين السابقين في حق التركيب . فإلى كل نقطة من هذه النقاط :

من الأمور المدركة التى أضحت عرفا لدى الدارسين كون اللغة أمرا عاماً واللهجة أمرا خاصاً فالنشاط اللغوى الذى يدور فى نطاق الشعب السودانى يمكن أن يسمى لهجة إذا ما قورن بالنشاط اللغوى للأمة العربية كلها ، ومثل ذلك يقال فى النشاط اللغوى لمصر والمغرب والعراق وعمان وسوريا والأردن ولبنان . ويمكننا القول بأن النشاط اللغوى فى أمة السودان كلها يمكن أن يسمى لغة إذا ما قورن بنشاط إقليم من أقاليمه الذى يمكن أن ينظر إليه على أنه لهجة . فالفارق بين اللغة واللهجة فارق بين العام والخاص ، والعموم والخصوص مسألتان نسبيتان فالعام خاص لعام والخاص عام لخاص .

وفى إطار تحديد للهجة يمكن القول بأنها مجموعة الصفات اللغوية التى تنتمى إلى بيئة خاصة جغرافية أو تاريخية يشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة ، وبيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها ما يمثل خصوصية ولكنها تشترك فى مجموعة الظواهر اللغوية التى تيسر الاتصال بين أفراد هذه البيئات وتيسر فهم ما يدور بينهم من أحاديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التى تربط بين هذه اللهجات ، وتلك البيئة الشاملة التى تتألف من عدة لهجات هى التى من الممكن أن يصطلح على تسميتها باللغة [1] .

وقد كان مدلول اللهجة عند القدامى من علماء العربية يعبر عنه أحيانا بمصطلح اللغة وأحيانا باللحن فيفى تحديد بيئى خاص سمعنا منهم هذه العبارات : وتلك لغة قوم أو لغة أهل العالية ولغة أهل الحجاز وهم يعنون بمقصود اللغة ما نعنيه باللهجة اليوم .

وسمعنا منهم فى مقام آخر من يقول فى معرض الجواب عن مسألة

نحوية : ليس هذا لحنى ولا لحن قومى ، أى ليست هذه لهجتى ولا لهجة قومى .

أما مدلول اللغة فيبدو أن العرب القدامى منذ الجاهلية وصدر الإسلام كانوا يعبرون عن مقصود اللغة بمصطلح اللسان ، والكلمة شركة بلفظها ومعناها فى معظم اللغات السامية ، وقد بان أن القرآن الكريم هو الهادى إلى هذا المقصود ففى قصد للغة يقول المولى عز وجل ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ وقرئت بلسن قومه(*) . ويقول جل شأنه ﴿ لسانا عربيا ﴾ و ﴿ بلسان عربى مبين ﴾ والمراد من خلال ذلك اللغة . وقد حكى أبو عمرو قائلا : لكل قوم لسن ، أى لغة يتكلمون بها .

وبين العموم والخصوص يوجد الخيط الواصل والصلة المستمرة ، ومن هنا نستطيع أن نستفسر فى إطار التقريب وبيان العلاقة عن الصفات التى يعتمد عليها فى تمييز لهجة عن أخرى ، ويمكن القول بأن التميز يعتمد فى الغالب على جانب الأصوات فالذى يفرق بين لهجة وأخرى بعض الاختلافات الصوتية فمن المروى أن أهل قبيلة تميم كانوا يقولون فى فزت فزد مستبدلين التاء بالدال والقرب الصوتى بينهما واضح(٦) . ونحن فى لهجة القاهرة نقول :

صلاحْ ألبه ميِّت ، وفى بلاد الصعيد يقولون : جَلْبه ميت فالفارق بين الموقعين صوتى والدلالة كما نرى واحدة وما كان من الممكن أن يبحث عن خلاف فى الدلالة باعتباره أساس تفريق بين لهجة وأخرى فى أمة واحدة وإلا لأضحت الأمة مزقا وأشتاتا لا رابط بين بنيها ونحن نعلم كم يصعب علينا نفسيا واجتماعيا وقوميا ما تملكه لهجة أبناء النوبة من خلاف جم فى حق الأصوات والدلالة ونعلم شيئا من الوهن فى وصل هذا الموقع حضاريا ببقية أمته .

ونحن نقول فى القاهرة « مأدرش » وهى جملة بمعنى لا أقدر على شىء ، وهى جملة كما نرى تتم فى إطار الفصحى من خلال استبدال ما النافية بلا مع إضافة لاحقة هى اختزال لشىء أضحت لاحقة من لواحق النفى فى العامية

تتضح في : ماقلتيش ، ما عرفتش كدها بهاتي ، ماكلتيش ، ما مشيش .. هذا مع تحول قاف الفصحى إلى همزة هذه الجملة القاهرية تنطق في صعيد مصر : ما جدرش ، والخلاف الصوتي بيّن واضح فقد أضحت همزة القاهرة جيما في لهجة الصعيد وأصبحت المقاطع الثلاثة الموجودة في نطق أهل القاهرة للجملة ما / در / ش والتي على نحو :

⟵	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	
	si	dar	ma?	⟶

- أصبحت هذه المقاطع في لهجة الصعيد أربعة هي :

ما / ج / در / ش

أي

fi	dir	ga	maa	
ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	⟶

فالفارق الصوتي بين النطقين واضح كما وكيفا .

وإذا كان للدرس اللغوي في بال المحدثين موجود فإنه لم يلق إهمالا في الدرس اللغوي القديم وبخاصة أن القرآن الكريم قد حمل بعضا من هذه اللهجات مصورا بعض خصائصها فكان فيه من لهجات قريش وهذيل وكنانة وجرهم وقيس عيلان والخزرج وغير ذلك . ومن دلائل وجود هذه الآثار اللهجية المفردات الآتية :

- كلمة بعلا في قوله عز وجل ﴿ أتدعون بعلا ﴾ أي ربا وهي يمانية من أزد شنوءة كما أنها من مفردات العبرية تحركت دلالاتها وتعددت اشتقاقاتها في العبرية بما يثبت أصالتها في العبرية .

- كلمة وَزَر فى قوله عز من قائل ﴿ كلا لا وزر ﴾ والوزر هو الجبل فى اليمانية والولد فى الهذلية .
- كلمة بورا فى قوله سبحانه ﴿ وكنتم قوما بورا ﴾ ؛ أى هلكى فى لهجة عمان .
- كلمة السفهاء فى قوله سبحانه ﴿ ولاتؤتوا السفهاء أموالكم ﴾ ؛ أى الجهال فى كنانة .
- كلمة خاسئين فى قوله سبحانه ﴿ كونوا قردة خاسئين ﴾ ؛ أى صاغرين فى كنانة أيضًا .
- كلمة قطر فى قوله عز من قائل ﴿ افرغ عليه قطرا ﴾ أي نحاسا فى لغة جرهم .
- كلمة نِحْلَةً فى قوله سبحانه ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحله ﴾ ؛ أى فريضة فى قيس عيلان .

ولأن تميز اللهجة عن أختها صوتى فى معظمه فقد حظيت المصادر اللغوية التى تناولتها بقيم صوتية قابلة للدرس باعتبارها ظواهر مخالفة أو خروج على مسار الفصحى فقد نجد فى كتب التراث اللغوى حديث عن عنعنه تميم وكشكشة أسد وكسكسة ربيعة . والعنعنة قلب الهمزة عينا وتوردها كتب اللغة على أنها لهجة أو لغة مذمومة أحيانا يقول ابن فارس عنها فى باب اللغات المذمومة فى كتابه الصاحبى :

« أما العنعنة التى تذكر عن تميم فقلبهم الهمزة فى بعض كلامهم عينا . يقولون :

سمعت عنّى نائمة ، قال أبو عبيدة : تحسب أنى وهذه لغة تميم . قال ذو الرمه :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

أراد أأن فجعل مكان الهمزة عينا ».

ويقول عن الكشكشة التي في أسد وهي إبدال الكاف شينا فيقولون عليش بمعنى عليك وينشدون :

فعيناش عيناها وجيدش جيدها ولونش إلا أنها غير عاطل

أي ولونك .

ويراها آخرون أنها شين ترتبط لاصقة بصوت الكاف فكأنهما في حسباني معا صوت مركب فيقال في عليك نطقا عليكش .

والدارس حين ينظر إلى هذا النطق يدرك خصوصيته وأن أمره مردود إلى بيئة صغرى هي جزء من بيئة كبرى أعم ؛ ولعل تنقيب العربي عن هذه اللهجات في البدء كان غايته تحييد هذه اللهجات ووضعها موضعها المحدود في سياق الفصحى حيث تأتي حين الحاجة إليها في التفسير وحتى يبين موقع الفصحى منها وقد كان مدار التصويب والتخطئة لدى الدارسين القدامى موصولا بذلك فقد استعانوا على استقامة نظام الفصحى صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا بدرس ظاهرة اللحن والتصويب وإدراك حد العامة وقد بدأت مؤلفاتهم في هذا الحقل بالكسائي (ت ١٨٩ هـ) في رسالته التي بعنوان ما تلحن فيه العوام . ومن جملة ما ورد من كتب في هذا المجال :

اصلاح المنطق لابن السكيت ٢٤٤ هـ ، أدب الكاتب لابن قتيبة ٢٧٦ هـ

لحن العوام لأبي بكر الزبيدي ٣٧٩ هـ ، لحن الخاصة لأبي هلال العسكري ٣٩٥ .

تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي ٥٠١ هـ ، درة الغواص

فى أوهام الخواص للحريرى ٥١٦ هـ ، التكملة فيما يلحن فيه العامة للجواليقى ٥٣٩ هـ .

ورغم رصد هذه الظاهرة للتقويم لا للوصف فإن هذه المؤلفات قد حفلت بعرض ظواهر لهجية ليست بالقليلة كما ساعدتها مؤلفات فى حقل الدرس اللغوى العام بالحديث عن اللهجات أو اللغات أو الدخيل كالصاحبى لابن فارس والخصائص لابن جنى والمعرّب للجواليقى والمزهر للسيوطى ؛ أى أن إدراك الطرف الآخر المقابل للفصحى كان موجودا فى وعى الدرس اللغوى عند العرب لابجعله هدفا وغاية وإنما لاستخدامه مفسرا أو لتجنبه قيمة ؛ أى لجعله وسيلة يتضح من خلالها موازنة أو تقابلا حد الفصحى .

الاتصال الدلالى بين الفصحى والعامية

فى هذا الخيط الدلالى نأخذ الدلالة التى يعطيها المعجم حين نجد فيها موافقة مع ما تعطيه الكلمة فى العامية المصرية المعاصرة ، والعامية التى تتحرك من خلالها عامية رجل الشارع فالمثقف المصرى القارئ للأدب المتعامل مع الفصحى لامجال له فى إطار العامية ولعل هذا ما عناه الجوهرى صاحب الصحاح الذى دل فى معجمه على عامية مصر حين قال فى مادة جرب « وعامة مصر تكسره »[١٥] . ويبدو أن العلاقة بين الفصحى والعامية دلاليا لن يطلب فيها الاتفاق التام فما بين توسيع للدلالة وتضييق لها وتبديل لموقعها الإيحائى يدور هذا البحث وفى بدء المحاورة سوف ننتقى كما من الكلمات ليس بالقليل ندير حوله حوار الاتصال .

جدول بالكلمات

التى استخلصها الباحث من قراءته للصحاح والتى أخذ منها مادة تعليقه

الباب	الكلمات
الهمزة جـا ٩ كلمات	بابا ، جزا ، خرا زنا ، سلا فسا ، قرا ناتا ، هتا .
الباء جـ ١ ٢٤٠ كلمة	لب ، أتب ، جسرب ، جحب ، جلب ، جلب ، دب ، رب ، رعب ، ريب ، زرب ، شب ، شتب ، ضاب ، علب ، قوب ، كيب ، كلب ، ندب ، نصب ، نوب ، وجب ، وثب ، هبب .

الباب	الكلمات
التاء جـ ١ ٧ كلمات	بكت ، رلت ، سبرت ، سلت ، صوت ، فت ، لتت ..
الثاء جـ ١ كلمتان	عشث ، كرث
الجيم جـ ١ ٨ كلمات	برج ، بردج ، بهرج ، توج ، خرج ، صهرج ، لهج ، همج .
الحاء جـ ١ ١٤ كلمة	أرح ، بجح ، بحّ ، برح ، ذبح ، ردح ، رحّ ، زاح ، سطح ، فضح ، لدح ، مَرح ، كلح ، وحح . ودلالتها للسوء أوضح .
الخاء جـ ١ ٩ كلمات	برنخ ، دوخ ، رنخ ، سبخ ، شرخ ، طخخ ، ملخ ، نخخ ، توخ
الدال جـ ٢ ١٥ كلمة	بلد ، جرد ، جلد ، جلمد ، رَبد ، رغد ، زند ، صمد ، عربد ، عصد ، عهد ، لبد ، مجد ، نهد ، هرد ..
الذال جـ ٢ كلمة واحدة	فذ ..
الراء جـ ٢ ٥٤ كلمة	أزر ، اكر ، أمر ، بثر ، بختر ، برر ، بسر ، بشر ، بطر ، بار ، ترتر ، جبر ، جعر ، حدر ، حذر ، حصر ، خزر خفر ، دفر ، دهر ، ذفر ، زحر ، زرّ ، سفر ، سير ، شجر ، شرشر ، شطر ،

الباب	الكلمات
الراء جـ ٢ ٥٤ كلمة	شكر ، شـور ، صبلبر ، جيهر ، طرطر ، طنبر ، طـور ، طير ، عبثر ، عيسر ، عشر ، علر ، عسر ، عشر ، عـفر ، غرر ، قير ، قور ، عير ، كبر ، كنبر ، كفـر ، نظر ، تقر ، هبر .
الزاي جـ ٣ ٤ كلمات	رزز ، نحز ، وزز ، هنلز .
السين جـ ٣ ١١ كلمة	بـسوس ، جعـس ، جمـس ، حبس ، درس ، دعس ، عـفس ، غلس ، وكس ، هرس ، هلس .
الشين جـ ٣ ٣ كلمات	خيش ، هرش ، فش . .
الصاد جـ ٣ كلمتان	غصن ، جهص .
الضاد جـ ٣ كلمة واحدة	وفض .
الطاء جـ ٣ ٩ كلمات	بلط ، سمـسط ، عبـسط ، خبط ، فرط ، فرشط ، قسط ، نطط ، وطط .
العين جـ ٣ ١٩ كلمة	برقع ، برقع ، ترع ، جدع ، جدع ، خلع ، دلع ، رجع ، رقع ، صرع ، صمع ، ضلع ، فرع ، قرع ، قزع ، متع ، ميع ، نخع ، وجع .

الباب	الكلمات
الغين جـ ٣ ٧ كلمات	يفغ ، وبغ ، رزغ ، شغغ ، مرغ ، تدغ ، نشغ ..
الفاء جـ ٤ ١١ كلمة	أرف ، تحف ، جلف ، سفف ، سلف ، طرف ، قفف ، كرف ، كنف ، لحف ، ولف ..
القاف جـ ٤ ٧ كلمات	أنق ، أوق ، بطق ، دبق ، ديق ، شبرق ، علق ..
الكاف جـ ٤ كلمتان	ملك ، فتك ..
اللام جـ ٤، ٥ ٤٤ كلمة	جل ، زيل ، سبل ، سبهل ، سجل ، سحل ، سعل ، سلل ، شكل ، شمل ، شول ، صندل ، ظلل ، عتل ، عدل ، عزل ، عضل ، عطل ، عول ، عيل ، فتل ، فشل ، فصل ، فضل ، فلل ، قبل ، قرقل ، قفس ، قلل ، كبل ، مصل ، قمل ، ملّ ، نبل ، نحل ، نطل ، نول ، نيل ، وكل ، هبل ، هدمل ، هرجل ، هطل ، هول ...
الميم جـ ٥ ٦٢ كلمة	أدم ، يرم ، برطم ، بزم ، بصم ، بلم ، حرم ، حرجم ، حشم ، حلم ، حمم ، خشم ، خضرم ، درم ، دوم ، ذم ، رتم ، رخم ، ردم ، رذم ، رسم ، رطم ، رقم ، رمم ، ريم ، زقم ، زلم ، زنم ، سجم ، سخم ، سرم ، شبرم ، شتم شرم ، شكم ، شام ، صحم ، صكم ، ضبرم ، طرم ، عتم ، عجرم ، عتلم ، عشم ، عكم ،

الباب	الكلمات
الميم جـ ٥ ٦٢ كلمة	غشم ، قـردم ، قشم ، قرم ، كـرظم ، قزلم ، قزم ، قـنزلم ، قشم ، قطم ، كمم ، لهم ، زخم ، رغم ، وصم ، حلم ، هرم
النون جـ ١٠٥ ٢١ كلمة	اجـن ، أذن ، رين ، بطـن ، جهن ، جون ، جرن ، حين ، دهون ، ربـن ، رتن ، زبـن ، شـبن ، صبن ، صحن ، صبلن ، طحن ، خفن ، قرن ، هوثر ، حن
الواو والياء جـ١ ٢٠ كلمة	حلا ، خفى ، رغا ، رفا ، سفـى ، سوا ، شفا ، صبا ، طقا ، صبـى ، عجا ، عضـا ، علا ، غرا ، فرا ، قلا ، قنا ، قـسـوا ، كـرا ، ورا ...

تلك جملة المفردات التى وقفنا أمامها فى الصحاح وجملتها (٣٦٥) كلمة وغيرها فى الصحاح موجود لو حاول باحث آخر التتبع والاستقصاء ومع إدراكنا بالتلاقى بين الفصحى والعامية فى هذه الكلمات سوف يقتصر بحثنا طلبا للإيجاز على مجموعة تصل إلى ١٥٣ كلمة وهذه المجموعة كم اعتقد أنه يثبت حق الظاهرة والكم يكاد يمثل معجما بمفرده لو راعينا حق الصوغ والاشتقاق وتعدد الدلالات فى هذه الكلمات ، ورغم إدراكنا بطرق بعض هذه الكلمات

واقع معاصر خاص قد يثبت لهذه الدراسة شيئًا من الجدة والثراء . فإلى درس للكلمات افراديا وتركيبيا لإثبات التلاقى بين الفصحى والعامية .

قبل أن نبدأ هذا الحوار نبين في إيجاز كيف يحدث للمعنى أن يتغير حيث يكون الدال واحدا ثابتًا ويكون المدلول عرضة للتغيير . ويعض اللغويين يشبه هذا التغيير وهو حقيقة ثابتة عن طريق اكتساب الكلمة لمعان جديدة بالشجرة تنبت فروعا جديدة وهذه الفروع بدورها تنبت فروعا أصغر والفروع الجديدة قد تخفي القديمة وتقضي عليها ولكن لايحدث ذلك دائمًا وهناك كثير من المعاني السابقة ازدهرت وانتشرت لفروق على الرغم من نمو المعاني الجديدة اللاحقة[٨] نحن نستخدم في حياتنا ألفاظًا قديمة لمعان جديدة ؟ ومن ثمّ يتغير المعنى أحيانا ، وهكذا نجد أنفسنا كما يقول د. إبراهيم أنيس أمام موج زاخر من الألفاظ القديمة في صورتها الجديدة في دلالتها ، وما أمثلة اللغة المعاصرة لكلمات المدفع والدبابة والسيارة والقاطرة والسخان والتسجيل والصحف والمذياع والجرائد إلا دليل على إثبات بقاء الشكل وتغير المعنى[٩] .

تغير المعنى أمر قائم وله أشكال حيث يأتي عن طرق منها :

١ - توسيع المعنى widenig وفيه تنتقل الدلالة من معنى خاص إلى معنى عام ومن نماذج هذا التوسع في الدلالة إطلاق الطفل كلمة تفاحة على كل الأشياء المستديرة التي تشبهها في الشكل مثل البرتقالة وكرة التنس وأكرة الباب ، وكذلك إطلاق مصطلح الوردة على كل الزهرة عمومًا وإطلاق بعض المثقفين العرب لكلمة كوداك على مطلق الكاميرا .

٢ - تضييق المعنى narrowing وفيه تتحول الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي وتضييق مجالها وهذا واضح من خلال إطلاق لفظة حرامي وهي في الحقيقة نسبة إلى الحرام فقد تخصصت دلالة الحرمة وهي عامة لتساوي اللص السارق ، وكذلك في تضييق مراد لفظ الطهارة وارتكازها على

معنى ضيق هو الختان ، وتخصيص كلمة العيش التى أصبحت فى مصر مرادفة للخبز .

٣ - نقل المعنى وفيه تنتقل الدلالة من موقع إلى موقع مخالف مع إيجاد رابطة تتم عن طريق قيم مجازية يبدو فيها أمر الاستعارة والكناية والمجاز المرسل بعلاقاته المحلية والحالية والسببية واضحا ، ومن قبيل هذا الانتقال ما هو ملاحظ فى كلمة الشنب التى كانت تعنى فى القديم جمال الثغر وصفاء الأسنان وهى فى الاستعمال الحديث بمعنى الشارب ، وكذلك كلمة السفرة التى كانت تعنى الطعام الذى يصنع للمسافر وهى فى الاستعمال الحديث المائدة وما عليها من الطعام وقد كان طول اليد قديما كناية عن السخاء والكرم وإذا به اليوم يأخذ معنى مضادا حيث يكنى به عن السارق [١٠] .

تلك أمور سوف نلاحظ أمرها فى العلاقة القائمة بين الدلالة التى تحملها فى الفصحى المأخوذة من المعجم الدال عليها والدلالة التى تحملها الكلمة فى العامية المصرية . ونحن نسجل مراد المعجم لأنه حين يدل على الفصحى قد يدل معها على اللهجة والمولد والأعجمى فالمعجم معين شمولى قد يعطى إحساس العامية قبل أن نصل إليها وهذا ملاحظ فى بعض ما رصده الجوهرى صاحب الصحاح . وعرضنا لحوار الكلمات سوف يجرى حسب طريقة المعجم القافوى الذى يعتمد الحرف الأخير فى جذر الكلمة كما يتضح فى الآتى :

(أ) فى نطاق حرف الهمزة :

(حزأ) يقول ابن السكيت عنها حزء الشخص يحزؤه حزءا رفعه ، لغة فى حزاه يحزوه بلا همز . ودلالة الفصحى تدور حول رفع الشيء ؛ أما العامية المصرية فتقول : ده عمّال يحزأ ، وفى إطار هذا التعبير نجد دلالتين :

امتهان قوة رافع الحمل الثقيل بحيث القيمة واهية حين رفع هذا الحمل ووصل الكلمة بعملية إخراج مخلفات الإنسان بعنت وصعوبة حين يكون مصابا بالإمساك وفي ذلك رفع عبء وضرر . والرفع وارد أيضاً حيث يقال رفع عن نفسه الحرج ، أي أزاله فالرقع هنا فيه خصوص المشقة البادية من عرق الإنسان وانتفاخ أوداجه حين المشقة .

(زنأ) في الصحاح والزناء أيضاً الضيق . تقول منه زنأ يوله يزنأ زنوءا إذا احتقن وزنأ عليه تزنئة أي ضيّق . والإبقاء على دلالة الكلمة في العامية المصرية قائم مع تنوع مجالات الاستخدام على النحو التالي :

في حصر البول نقول ده مزنوء أي محبوس البول .

في عدم وجود المال مع الحاجة إليه لسد عذر تقول العامية : ده مزنوء في قرشين .

في التصرف على الخصم في الحوار والمجادلة حين لا يجد جوابا تقول العامية : زنأته في مزنأ وفي الإمساك بالخصم حين يسد أمامه طريق الفرار يقول : مسكته في مزنأ ، زنأته في الحيطة . والمعنى العام في كل الوقوع في الضيق لا محالة .

(سلأ) في الصحاح سلأت السمن واستلأته وذلك إذا طبخ وعولج . وفي العامية يبقى المدلول مرتبطا بالسمن المسلي وإن خلطت اللهجة المصرية ونطقت القاف همزة في كلمة سلق فهي تدرك المفارقة بين سلأ للمسلي حيث الحرارة أشد والغلْي أقوى ، والسلأ بديل السلق الذي يكون للمسلوق مما يطبخ وهو ما يعبر عنه صاحب المصباح المنير في مادة سلق بقوله : « سلقت البقل طبخته بالماء نحتا قال الأزهري هكذا سمعته من العرب . وهكذا البيض يطبخ في قشرة بالماء . فسلأ للسمن لا يضاف إليه ماء وسلق للطبخ حين يكون عن طريق غلي الماء ، وحين تشتد الحرارة

ويصـل أمرها إلى وجـه المصرى نـراه يقول : أنـا النهاردة اتـسلقـت من الشمس ».

(قرأ) يقول الـصحاح وجمع الـقارئ قرأة مثـل كافر وكفرة والـقُرّاء الرجل المتنسّك وقد يكون القرّاء جـمعا لقارئ . ومـع اتساع الدلالة فى مـفهوم القارئ نجـد سطوتهـا فى العامـية المصريـة تتجه إلـى مقرئ القـرآن الذى يدعونه فى المصرية بالصيِّت أحيانا .

(نأنأ) فى الصحاح قال أبو عمرو النأنأة الـضعف وقد نأنأ فى الأمر فهو رجل نأنـأ أى ضـعف . والضـعف فى المصـرية دليل وهـن فى العمـل والأكل بخاصة فـقليل الأكل الزاهـد فيه والخَجِل يقال عنـه بأنه ينأنئ فـى أكله ، ويقال لمن يـعطى قليلا مـــن العمل كى يقـوم بتأديته خذ هله نأنـأ فيها شوية ، ولـعل دلالة التصغير التى يـسخـر فيها من الـكبير الذى يفـعل ما يفعلـه الصغير حين يـقال له يا نونو مـأخوذه من هذا المدار مع اسـتخدام تسهيل الهمز والارتكاز على واو المد بدلا من الألف لما فى الواو من إيحاء الصغـر فى العامـية ، فالتـخصيص فـى دلالة العامـية دال على الـضعف والصغر .

(ب) وفى نطاق حرف الباء :

(أب) يؤبّ أبّا تهيّأ للذهاب وتجهز ويؤكد ذلـك صاحب المصباح المنير قائلا : وأب الرجل يؤب إذا تهيّأ للذهاب .

والأب فى مدلـول العامـية المصرية يبـغى انتقال الـدلالة من خلال اعـتبار مجازى حيـث يقال لمن انتقل مـن فقر إلى غنى : أب علـى وش الدنيا ، وفى جثّة الغريق التائهة إذا ما ظهـرت يقال : الجثة أبت على سطح الميّه . فالكلمة فى المصـرية تعنى الظهور بعد خفاء وهذا مجاز لـلتهيؤ ؛ لأنه فيه نوعا من الظهور .

(جرب) والجراب معروف والعامة تفتحه ، وفي المصباح ولا يقال جَرَاب بالفتح قاله ابن السكيت وغيره .

وألف المصرية بالكلمة بما في احتكامها من خلال دليل مجلوى يحكم مثلها الشائع :

يا ما في الجراب يا حاوى

حيث لوحظ أن جراب الحاوى يضم في عبه ثعبانا وأرنبا وفأرا وبعض أشياء يفاجئ بها المشاهدين المبهورين .

(جلب) والجلبة جليدة تعلو الجرح عند البرء هكذا في الصحاح ولنا في عامية مصر ميل إلى كسر جيمها « جلبة » ولعل لدلالة البرء من الحيّ إلى الجماد حيث الجِلْبة المانعة لتسرب الماء في الحنفية ، وحيث الجلبة المانعة لتنفس الهواء في الشكمان الطارد لعادم السيارة .

(ربْ) وفي الصحاح والرَّبْرَب القطيع من بقر الوحش . وقد انتقلت الدلالة عن طريق الاستعارة إلى المرأة البدينة الممتلأة حيث تقول العامة : دى وليّه مربربة وقد تنطلق دلالة العامية إلى الموصوف حين تصبح هذه المرأة تحت سمين البقرة حين تقول : دى تخينة زى البقرة .

(شنب) في الصحاح حِدّة في الأسنان ويقال برد وعذوبة وامرأة شنباء بيّنة الشنب والناظر للعامية المصرية يجد فيها علما من أعلام المرأة هو أم شناب ، ولعل شناف تساويها حيث التبادل في نطق العامي بين الباء والفاء وارد ، ومن الغريب أن يطلق في العامية المصرية الشنب على سمة من سمات الرجل لا المرأة وإن يكون مقصوده موازيا للشارب ولعل احتواءها معا على جذرين هما الشين والباء أباح قضية النقل الذي هو نقلان نقل في حد الأجناس ونقل في علاقة المحل ، فالشارب فوق الشفة العليا قريب من الأسنان ؛ أي قريب من الشنب .

(كيب) فى الصحاح كبّه الله لوجهه اى صرعه فـاكب على وجهه ، وكبكبه أى كبه « فكبكبوا فيها وهم الغاوون » وتكببت الإبل صُرعت من داء ، والكبّة بـالفتح الدفعـة فى القتال والجـرى ، وكذلك كبّة الشتـاء شدته . فالكب الصرع والدفع والشدة .

كل هذه المعانى التـى تصل الكلمة بالموت والدفع تجرى فـى المصرية وجهة الدعـاء بالـهلاك من خـلال دعوة تـخص طبـقة مـن النسـاء هن اللاتى يستخدمن هذه العبارات :

جاتك كبّه ، كبّة يا شيخ

والكبة دعوة تنطلق معها راحة اليد التى تشير إلى وجه المراد هلاكه ، وقد ترد الكلـمة على نحو من الهـزل والتظرف كما يقـال كبّه يا شيخ ، ولأن الكبة موصولة براحة اليد وهى التـى تدفع الإنسان إلى الوقوع على الوجه وبها يتوجه الويـل كان من التضاد أن تخترع لعبة تـستخدم راحة اليد لدى الفتيات أيضًا حيث يأنف منها الرجال وهى لعبة الكبّة .

(كلب) والمُكلب بفتح اللام الأسير المقيد . . أى مكبل وهو مقلوب منه

والكلب المـسمار الذى فى قائم الـسيف . . والكلّب حديـدةٌ عقفاء يعلق عليها المسافر الزاد من الرحل .

والكلوب المنشال وكذلك الكُلاّب والجمع الكلاليب ، ويسمى المهماز وهو الحديدة التى على خف الرابض .

وفى المصرية الكلاب يـساويه الخطاف وهـو شيء يمسك باللحم المرفوع لدى الجزار ، وشدّة المسك بهذا الخطاف ملاحظة ؛ ومن هنا كان مسرب كُلاّب قائما فـى الذى يحصل علـى شيء ويتمسك به لايتركه لغيره حـيث يقول التعبير العامى :

وفضل مكليب فيها بايديه وأسنانه

ولعل المصباح الذى يعلق فى المصرية المضاء بالغاز (كلوب) أخليت تسميته من الخطاف الذى يُعلّق فيه .

(ندب) ندب الميت فى الصحاح أى بكى عليه وعدّد محاسنه يندبه ندبا ، والكلمة موروث إنسانى اجتماعى حفلت به العامية المصرية فأثرت استخدامه وأوجدت عائلته :

يا ندابة ، الندّابه عمّال بتندب على إيه ، ده هايقلبها مندبه

(وجب) وأوجب الرجل فى الصحاح إذا عمل عملا يوجب له الجنة أو النار والموجِّب الذى يأكل فى اليوم والليل مرة ـ ودلالة التوجيب تتسع فى المصرية متصلة بإكرام الضيف أكلا أو إظهار عمل أو مساعدة فيقال :

قومنا معاهم بالواجب ، عملنا معاه واجب كبير ، وجّبت ليهم لما جُم عندنا .

فالدلالة نابها فى حق العامية المصرية لكرم أهليها اتساع مفهوم ضيافة الأكل ليلا ونهارا تظهر وتعتبرا لا مرة واحدة . وقد نابت الكلمة حق التزام العمل والشروع الجاد فيه فى لغة المطمين والحرفيين حين يقال :

وجّبنا يا سطى

(وشب) الأوشاب من الناس فى الصحاح الأوباش وهم الضروب المتفرقون وقد استراحت العامية المصرية إلى المقلوب فى نطاق وصم مجموعة بالذم لإثبات أنهم من أخلاس الرعاع بحيث يقال :

دول جماعـــة أوبـــاش

أى يجمعون خسة ودناءة وعفن الرجال ، فالمقلوب دلالته أثرى من نطاق الأصل فى العامية المصرية .

(رفت) في الصحاح الرفات الحطام قال الأخفش تقول منه رفتُّ الشيء فهو مرفوت إذا فت .

وحين يفهم أن الفت جزء وقطع وتفريق ندرك تخصيص هذه الكلمة في العامية بالرفت من العمل حين يقال : أنت مرفوت من النهاردة .

(جـ) وفي نطاق حرف التاء :

(سبرت) السُّبروت في الصحاح الشيء القليل قال الراجز :

يا بنة شيخ ماله سبروتُ

وامرأة سُبْروته ومسبْريته من رجال ونساء سباريت وهم المساكين والمحتاجون . ومع إدراك التبادل في الموقع بين الصوتين الشفويين الفاء والباء ندرك وجود كلمة « سفروت » بالفاء في العامية المصرية وهي قرينة الصغر مع ذكاء لايناسب الحجم .

(سلت) وسلتت المرأة خضابها عن يدها في الصحاح إذا ألقت عنها العُقُم .
قال الأصمعي : سلت رأسه ؛ أي حلقه .

وفي العامية المصرية بمعنى بالسلت إلقاء شيء يستر عفة المرأة في نعومة ، وللطفل يقال : انسلت منه البنطلون إذْ لم يحكم قيله ؛ فالوارد بين العامية والفصحى انتقال الحدث من جارحةٍ هي اليد إلى جارحة أخرى !

(فتّ) والفتّة في الصحاح ما يُفَتُّ ويوضع تحت الزندة والفتوت والفتيت من الخبز . والتفتت التكسر .

وللفتة في المصرية وفي غيرها وجود فلا داعي في المصرية لوصفها بالشريد ؛ لأن الخبز فيها أساسي . وفي مضمون العامية توجد مساحة لتهديد القوى القادر حين يناطح خصما حيث يقال : والله لافتته حتت .
وفي مضمونها بقايا كسر من رغيف عيش يقال عنها : فتافيت .

(د) وفى نطاق حرف الجيم :

(لهوج) يقول صاحب الصحاح لهوج الرجل أمره لهوجة وهو ألا يبرمه . وقد لهوجت اللحم وتلهوجته إذا لم تتم طبخه .

فالإسراع دون اتقان فى صنع الشيء وعمله مرام الفصحى وهو مرام قائم فى العامية المصرية حيث المراد موجود فالكلمة تطلق فى المصرية على المُسرع فى عمل الشيء دون تحسبه لاتقانه والكلمة أصبحت صفة حيث يقال :

ده إنسان متلهوج أو مسربع ونعملها بساويها مبسرعا

(هـ) وفى نطاق حرف الحاء :

(أرح) فى الصحاح أرح الرجل يأرح أروحا : إذا تقبض ودنا بعضه من بعض فما علاقة هذا المدلول بما يقال فى العامية المصرية دليلا على القفز :

ده أرح م الدور التانى ، أرح من ع الكرسى ؟

هل نلاحظ جملة حالات فى القبض تبدأ بالتقبض والتجمع ثم القفز بعد ذلك؟

يبدو أن المصرية أبقت للوثب كلمة « نط » بديلا عن قفز وأبقت الأرح لقفز معين فيه شيء من معاناة .

هل فى تقبض الجسم وعدم بسطه حين يتكلم الإنسان علاقة بكلمة « أنزوح » الدالة على التكير الممقوت . لقد وسعت العامية فى أمرها دلالة الأرح حيث بانت فى الحدث والوصف معا .

(بجح) الفرح فى الصحاح ، والفرح إظهار لسرور لا خفاء فيه . فهل سار هذا المدلول مستخدما المقابلة فى إطلاق لفظة (بجح) فى العامية المصرية

على الذى يظهر السوء دون خفاء ودون حياء ؟ العلاقة المجازية بين العامية والفصحى قائمة ، وهو الظهور الذى بانت حقيقته فى سرور الفصحى ومجاريته المضاده فى الدلالة على قلة الأدب فى العامية فالمقابلة بين الحدّين واضحة .

(ردح) والرداح المرأة الثقيلة الأوراك فى الصحاح ، وفى العامية المصرية يتصل الردح بفئة من النساء من طبقة اجتماعية دُون .

فاللفظ تحول إلى تصرف نسائى أضحى علامة عليهن . وإذا أريد وصم الرجل بالمرأة فى هذا الشأن قيل له :

أنت هاتردح لنا زىّ النسوان

(رحّ) فى الصحاح رحّه يزحّه ، أى نَحّهّ عن موضوعه وزحزحته عن كذا ؛ أى باعدته . التنحية عن المكان والتنحية المعنوية أمران تعبر عنهما الفصحى فى إقرار مفهوم الابتعاد . وفى العامية المصرية فكّ لهذا المضعف يزحّه وزحّه إلى يزيحه وزاحه وارتضاء منها لمقطع بديلا لمقطع يرتد للإغلاق فالمضارع يزحّه فى الفصحى يتكون من :

	ya	zah	hu	hu
←	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح

وفى المصرية يزيحه مكون من :

	yi	zii	huh
←	ص ح	ص ح ح	ص ح ص

فالخلاف في الكم والكيف بين الفصحي والعامية واضح . وأمر هذا الخلاف قائم أيضًا مع الماضي فزحّه في الفصحى مكون من :

zah ha hu

ص ح ص ص ح ص ح ص ح ←

يتحول في المصرية إلى :

zaa huh

ص ح ص ص ح ح ←

هذا الإلف المصرى متجه إلى قرين آخر هو « راح » وكما يقول عنه صاحب الصحاح : راح الشيء يريح ريحا ، أي بَعُد وذهب وأراحه غيره ومع اتفاق دلالتي زحّ وراح فإن العامية أيضًا كشفت الدلالة من خلال شكل الكلمة الثانية فقالت :

زيحه يا أخى من طريقنا ، زيح الكرسى شويه ، إياه يتزاح عنتا ، معصية وانزاحت ، حيث الاتجاه أمرًا وماضيًا ومضارعًا إلى تنقل معنوى أو مادى يرجو الإنسان إبعاده عن المكان والنفس .

(ق ر ح) في الصحاح قال الأصمعي : قرحت الناقة تقرح قروحا ، استبان حملها فهي قارح .

فوضوح الحمل لدى الناقة موصولا بظهور الحمل ، لكن العامية المصرية عن طريق مجاز مرسل توجهت به إلى نوعية معينة من النساء أباحت إطلاق الكلمة في موقف تبتعد فيه المرأة عن مجالى الطهر والعفة ، حيث يقال بأنها قارح ، والحمل هو القيمة المشتركة بين القبيلين غير أنه حمل مشروع في الفصحى غير مشروع العامية . فالكلمة في إطار العامية من

مستودع القاموس للحرم القبيح ؛ أو من الألفاظ التي يمكن أن يطلق عليها المحظورات اللغوية .

(كلح) الكلوح في الصحاح تكشّر في عبوس ، وفي الصحاح دهر كالح أي شديد ، والكلاح بالضم السنة المجدبة ، ومع العبوس وشدة الزمان وقسوته والجدب والمحل ، أي مع اتساع الدلالة يضيق حيز الاستخدام في العامية لترتبط لفظة « كالح » بوجه إنسان جامد غير حيّ لا خير فيه دون اتصال ذلك بزمان أو مكان .

(وحح) في الصحاح الوحوحة صوت معه بَحَحٌ .. قال الأصمعي رجل وحواح أي خفيف .

فالخفة الواضحة المتصلة بحق الرجل نقلتها العامية المصرية من موقع الرجل إلى موقع المرأة إذ يقال « عماله توحوح » وحين يراد امتهان الرجل بأنه كالمرأة يقال فيه : آهه هيوحوح زيّ النسوان وقد ألفت المصرية هذا الصوغ المتجه إلى المجرد الرباعي ونسجت على غرار إيقاعه كما هائلاً من كلمات مستحدثه مثل :

دعْبس ، فتّن ، فكفك ، برْطع ، دلّس ، وحوح متأنسه بفصحاها حين استخدمت جلبب وشلل وبعبص .. ولقد ألفت المصرية في هذا المضمار أيضاً برتق ، برنس ، برهق ، بروز ، بسبس ، بستف ، بشتق ، والبشتقة لف الخمار على الرأس واسدال شيء منه على الصدر وأصلها كما يقول معجم تيمور جـ٢ ص ١٨٤ تركي ويبدو أن ظلا لهذا الصوغ قائم في الفاروسية أيضاً فأدي شير في معجمه يقول : البشبش فارسي محض وهو ورق الحنظل ، ونحن نقول في مصريتنا : إلله يبشبش الطوبة اللي تحت راسه .

تداخلٌ غريب يحتاج إلى درس هذا الوزن الصيفي درسًا خاصا في إطار هذه المتشابهات ، ويبدو أن الإيحاء التركي لكلمة بشنق بـروزه في مصريتنا عملية الشنق من خلال حبل يرجعنا إلى إيجاد المغزى بين صورتيّ إسدال الحمار ثم أعقاب ذلك بلف على الرقبة لتثبيته وإحكام لفة الحبل على رقبة المعدوم شنقا .

(و) وفي نطاق حرف الخاء :

(بربخ) في الصحاح البرابخ خزف الكُنُف توصل من السطح إلى الأرض . وهذا المسمى فيما أظن قائم اليوم في عاميتنا المصرية التي لوضوح فيها الشكل للدلالة على مسمى واحد له حيث يعبر عنه بالبكبورت في بيئات وبالبربخ في بيئات شعبية وريفية .

(شرخ) في الصحاح الشارخ الشاب .. وشرخ الأمر والشباب أوله . وفي الشرخ كما نلاحظ بدء وفتوة – وهذا معنى ملاحظ في العامية المصرية حين تتحدث عن بنيان رجل قوى قائلة : حامل زى الشرح أمه – أي في طول القامة والاعتدال والقوة .

ويبدو أن الدلالة العكسية قد أضحت في تصور حي معبرة عن شرخ البيت والجدار والكتابة ، وفي تصور معنوي معبرة عن شرخ في العلاقة والأخوة والصداقة .

(طخخ) طخ طخا شرس في معاملته والشيء ألقاه من يده والمرأة نكحها فالدلالات في الفصحى متعددة لكن التخصيص في العامية المصرية أصبح مرتبطا بالقتل الناتج عن طلق ناري تكون اليد وسيلته ؛ أي وسيلة الضغط على الزناد ففي العامية المصرية يقال طخة وهو كالدرة ؛ ولأن الطخ يورث القتل أضحى دعاء بالموت لأهل الريف المرتبطين بمسألة الأخذ بالثأر حيث يقولون : جاك طخه تطخك

(ملخ) وامتلخ فلان ضرسه أي نزعه كما يقول الصحاح وكما يقول أيضًا : وامتلخ العقاب عينه أي انتزعها وفلان ممتلخ العقل أي منتزع العقل .

فالملخ هنا اقتلاع وذهاب للضرس أو للعين أو للعقل وهو في العامية يتحرك بالنقل للفك الذى يعاد جبره متصلا بمفاصل الإنسان وبخاصة فى الكتف والرقبة والكوع حيث يقال : كتفه فيه ملخ ، وعنده ملخ .

(ز) وفي نطاق حرف الدال :

(بلد) وفي الصحاح والبلادة ضد الذكاء ، وبلد بالمكان أقام به ، والمبالدة مثل المبالطة ، أي أن الدال والطاء شىء واحد حيث العلاقة المخرجية متقاربه ويبدو أن للكلمة شيئا فى الفارسية ففى معجم أردشير تحت البليد يقول : الغير الذكى تعريب پليد أى النجس . وقالوا فيه بلُد بلادة .

هذا الجوار بين الدال والطاء يسلمنا إلى ذوق العامية المصرية حيث أخذت الكلمة مسارات الفصحى تمامًا فما زالت صفة البليد موجودة فى الشارع المصرى ، وما زال المكث غير المقبول واضحًا فى الكلمة ومقلوبها حيث تساوى لبد كلمة بلد فيقال :

لبد فى المكان أو مع فلان ؛ أى لم يتركه ؛ والمعنى الآخر موجود بوحى الطاء كما هو وارد فى العامية من قولهم : ده مبلط فى الخط ؛ أى قابع متمسك به لايريد حراكا وهذا وصف ذم لمن لايتقدم أمره خطوة إلى الأمام .

(جلد) فى الصحاح وشاة جَلَد إذا لم يكن لها لبن ولا ولد ، ومع فتح الفاء فى الفصحى نجد أن المصرية قد آلفت كسر الفاء وقالت جِلده أخذه عن طريق المجاز صورة للمنع الإلهى ؛ أي الحرمان من اللبن والولد إلى صورة منع إنسانى بشع هو البخل . فالبخيل يقال عنه فى مصر هذا رجل

جلدة ، أي لا طائل من ورائه حين يراد منه عطاء كالشاة التي لا لبن لها ولا ولد ، أي لا خير فيها .

(ربد) في الصحاح ربد بالمكان ربودا أقام به .

ومع إدراك التبادل الصوتي بين الدال والطاء وكذلك بين الدال والضاد كما هي في الفصحى المعاصرة فإن الربد مكث وترقب واستقرار دون حركة . هذا المكث ملاحظ في العامية المصرية لمن يربد في مكان منتظرا شخصا كي يؤذيه . يقولون في ريف مصر بالراء أو باللام وهما حرفان صنوان بأنا في حد قول المنشد :

واستبدت مرة واحدة إنما العاجز لا يستبد

كما يحكى الجاحظ نطق مرة على هيئة مَلّه – يقولون :

فضل رابد له في الذُّره ولما بانْ قام هَبّه عليه جاير جابو أجله .

فالربد تربص بغرض الإيذاء .

(رغد) رغد البعير يرغد .. ورغد متاعه لي حضره كما في الصحاح فالرغد إيذاء للبعير وعصر للسقاء .

والمعنى الأول أضاعته المصرية لا تؤذي به الحيوان ولكن يختص الحدث بالإنسان حيث يقال :

إدّيله رغد خليه يصحى . فالرغد أشبه بلكمة مكتومة لا صوت فيها :

(عربد) العربدة في الصحاح سوء الخلق ، ورجل معربد يؤذي نديمه في سكره وهذه الدلالة واضحة التطابق في عامية مصر حيث التعريد مرتبط بالسكر ، لكن المصدر أصبح ظلا للخارج على القانون من سكر وغيره فكما يقال : عربدة السكارى يقال : فلان بيعربد في البلد كلها .

(عاد) في الصحاح وشيء عادى ؛ أى قديم كأنه منسوب إلى عاد ، ويقال لا أدرى أىّ عادَ هو ، غير مصروف ، أى الناس هُوَ .

ونسبة الحديث إلى قديم فيه دلالة استمرار وقدم النسبة إلى عاد تأكيد لحق هذا الاستمرار فالاستمرار مع التكرار اسلما إلى العادة إذ كانتا مع عاد الأولى التي تعود اليوم .

هل العود إلى التكرار وارد من رصد الانتقال المجازى المرتبط بأهل عاد ؟ إن العادة في الفصحى والعامية المصرية مع إدراك مصدر العودة مرتبطة بإلف شيء مستقر قديم .

(عهد) من معانيها في الصحاح : والعهدة كتاب الشراء وارتباطها بالعهد والمواثيق واضح والظل مستمر تام في العامية لكنه قرين طبقة وظيفيه معنية فإذا قلنا : سلّم العهدة التي عليك كان شيئًا موكولا بالجند والشرطة على الأخص وبالمصالح الحكومية على العموم . وفي الإطار المعنوى يقال : العُهْدة على الرّاوى والعهده عليه أى أنه المسئول عما ينقل ويقول والعهدة كما رأينا في الفصحى التي وجهتها إلى كتاب الشراء فيها مسئولية والتزام .

(نجد) والتنجيد التزيين في الصحاح وفيه أيضًا النجّاد الذى يعالج الفرش والوسائد والكلمتان في عامية مصر حيث التنجيد تزيين من خلال معالجة الفرش والوسائد ، أما الصانع فقد اكتفت عامية مصر بصيغة اسم الفاعل من الفعل غير الثلاثى علامة عليه بديلا من صيغة المبالغة الواردة في الفصحى ففى العامية يقال المنجِّد مع أن ظل المصدر قائم كما هو في الفصحى فالعملية تسمى التنجيد إذ يقال : عندنا النهاردة تنجيد .

(نهد) والمناهدة في الحرب المناهضة كما يقول صاحب الصحاح ؛ ولعل اقلاق الطفل بالطلبات والجلبة والحركة لأنّه جعلت المصرية تستخلص صورة المناهضة في الحرب موجزة في موقع بين أم وابنها حين تقول له :

يا بنى بطلِ مناهده . يا حبيبى بطلِ مناهده

(ح) ومن نطاق حرف الذال :

(فذّ) الفذ فى الصحاح الفرد ، وأفذّت الشاة أى ولدت واحدا ، فالفردية متصلة بالفذ . والفرد عن حمل الشىء اتقانا لا يصل إليه فرد آخر جعلت العامية المصرية تقول : ده ولد فذّ ، ده لاعب فذ ، أى لا نظير له مبقية على نطق الذال رغم إلفة تحويلها إلى دال .

(ط) ومن نطاق حرف الراء :

(أرر) يقول صاحب الصحاح الأرّ الجماعة تقول منه : أرّها يؤرها أرًّا ، ورجلٌ مئر كثير الجماع .

والجماعة كما أحسب وحدة وقوة وكثرة الجماع رجوله وفحولة والدلالتان مطلبان مرومان ، ومن ثم كانت الضدية التى تقف بالحاسد إزاء هاتين النعمتين دليلا ملاحظًا فى المصرية المعاصرة حين يقال : هايقر عليه مش هايسيبه .

وفى طبقة اجتماعية معينة ترجع إلى الذين يمتهنون مهنة السواق لتاكسى أو سيارة نقل أو عربه كارو نجد تميمة منع الحسد مكتوبة على نحو :

يا ناس يا شر كفاية قر

ومع ذلك المعنى السائد أطلقت الكلمة على من يتناول خير الغير بكثرة الحديث ، وكذلك أطلقت على من يكثر الحزن والنحيب لغير ما سبب وبخاصة لدى النساء إذ يقال : ماتقعديش تقرى لامتى .

(برير) فى الصحاح الصوت وكلام فى غضب ، والبربرة من البر .

وعلاقة النقل المجازية استخلصت فى العامية المصرية شيئًا يقبح ويلقى به

سترا هو البربور . والبربور جامع في إخراجه لصوت من الانف أجش كصوت الغاضب ، وخلطة لزجه لعلها تقرب من خلطة المشبوش واشتقاقات الكلمة في العامية أمر ملاحظ .

(ترتر) في الصحاح التحريك ، والتر خيط يمد على الصماد وقد انتقل الترر من مجرد خيط إلى دوائر صغيرة بيضاء أو حمراء أو صفراء مختلف ألوانها تخاط على أطراف أثواب النساء أو على الأشاريب لدى بنات البلد المصريات أو على التربيعة كما كان يعرفها سكان المناطق الشعبية في مصر .

وقد جمّع هذا التر الذى يقال عنه الترتر بين خصوصية المد الملحوظة فى خيط الفصحى وبين التحريك الملحوظ فيها .

(جبر) والعرب فى الصحاح تسمى الخبز جابرا ، والمجبر الذى يجبر العظام المكسورة والجبر إشباع للجائع وتطبيب للعظام .

فى هذه الدلالات السابقة تحركت المصرية فأطلقت جبر الزاد ، أى المشاركة فى الطعام حتى ولو كان قليلا ، وأقل شيء الخبز وهو ثابت الوجود فى مائدة المصرى . وجبر العظام ملحوظ فى المجبراتى الذى يجبر العظام شريطة ألا يكون بها كسر وقد أضحت هذه المهنة مرتبطة فى مصر بعائلة معينة على رأسها برسوم المجبراتى وأولاده كما يدرك ذلك أهل القاهرة .

ومن جبر الزاد ؛ أى المشاركة فى الطعام ، وجبر العظام ؛ أى تطبيبها جاء فى المصرية جبر النفوس وجبر المكسورين وكلها أمور موكولة فى حس المصرى إلى المولى عز وجل وفى ذلك يقول فريد الأطرش : جبير الخواطر على الله .. مش طالب منك غير طله .

(جعر) في الصحاح الجعر نحو كل ذات مخلب من السباع ، والجاعرتان موضع الرقمتين من است الحمار .

والدلالة الاخيرة تمثل سوءاً وحرجاً جعل العامية المصرية تأخذ من سمة الحيوان هذه إطلاق وصف على رجل فيه حيوانية يزعق ويتحرك دون طائلة فيقال له : يا جعر بكسر العين كما أطلقت وصفاً لصوت هو أشبه بما يرام من صوت ذي المخلب من السباع أو بما يخرج من استه الحمار حيث يقال :

ده عمال يجعر كده ليه . هايفتح لنا جاعورته

(جعبر) في الصحاح القصير الغليظ والمرأة جعبرة .

والقصر والغلظة كما نرى عدم استواء في شكل الإنسانية أدركت العامية حدهما فأطلقت هذا اللفظ على الرجل والمرأة فقالت مجعبر ومجعبرة مع وصل الجيم القاهرة بصوت الكاف الشبيهه بكاف الفارسية وفي الفارسية كما يحكي معجم آردشير في باب الجيم « الجَرْجيل » الغليظ تعريب كرانبال أي الثقيل القامة فهل بين جعبر وجرجيل مع ملاحظة القلب المكاني دلالة اتفاق !

(حدر) والحَدْر والحَدَرة لدى الصحاح الحدقة يقال هو على حدر عينه وحدور عينه .

والتبادل لدى العامية المصرية في حروفها جعل الدال طاء ، ومن ثم وجدنا عربية المنقل تسمى الحنطور وهي عربية فيما يبدو أخذت مسماها فيما يبدو من كرباج يلسع واجهته الحصان الذي يقودها ووجه الحصان كل جزء هو العين .

من هذا الإحساس بدت في بيئات طبقية دنيه عبارة : ادّيله على خطور عينه وهي عبارة عامية مساوية لمراد الفصحى .

(حذر) في الصحاح والحذر التقدير والخرص ، والدلالة مزامها في العامية واضح حين يقال :

- حذر فزر إيه اللي معايا ، حيث التقدير والخرص قائمان وإن ألفت العامية تلك الازدواجية الحاصلة من مفهوم الاتباع « حذر فزر » .

(حصر) حصره يحصره حصرا في الصحاح ضيّق عليه وأحاط به . .

واحصرني بولي وأحصرني مرضي ، أي جعلني أحصر نفسي .

ورغم ربط الكلمة في فصحاها بالضيق والمرض مطلقا فإن هذه الدلالة المتسعة ضاقت في عرف العامية المصرية وأضحت موصولة بضيق الإنسان من حصر الماء حيث يقول وقتها : أنا محصور رايح الحمام - افتح الباب أنا محصور .

(دفر) والدفر في الصحاح النتن خاصة . والذفر بالذال الصّنان وهذا رجل ذفر أي له صنان ومع اختلاف الكلمتين في حدقاء الكلمة بين دال وذال ندرك ان المصرية استغلت المراوحة بين الصوتين ، لأنها تقول في ذهب الفصحى دهب بالدال وقد اطلقت الكلمة بدالها أو بذالها على الرائحة النتنة خاصة رائحة عرق الإنسان ورائحة إبطه ورائحة أكل السمك ، حيث في السمك زفارة رائحة لاتذهب إلا بغسيل كثير ، ولعل تسمية الدواجن والبط والأوز زفر حيث الطهي مرتبط باستقرار رائحته بعد الأكل ونفيها بعد تنظيف كثير . عزمنا الله من نتنة الفول وزفر رائحة المسلمين .

(دهر) في الصحاح ودهورت الشيء إذا جمعته ثم قذفته في مهواه ودهر دهارير ، أي شديد .

ومع أن الدهر زمان إلا أن صروفه أحكمته فأصبحت الشدة ملمح حاله والشدة موصولة بأفعال أهليها كما يقول الشاعر : نعيب زماننا والعيب فينا .

والدهورة من الدهر آخذة هذا الإحساس بسوء الحال من تصاريفه وقد انتقلت الدلالة برمزها إلى العامية المصرية دالة على سوء الحال والمعاش فيقال : أموره متدهورة ، ودالة على المرض الذى يجعل بصاحبه حيث البرء بعيد فيقال : صحته متدهورة خالص .

(سفر) والسفرة بالضم فى الصحاح طعام يتخذ للمسافر ، ومنه سميت السفرة وهاتسمى فى مصريتنا تُشتهى الشىء ليدل على نفسه وعلى مكانه وليدل أعمق على كرم الضيافة المصرية التى رامت الأمرين فقال :

حضروا السفرة أصل جايلنا ضيوف ؟ أى جهزوا مائدة الطعام . وقالت أيضًا : جهزوا لهم حجرة المسافرين التى تستقبلهم للراحة نومًا وأكلا وشربا لأيام .

(شطر) والشاطر فى الصحاح هو الذى أعيا أهله خبثا ، وقد أطلقت كلمة الشطار بهذا المفهوم على جماعة تشبه التراث الأوربى صعاليك العرب أطلق عليهم الدارسون الشطار .

فالفن والحلق والذكاء علامات هؤلاء ومن هنا اتخذت العامية المصرية دليل ذكاء ومهارة وإتقان فعبرت عن المعنى بكلمة الشطارة ، ونادت الذكى فى الفصل الابتدائى قائلة له : قف يا ولد يا شاطر . ولعل الشارع المصرى فى بعض أحيانه قسيرة يجعل المرأة تعامله معاملة النكرة غير المقصودة من غير تنوين قائلة : أنت يا واد يا شاطر .

(شور) فى الصحاح والشوار والشارة اللباس والهيئة . والمكان الذى تُعرض فيه الدواب مشوار ؛ ومن هنا فاتساع دلالة الفصحى جعل الشوار العلامة والرمز وجعله الطريق الخاص .

وفى المصرية استغلال للذهاب إلى مكان عن طريق طويل يجعل المصرى يقول : أنا رايح مشوار ، والغريب أننى كنت أظن أن قول القائل : لاكتب ع المشاوير يقصد بها قائلها الكتابة على الطريق الذى يسير فيه الإنسان لنيل غرضه وصولاً إلى حبيب أو إلى صديق ، غير أنى أدركت أن المدلول فى الأغنية الشامية يقصد الكتابة على المناديل ، وهى كناية من طرف انثوى تحب حبا رومانسيا فترسل آهاتها ووجدها على منديلها الرقيق ملقية به أمام فارس أحلامها كما كانت تفعل فتيات العصور الوسطى ، وقد تأكد ذلك من خلال استخدام لهجة الشام للكلمة الفرنسية مشوا وهى بمعنى منديل ونحن ندرك أن مورد الشامية فيه من الفرنسية شيء ليس بالنادر القليل .

ولكن هل أن للفرنسية واللبنانية والسورية معا إدراك أن كلمة مشوار فى العربية الفصحى هى الشارة واللباس والمنديل من أنماط الشارة واللباس .

الشارة والمكان علامتان على صوغ هذه الكلمة فى الفصحى ومكان عرض الدواب مشوار وفى تسميته إحساس قريب بمدلول الفارسية كما يقول أدى شير ص ١٠٥ .

المشوار ما أبقت الدابة من علفها مُعرّب نشخوار والعلاقة أن الفصحى تقصد المحل والفارسية تقصد الحال وهو العلف الموجود بمكان الدواب .

علاقة مركبة ترددت حول مفهوم الكلمة « اللباس » أوقعتها فى عاميتنا والشارة ولعل الإعلان عن جهاز العروس فى ريف مصر وبخاصة محافظة المنوفية هو الذى جعلهم يسمون الجهاز الشوار .

(طرطر) في الصحاح ورجل طرطور طويل دقيق ، والطرطور قلنسوة للاعرابي طويلة دقيقة الرأس .

والطرطور باعتباره لباس رأسي موجود في العامية المصرية لايلبسه إلا المهرّج أو الأطفال الصغار الذين يلعبون ، وقد بقى أمره إزاء حفلات التنكر . وقد أخذ الشارع المصري من الكلمة الدلالة التي تطلق على رجل لا رأى له تابع لغيره فهو كالطرطور وهو الهايف والطول قرين الهيافة في عامية مصر ، ورجل لايغار على أهل بيته وحرمته .

(عتر) في الصحاح وقد عتر الرجل يعتر عترا بالفتح إذا ذبح العتيرة وهي شاة . والعترة أيضاً قلادة تعجن بالمسك والأفاوية ، وعترة الرجل نسله وأهله الأقربون .

ومدلول ذبح الشاة لاوجود له في عامية مصر وكذلك مدلول القلادة التي تعجن والباقي وهو وصف العترة المنسوبة للرجل يسري في العامية المصرية مدحا ، فأولاد البلد في مصر يقولون عن الرجل المكتمل الرجولة قوة وخلقا : ده راجل عترة بصحيح وقد سمعت أمًا في منطقة شعبية بحي شبرا تنادي على ابنها الغائب قائلة : يا عبد الصمد ياعترة . وفي هذه المنطقة وأحياء أخرى كالحسين والسيدة زينب وعموم الريف في مصر يقصد بالعترة عترة آل البيت الحسين والحسن والسيدة زينب رضي الله عنهم أجمعين .

(عرر) في الصحاح العرُّ بالفتح الجرب وهو يعرّ قومه أي يدخل عليهم مكروها يلطخهم به وعرّه أي ساءه .

فالجرب سوء يحتاج إلى إبعاد صاحبه وكذلك من يقوم بتلطيخ قومه والاساءة إليهم . وفي هذا الجرب والإبعاد لعنيل وقع الكلمة يسري نحو

التضييق في الدلال حيث تتجه الكلمة إلى امتهان الرجل حين يقال عنه :

دا عرّة الرجال والناس

(عشر) وقد عشّرت الناقة تعشيراً في الصحاح ، أي صارت عشراء فالتعشير حمل الناقة والجاموس والبقر ، والمصرية في ريفها الذي يحسب الفلاح فيها جاموسته في قيمة زوجه خلط الأمر لكنما أطلق على بقرته ذلك أطلق هذا اللقب أيضاً على الحامل من النساء .

(فرر) وفررت الشيء حركته في الصحاح والفرفرة الخفة والطيش ، والفرفور طائر ؛ ولأن الخفة سمة الطائر وحركته خفيفة وحيدة حاصل فإن دلالة الوقوع والموت أضحت المسيطرة على العامية المصرية ففيها :

نزل مفرور إما بموت أو بشدة حر يكاد يصل به إلى الموت ، وفي عامية الصعيد أضحت آلة القتل المسماة بالمسدس « فرفر » .

(قور) في الصحاح قوّره واقتوره واقتاره كله بمعنى قطعه مدورا ، وحركة التدوير هي التي بقيت ملاحظة في وجود : المقوار الذي يقوم بتقوير الباذنجان من خلال حركته الدائرية .

(كفر) في الصحاح والكفر أيضاً القرية وهذا أمر ملاحظ في عامية مصر حيث الكفر بلدة أضيق في مساحتها من القرية فالترتيب الموقعي يبدأ بالمركز فالقرية فالكفر .

(نظر) والنظرة في الصحاح عين الجنة ، ورجل منظراني مجبراني ، وامرأة حسنة المنظر والمنظرة أيضاً .

والمتداول في العامية المصرية القاهرة فالنظرة بمدلول عيون الجنة ملاحظة في قول المصري : نظرة يا أم هاشم ؛ أي نظرتك السبيل إلى مراعاة حق المولى ومراعاة حق المولى شفاعة تسلم المؤمن إلى الجنة . والنظرة بمدلول

الرجل الحسن المعجب بنفسه ترتد مدلولا عكسيا فى العامية المصرية فالرجل المنظرة الذى ترى فيه تمام الشكل وخواء المعنى والهمة والرجولة نسخر فى مصر قائلين عنه :

يا عم ده راجل منظره

(هبر) والهبرة القطعة من اللحم فى الصحاح وصدى الكلمة موجود فى مجتمع ريفى أو شعبى بمصر حيث تتصل الكلمة بأكل اللحم فى حالة انتشاء الآكل يقول : يا عم ده اللحم كان هَبّر هَبّر .

وفى التعبير عن المشاركة فى الاختلاس وهذا نقل مجازى يقال :

ده راجل مخدّ له هبّره

(ى) وفى نطاق حرف الزاى :

(وزز) الوز لغة فى الأوز كما يقول الصحاح .

والعامية المصرية حين تفرد الكلمة تؤنثها وتقول « وزة » وحين تجمع تقول الوز بإسقاط الهمز ، وقد كان من بين أعلام النساء فى مصر كلمة « وزّه » وغالبا ما كانت لقبا لتدليل الفتاة المسماة بعزيزة .

وللوز فى عمق المصرى وجود فكما ظهر مرسوما على جدران المعابد وأوراق البردى بان عمقه مثلا فى حكمة المصرى التى تقول :

ابن الوز عوام

(ك) وفى نطاق حرف السين :

(جمس) يقال فى الصحاح رجل جمسوس وهو القصير الدميم ، ويقال هو من جماسيس الناس ويقال رمى بجماسيس بطنه .

والدلالة الأولى التي توحي بالقصر والإطلاق على نوع من الناس أتاح للعامية المصرية أن تستخدم الكلمة بنطق السين صادا ، أو صوتا بين السين والصاد كما في تلاوة قوله عز وجل ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾ فيقال في العامية :

انت قاعد مجعوص كده ليه ؛ أى أن جلستك معيبه فيها خيلاء لم تراع أدب الجلوس .

(حوس) والحوس هو الخلط في الصحاح . ومن المعلوم قرب الحيص من الحيس وهم في العربية إتباعًا يقولون: وقع في حيص بيص ؛ أى في حيرة ، والحيرة كما نفهم قرينة خلط الأمور .

هذا المعنى المرتبط بالخلطة واضح في :

إيــه الحــوسه دى

وكما اتبعت الفصحى وزاوجت صغت العامية قائلة : حوسه ولوصه أى الحيرة والخلطة والحيرة تسلم إلى الكارثة والمصيبة ؛ ومن ثم انتهت العامية من دلالاتها السابقة إلى التعبير عن وقع الكارثة من خلال قولها :

يادى الحوســه

والقول ندب لنسوة لايليق بالرجال .

(دمس) في الصحاح ودمست الشيء دفنته وخبّأته وكذلك التدميس وخصوص الأكلة بالوادى المصرى حيث البلاد لها تبع فإن الفول المدمس يدين هو وآكلوه للفظة الفصحى بالديمومة والبقاء .

(وكس) الوكس النقص في الصحاح . وقد أفصحت عن دلالة هذه الكلمة سينية البحترى في قوله « بيعة وكس » ؛ أى غبن كما نعلم .

والغبن قد يكون من ظلم الغير وجبروته وقد يكون من صنع الإنسان نفسه ، وهذا ما اتجهت إليه الدلالة المصرية وتخصصت حيث يقال فى تهكم وسخرية :

إيه الوكسة اللى انت فيها دى . وجاتك وكسة

(هلس) فى الصحاح الهلاس السل ، ورجل مهلوس العقل أى مسلوبه والمعنى الأول المتصل بدلالة مرض اتجه إلى العامية المصرية لتجعل الرجل الذى تضيع صحته لمباشرة البغايا هلاس فإذا قالت العامية :

الراجل ده بيهلس ، أى يسير سيرا غير حسن يسلمه إن عاجلا أو آجلا إلى مرض .

وإذا قالت : إنه بهلوس لم تتجه به عن مرض خاص كفانا الله شرّه وهو الجنون حقيقة أو مجازا .

(ك) وفى نطاق حرف الضاد :

(رضّ) يقول الصحاح : الرَّضُّ الدقُّ الجريش وكذلك فى المصباح المنير ويقول ابن فارس الرضُّ الدق .

ومع التبادل الصوتى القائم بين الضاد والدال ، أقصد الضاد المأثورة التى أدرك سيبويه مخرجها قديما من الكلام حيث ضاد اليوم ليست بضاد الأمس – مع هذا التبادل فإن التبادل فإن كلمة الردة بالدال فى عامية مصر نتاج طحن وغربلة الدقيق ونخله .

(م) وفى نطاق حرف الطاء :

(عبط) فى الصحاح عبطه الداهية أى نالته ، وعبط فلان إذا ألقى نفسه فى الحرب غير مكره والعبط الكذب الصراح من غير علة .

ويبدو أن الدلالة الأولى لها ظل في الإمساك والإمساك حاصل مؤكد في عامية مصر حين تقول : اضبط الولد ده فلا تكتيف له إلا بعد المسك به ، ودلالة الإبقاء في الحرب دون إكراه أخذت في العامية معنى عكسيا حيث وصم الشخص الذي يرمي نفسه بغير تفكير ولا إكراه بأنه رجل عبيط وفي ذلك دليل على خلل هذا الشخص العقلي مما جعل هذه الكلمة تسلم إلى وسم الرجل العبيط وسم ذاهب العقل المجنون .

(فرط) فرط في الأمر أي يفرُطُ فرطا في الصحاح أي قصّر فيه وضيّعه حتى فات والضياع الناتج عن فعل صاحبه ؛ لأن يده لا تمسك على شيء انتقل بدلالته مثله إلى العامية المصرية انتقال مجاز فتقول عن ضياع المال بغير هدف لدى صاحبه بأنه :

إيده فرطه

والدرجية تكون سبيلا أحيانا للتوسط في التفريط حيث يقال : ايده فرطه حبتين وفي مجال ترك الأم أولادها غير عابئة بهم متزوجة رجلا آخر يقال : دي فرطت في أولادها وقلما تطلق هذه الكلمة على الرجل التارك أولاده .

(قمط) في الصحاح القماط حبل يشد به قوائم الشاه عند الذبح .

والحامل التي ولدت في العامية المصرية محتاجة إلى قماط بعد الولادة يشد به وسطها حتى يشتد جسمها بعد ترهل .

(ب) وفي تعلق حرف العين :

(برزع) يقول صاحب الصحاح البرزعة الحلس الذي يلقى تحت الرحل والمطول موجودة في ريف مصر بمعنى البردعة بالدال أكثر التصاقا لدى الريفي بالحمار والتبادل كما هو معروف بين الفصحى والعامية في حق

الدال وحتى الذال والزاي قائم فذهب تصبح دهب واسم الإشارة (ذا) يقال فيه (ده) .

(جدع) فى الصحاح الجدع قطع الأنف وجَدَاع السنة الشديدة التى تجدع بالمال .

والقطع والشدة الناتج أمرهما عند ندرة المال وإلا أن مشقة لو تلبسها الإنسان دون كلل ودون ضعف ووهن أمكن أن يوصف هذا الإنسان بأنه جدع كما ألفت العامية ، فكل من يتحمل جهدًا لايقدر عليه الغير أو يقف بشهامة فى موقف أو ينجز عملا صعبًا أو يحافظ على كرامته يقال عنه (جدع) .

والكلمة وإن كثر ترددها للمذكر فإن مرادها للجنس عام ففى المصرية يقال :

راجل جدع ، ولد جدع ، بت جدعه ، ست جدعه . وفى نطاق شعبى المدة ... بعض الروايات يطلق على الفتوة الجدعنه وعلى الشباب المفرح الجدعان .

(خرع) الخرع بالتحريك كما يقول صاحب الصحاح الرخاوة فى الشىء وقد خرع الرجل بالكسر أى ضعف فهو خرع . والخريع الفاجرة ، والخراعة المتثوعى الدعارة .

ومع اتساع مدلول إطلاق الخراعة فى الفصحى حيث أصبحت قرين الضعف الناتج غير مرضى والمجاز من خلاعة زاد أمرها فأورثت صاحبها سوء الخلق والأدب - مع هذا الاتساع وجدنا من يبيع عرضه كما هو واضح فى الفاجرة .

لم تأخذ العامية المصرية من الكلمة إلا دلالتها الأولى دون تكثيف لهذه الدلالة فالواد ده خرع أى ضعيف لين لايعتمد عليه وكذلك المرأة الخرعة

دون اتهام لها بفجور . والغريب أن الخاء والعين في كلمة (خلع) اسلمتا إلى شيء مما قامت به الخاء والعين في (خرع) في الفصحى والعامية .

(دلع) في الصحاح دلع الرجل لسانه فاندلع ، أي أخرجه فخرج ، ودلع لسانه ، أي خرج يتعدى ولايتعدى وقال ابن الأعرابي يقال أيضاً ادلع لسانه أي أخرجه ، واندلع بطن الرجل إذا خرج أمامه .

وخروج اللسان واندلاع البطن أمران لايأتيان لإنسان مستو فكليهما خروج عن الشكل الطبيعي للإنسان . فهل كان اشتقاق الكلمة من خلال كسر وآلمها الدلالي منح إيجاد سبيل للربط سلما عاميتنا إلى إطلاق كلمة (دلع) على الطعام الذى لم يضبطه ملحه ؟ وفي عدم الضبط خروج عن مألوف مذاق الطعام .

وفي الترنيم الأدائي الزائد عن الحد لمن يبلغ في دلاله ودله مبلغا يقال : ادلعى يا بنت وقد أفرطت الأغاني الشعبية قائلة :

ادلع يا جمل أى تباه وتمايل أيها الجمل الذى من عرقه الصبر والشدة والتحمل . ومع فرط الغنى والثراء الخارجين عن المألوف وصل الأمر بحاملهما إلى الدلع حيث يقال : حيلة أبيه ومعاه فلوس ما يلمهش ليه !

ومع نقض التربية والخروج عن القيم يقال في موقع سياقي آخر :

ده واد مدلع مش نافع

(صوع) في الصحاح صعت الشيء فانصاع ، أي فرقته فتفرق والتفرق الوارد في الفصحى يسلم إلى تفرق وشتات وضياع حين تطلق العامية على المتلفت الضائع :

ده واد صايع يا عم

(متع) والماتع في الصحاح الطويل من كل شيء، وحبل ماتع أي جيد الفتل ، وكل شيء جيد فهو ماتع .

فالسلامة والاكتمال يدخلان في مفهوم المتع في الفصحى تلك الدلالة التي اختص بها الرجل القوي في المصرية حين يقال عنه بأنه راجل متع ! وكي يزداد تكثيف اللفظ في العامية زاوجت المصرية وانبعث فكان الوصف من خلالها ثنائيا حيث يقال : متع بتع .

(س) وفي تعلق حرف الغين :

(مرغ) وفي الصحاح مرّغته في التراب تمريغا وهو مدلول بدلالته باق كما هو في المصرية التي تقول :

مرّغه في التراب بوقوع الفعل عليه ، أو : بتمرغ ليه نفسك في التراب يا ولد باحداث ذلك من خلال لعب ولهو ، أو : مرّغ باسم العيله في التراب : أي قلل من شأنها مجازا ، أو مرّغ أنفه في التراب كناية عن الذل والمهانة وانتهاك الكرامة .

(ندغ) في الصحاح ندغه أي نخسه بإصبعه ودغدغه ، والندغ أيضا الطعن بالرمح وبالكلام أيضا والدلالة تحوم حول النخس والطعن بالرمح والكلام .

وما زال ظل النخس معنويا وحسيا في المصرية حيث يقال : النخسه بكلمتين يمكن يفوق ، لكن الدلالة السابقة توحي بالدهشة حين يتصل في المصرية بطعم الطعام ونخسة ولوكة بطء إذ يقال : اندغ الطعام كويس ، أي لا تبتلع الطعام بسرعة ، تمهل وابطئ كالبطء الوارد منك حين أكل الندّاغة .

(تشع) والشوع السموط والوجيور أيضاً ، وللمشفة المُفط كما يقول الصحاح والحدث من هذه الكلمات واضح في العامية المصرية بالدلالة الثانية ، خذ نشف الهدوم ؛ لكن السعوط في المصرية أباح مناقضته للهجة السودانية التي أبدلت الغين قافا فاستخدمت وقتها نشق ومنها النشوق ومدرك أن القاف في المصرية تنطق همزة . وفي الإبدال الوارد لهجيا يحكى من باب التندر الذى تثبت فحواه إمكانة التبادل حين قيل :

يا أهل ظفار مالكم تنطقون القاف غينا والغين قافا فكان الجواب ؟

استغفر الله من غال هذا ؟

(ع) وفي نطاق حرف الفاء :

(تحف) والتحفة ما أتحفت به الرجل من البر واللطف وكذلك التحفه بفتح الحاء . هذا المدلول المعنوى اتسع مداه فشمل الحس والمعنى معا في المصرية المعاصرة فلدينا : المتحف بفتح الميم وهو مكان لعرض الآثار المصرية ، ولدينا اللوحة الفنية أو العمل الفنى من النحت والتشكيل أو الديكور الذى يقال عنه بأنه تحفة جميلة رائعة أو بالاكتفاء بتنغيم الكلمة وحدها قائلين : دى حاجة تحفه حتى الصوت البشرى يقال عن حلاوته بأنه تحفة .

هذا الإبهار يتحول في العامية أيضاً إلى مراد عكسى حيث يقال عن إنسان بأنه تحفة آخذين نقيض الروعة متهمين إياه بالبله والخطل وإثارة السخرية عليه . ومن باب السخرية في إظهار النقيض يقال : اتحفنا يا سيدى .

لمن جش صوته وبح ، أو من يتصور جمال حكايته وروعة حديثه مع علم المستمعين والمتلقين ببعده عن ذلك .

(جلف) يقول الصحاح وقولهم اعرابي جلف ، أي جاف وقد انتقل هذا المدلول إلى المصرية ليحمل عدم التحضر في التعامل مع الآخرين والتصرف بغير لباقة ومن ثم يقال لصاحب هذا التصرف : إيه الجلافه دي ، وعلى صاحبها : ده راجل جلف بصحيح .

(سفف) في الصحاح والسفاف مادة من التراب وسففت الدواء بالكسر واسففته بمعنى إذا أخذته غير ملتوت . وتلك الدلالة موجودة في العامية حسيا ومعنويا ؛ ففي دلالة الغلبة مع امتهان المغلوب يقال في المصرية ده انا سففته التراب ، كما بقيت دلالة السف لما يؤكل ملتوتا فتقول الدواء سف السكر وسفة الدواء . وهناك معنى يتناول انتزاع الدواء من غير ماء حتى لا يصل إلى اللثة واللوزتان . وللكلمة صلة بالفارسية في لمعجم أدي شير تحت عنوان السفاف يقول فيه من الدقيق ما يرتفع من غباره عند النخل معرب سبوخة ويطلق السفاف بالعربية على الوحل من كل شيء أيضا فعلاقة التراب وغبار الدقيق المنخول قائمة [illegible]

(كنف) وفي الصحاح والكنيف الساتر [illegible]

ومن المدرك أن للكلمة الأجنبية الدالة على الساتر capino الكابنية علاقة بهذا الأصل . والكنيف في العامية كما هو في العربية ساتر [illegible] شديد الخصوصية والحجب يقضي الإنسان فيه حاجته [illegible] من كلفة [illegible]

ولهذه الدلالة أشكال متعددة تتجه إلى مطلب الراحة والأدب ففي عامية مصر يدل على الكنيف بيت الراحة والراحة بعد قضاء الحاجة غاية وانتهاء وبيت الأدب حيث ضياع الساتر قلة أدب ووجوده لتحقيق الغرض مع أدب .

وفي العامية أيضا تقف كلمة كابنيه أكثر استخداما من كلمة كنيف الآن .

(ف) وفي تعليق حرف القاف

(بطق) والبطاقة بالكسر في الصحاح رقيعة توضع في الثوب فيها رقم الثمن بلغة أهل مصر ، يقال سميت بذلك ، لأنها تشد بطاقة من هدب الثوب .

وهكذا تظهر العامية المصرية ظلا مؤكدا داخل معجم عربي بشرح الدال لدى الجوهري من خلال لغة أهل مصر ، ومن هنا فإحساس التلاقي بين المعجم والعامية المصرية أمر موجود .

والذي يرتد إلى عامية مصر الآن مستحضرا البطاقة الشخصية وبطاقة التجنيد وبطاقة التموين يدرك كيف تحول شكل هذه الورقة وتطور وفي معجم أردشير نجد حوارا حول كون الكلمة مصرية عن اليونانية بمعنى اللوح والورقة والرسالة في مصرية عن الفارسية كما يرى أردشير من كلمة بتك الفارسية وهي بمعنى الرسالة وإن الكلمة مأخوذة من الآرامية .

(علق) والعلق بالكسر النفيس من كل شيء في الصحاح ، وفيه كذلك أن العلقة أيضا ثوب صغير والعلوق ما يعلق به الإنسان والعلوق والمعالق وهي الناقة تعطف على غير ولدها فلا ترأمه ، وإنما تشمه بأنفها وتمنع لبنها ، والعليق القضيم .

وظل الكلمة في العامية المصرية يعتمد على لازم بعض الدلالات حتى كاد المعنى يرتد عكس ما هو نفيس فنحن نصف الرجل غير السوي والمرأة غير المؤدبة وغير السوية بكلمتي علق وعلقه ؛ ولعل مراد الناقة التي تعطف على غير أبنائها أسلم إلى هذه الدلالات التي حادت بالمرأة عن طريقها المشروع ؛ وما زال للكلمة ظل لازم في ريف مصر في إطلاق العليق على الأكل الذي يقدم للبهائم وبخاصة القضيم الذي يرجى استمرار نموه .

(ص) وفي نطاق حرف الكاف :

(دملك) يقول الصحاح : تدملك ، أي الأملس مدور والدملوك الحجر المدور تلك السمات المرتبطة بالأنثية للباحثة عن التدوير والمطلوبة تسربتا للإنسان المدور في العامية المصرية فيقال : شخص مدملك وأكثر ما يكون ذلك في وصف الفتاة الممتلئة المدورة إذ يقال عنها : دي بنت مدملكة . .

(ق) وفي نطاق حرف اللام :

(جل) والجلة في الصحاح البعر وفيه يقال : إن بنى فلان وقودهم الجلة ووقودهم الوالة وهم يجتلون الجلة ، أي يلتقطون البعر . ورحم الله ما كان يجرى في ريف مصر في فطرية تركت أمرها للطبيعة حيث كانت النساء تجمع بعر البهائم المسماة بالجلة لتعرضها للتجفيف الطبيعي وتصلح وقودا لإنضاج طعام لا يدانيه مذاق طعم تهيئه النار من خلال الأجهزة المصنوعة ولم تكن الجلة في مرادها وقودا فقط بل أضحت سمادا يغتني بأثره نتاجه على الزراعة والفلاح .

(زبل) الزبل بالكسر في الصحاح السرجين وموضعه مزبله يقال زبلت الأرض إذا سمدتها وكونه سماد الأرض ما زال موجودا على استحياء بهذا المسمى والزبل مختص بمخلفات الماشية والطيور في المصرية . والقاذورات كلها في المصرية تسمى الزبالة ولها جامع يسمى الزبال ومكان يسمى المزبلة .

ولكنها كلمات انطلقت إلى شكل المجاز فأطلقت في إطار الامتهان على شخوص التاريخ بأنهم رقدوا في مزبلة التاريخ .

(سبل) والسبل في الصحاح السبل أيضا ، وهو أيضا داء في العين شبه غشاوة كأنها نسج العنكبوت بعروق حمر .

هاتان دلالتان لهما قرين في العامية . فقرين الأول العبل الموجود في الزرع وقرين الثاني معكوس دلالي حيث يتحول الداء إلى جمال في عين المرأة التي تسبل عينها أي تكسر نظرها خجلا وولها لا مرضا ، وفي نطاق البلاغة مع الرجل يقال له :

لوق يا جدع انت هاتسبل لي عنيك والا إيه !

وقد انطلق في إطار التغطية والستر كما يقال :

ربنا سايل ستره علينا

(مسلل) والمسلة بالكسر واحدة المسال وهي الإبر العظام . وأين المصرية من هذا ومسلات الفراعنة دليل ارتقاء وحضارة ؟ لكن المسلة لدى عاميتهم المعاصرة تطلق لدى فئة محدودة من الحرفيين موجودة على استحياء الآلف ويبدو أنها في ضمور عن فئة المنجدين الخياطين الذين يطلقون على الإبرة الكبيرة مسلة .

(شكل) ورحابة الدلالة واتساعها يعبر عنها الصحاح قائلا : وأشكل الأمر ، أي التبس . وفي الحديث أن النبي ﷺ كره الشكال في الخيل . ويقال أيضا بالفرس شكال وهو أن تكون ثلاث قوائم محجلة وواحدة مطلقة شبه بالشكال وهو العقال . والشكال العقال وشكلت الأمر وشكلت الفرس بالشكال . والمشاكلة الموافقة ، والشكل بالكسر الدل . .

دلالات في الفصحى تدور بين الشيء ونقيضه حيث الالتباس في أشكل الأمر ، والموافقة التي هي معنى للمشاكلة وبين هذين المتقابلين حدود عقل الخيل أو عقل واحدة من قوائمها . والالتباس واضح في تلمس العامية لهذه الكلمة حين يقال : دي مشكلة كبيرة ؟ أي اختلط حدها ولم يفهم أبعادها ، وفي إطار الإشكال الخلقي بدت دلالة في المصرية حين

يطلق على الشجار الذى تختلط من خلاله الأمور وتتعقد وفى إطار ذلك يقال عن فلان : ربنا يكفينا شره ده راجل غاوى شكل .

(شول) فى الصحاح شُلْت بالجرة أشول بها شولاً رفعتها ولا تقل شِلْت ويقال أيضاً شُلْت الجرة فانشالت هى . وشال الميزان إذا ارتفعت إحدى كفتيه وعاميتنا المصرية تكاد تأخذ مسار الكسر فى الفها وذوقها والدلالة فيها واضحة متعددة فى الاستخدامين الحسى والمعنوى . فمن الدلالات الحسية : شيل القفص والحمل هنا والارتفاع به فيه عناد ومشقة وشيل علبة المصاغ أى احفظها فى مكان أمين بعد حملها وخفة الحمل واضحة والذى يحمل الأثقال والأمتعة سمى فى العامية بصيغة المبالغة الشيال .

أما الدلالات المعنوية فواضحة من خلال أقوال المصريين : شيلنى وشيلك ، أى ساعدنى أساعدك ، كن معى لكون معك حيث العبء يحمله اثنان بالتساوى فيما بينهما ومن الطريف أن تختص المرأة الريفية بشىء يحمى رأسها من الشمس ويقوم بدور المصيع عنها فى الشتاء هو الشال ، والارتفاع به فوق الرأس أحياناً جزء من دلالاته فى الفصحى .

(طلل) فى الصحاح وأطل عليه أى أشرف ، وقال جرير :

أنا البازىّ المطل على نمير

وتقول هذا أمر مطلّ ، أى ليس بمفرد ، والطالّ : الذى مد عنقه ينظر إلى الشىء يبعد عنه وقال :

كفى حزناً أنى تطاللت كى أرى ... قرى قلتىْ مسنح فما تريان

والطل هو الاشراف من عل وهذا ما جعل جريراً الشاعر الأموى يشرف من عل كالصقر على بنى نمير الذى أودى بهم بيته فى هجاء شاعرهم الراعى النميرى « فغض الطرف إنك من نمير » . فقد جعلهم بالحطو صيدا سهلاً له ولغيره .

والنظر البعيد المختلس يقال فيه طل وتطالل

والمصريـــة تعددت فيها أمور الطل حيث أضحى قرين النظر المطلق حين تقول : بتطل علي إيه ، وأضحى قرين رؤيـة الشيء لمتابعته حيث يقال : روحي طلّي ع البوتاجاز أو على الطبيخ ، وأضحى قرين زيارة الأهل : روح طل على ولاد عمك . والطل من الطاقـة نظر خفي فيه اختلاس من بعيد إلـى بعيد والبعـد قد يكون أمراً نفسيا أدركته الفتاة اللبنانية حين غنت : يا إمي طلوع الطاقة ورماني الفل بالطاقة ونـدهني ودل ع الطاقة فالطلة هنا طله الحبيب المختلس ، وقد أعطى المؤدى المصري بحسه المرهف الطله المكون حين قال :

يا حلو صبح يا حلو طل

(عدل) في الصحاح والعديل الذي يعادلك في الوزن والقدر ، والعدل بهذا المضمون أقرب للفصحى حوارية الحديث ثوله في العامية المصرية أخذا من القسط والعدل : ومن الأمور المعنوية قولهم : اعدل أمورك ، اعدل في بيتك ، ومن الأمور الحسية : اعدل جادوه المعجلة ، اعدل المصورة المقلوبة . وعديلي زوج أخت زوجتي فهو عديل لي في ارتباطه بالحما والحماة .

(عول) وعال عيالهم يعولهم عولاً وعياله ، أي قاتهم وأنفق عليهم كما في الصحاح وفي (عيل) أيضاً وعيال الرجل من يعوله وواحد العيال عيّل والجمع عوائل مثل جيد وجياد والمصرية رغم إدراكها لذلك لم تبق إلا دلالة النقص في هذا الجذر حيث يقال :

هو عايش عواله على اخواته البنات   أو ده عايش عـواله علـى مراته

وحين يستصغر المصري الرجل في أموره يقول له : أنت عيّل وقد تطلق الكلمة على الصغير الصبي فيقال له عيّل مع رفضه إياها وتبرمه منها . وفي رحاب الجمع تأتي الكلمة دالة على الكثرة حين تطلق على الأولاد العيال كبروا .

(فتل) في الصحاح وفتلت الحبل وغيره ، وما زال فلان يفتل من فلان في الذروة والغارب أي يدور من وراء خديعته :

والخديعة معتنى باق في المصرية حيث يقال في التدبير لمكيدة : ده اداله فتيله .. ولعل ربطها بالقنبلة اليدوية بعد ذلك بيان لأثر هذه الخديعة التي يفرق دويها وأثرها انفجار القنبلة اليدوية .

(فضل) والإفضال الإحسان هذا ما حكاه الصحاح والمتفضل أيضا الذي يدعي الفضل على أقرانه .

ومبالغة المصرية في الكرم والترحيب جعلت لفظة الترحيب في المصرية :

اتفضل ، اتفضلوا يا جماعة والمبالغة في الكرم جعلت الضيف متفضلا على غرار :

فاقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

هكذا فعلت العامية كما فعلت الفصحى .

(قلل) والقلة في الصحاح إناء للعرب كالجرة الكبيرة وقد تجمع على قلل . هكذا في الفصحى تساوي الجرة الكبيرة وهي في مصر جرة صغيرة ؛ لأن الكبير يقال عنه زير في أماكن وفي أماكن مثل الصعيد يقال بلاص ، وكم حفل المأثور الشعبي في مصر بتمايل فلاحات مصر الجميلات على نهر النيل بالقلل الجرارى ، وكم أضحت مدينة قنا موقع ارتباط بالقلل فلم يبرز موقع في صناعتها مثل هذا الموقع حتى قيل القناوي وأخذها وصلت إلى ماليه الأغاني يامه ، وحين أدرك سيد درويش شعبيتها سارت نغما في قولنا : عظيمة قوي القلل القناوى قرب وخدلك قلتين ، ومن هذه اللحظة اتخذها فنانو مصر التشكيليون إيقاعا لمساحاتهم اللونية .

(ملّ) في الصحاح ومَـللت الخبزة ملاً واملتلـلتها إذا عملتها في الملة واسم ذلك الخبـز المليل والممـلول وكذلك اللحم يقال : أطعمنا خبز ملة . . ولاتقل أطعمنا ملة ، لأن الملة الرماد الحار ، وهو يتململ على فراشه ويتململ إذا لم يستقر من الوجع كأنه على ملة ، والمورد قائم مع العامية المصرية التى أدركت أمرين :

- الملة باعتبارها خبزة وطعاما عند بعض المصريين فى الريف .

- ملّة السرير والمدلول فيها عكسى حيث فى السرير للراحة والسكن إلا على كام حيين هم وكنت فإن ملبه الدالة على سريره تكون ملّة نار .

(تنبل) فى الصحاح والتنبال القصير .

وكم أضحى الصغر مقيتا فى المصرية التى وصمت عديم الفعل والحركة بالتنبل كما هو مدرك فى الإيحاء المأخوذ من قصة تنابلة السلطان .

(تطل) والنيطل فى الصحاح الداهية ونحن فى مصريتنا نتداول ذلك فنقول - ساخرين دائما - تتولش عليه النيطاله والله ما هو نافع - يعنى أنت نطل قوى - عامل نطل ، مستكثرين فى كل ذلك البراعة والدهاء على هذا الشخص .

(نيل) نال كثيرا بمالك نيلا وهو النيل بحر مصر هكذا فى الصحاح .

أين نهر النيـل الآن ، أين فيضانه الذى كان يغمر الأراضى ، أين تضويه والسنوات العجاف ! ترى هل أدركت المصرية « النيلة » وهى الصفية حين يدعو بها إنسان على آخر قائلا له : جتك نيلة .

فالصب الدلالى اتبع النقيض ، اتبع طريق النقص والهلاك لا الخير .

(هدمل) في الصحاح الهدمل بالكسر الثوب الخلق . ترى أين موقع الهدوم في العامية المصرية منها والتي تعني بها مطلق الملابس بحيث راحت إلى بيت أبيها بهدومها اللي عليها .

(هول) والتهويل في الصحاح التفريع ، ومكان مهيل أي مخوف .

والتهاويل أيضا الألوان المختلفة من الأحمر والأصفر والأخضر ، ومدلول الفزع مكسوه في عامية مصر ولم يؤخذ منه إلا العجب من الشيء فيقال : هذه قصة مهوله ودم شيء مهول وعندهم صالة مهوله أي واسعة ، ويقال بطل تهويل أي تخويفنا وتعظيم الشيء أمامنا بما ليس فيه ، فالدلالة قد نابها الارتداد العكسي والضيق في العامية المصرية .

(ر) وفي نطاق حرف الميم :

(برم) والبرام بالكسر جمع برمة في الصحاح وهي القدر ، والقدر ملحوظ في برام الحمام في العامية المصرية وبرم هذه ترجع بنا إلى « شرم » التي يقول فيها صاحب الصحاح :

الشرم مصدر شرمه أي شقه . . والتشريق التشقيق ، وتشرم الشيء تمزق وتشقق . فهل اتباع المصرية ومزاوجتها حين قالت : حالى شرم برم ، وشرم برم ياديل الفار يثير مفهوم اللامبالاة ؟

وكيف تسرب الدلالات السابقة لحلة المعتز بشاربه حين نقول : بارم شنباته فالبرم لف لشعر الشارب وضغط عليه كضغط الأرز على الحمام في برام الحمام .

(برطم) في الصحاح والبرطمة الانتفاخ من الغضب ، وتبرطم الرجل ، أي تغضب من كلام .

وعلاقة ذلك بالمصرية ترجع بنا إلى البرطمة وهي الكلام غير المفهوم المطلق من غاضب وهو مساوٍ لما دلت عليه الفصحى ، فنحن في عاميتنا نقول للغاضب الخائف :

عمّال تبرطم بتقول إيه ، والبرطمان إناء مستخرج من بقية القارورات نحفظ فيه الإدام أو المخللات أو العسل .

(بصم) في الصحاح البُصْمُ ما بين طرف الخنصر إلى طرف البنصر ، والعتب ما بين البنصر والوسطى ، والرتب ما بين الوسطى والسبابة ، والفِتْرُ ما بين السبابة والإبهام ، والشبر ما بين الإبهام والخنصر والفوت ما بين كل أصبعين طولاً .

إن البصمة في عاميتنا تعتمد على الإبهام حيث تؤخذ البصمة منه وهذا محلٌ مخالف لمحل البُصم الذي هو ما بين طرف الخنصر إلى طرف البنصر . فانتقال المكان ملحظ واضح والأصابع في حوزة العامية فيها من الخلط الكثير ، فلدينا الآن بصمة الإبهام وعما قريب ينتقل المجاز كما هو حاصل لنقول : بصمة الصوت ، كما قلنا : لقد ترك بصمة واضحة في عمله في شركته في إدارته .

(بلم) ورأيت شفتين مبلمتين كما يقول الصحاح إذا ورمتا والتبليم التقبيح يقال لاتبلم عليه أمره ، أي لاتقبّح أمره ولعل استحضار صورة الشفتين مع ورود التقبيح يسلمان إلى شكل تقول فيه العامية المصرية للصامت الغامض الغاضب :

مالك مبّلم كده ، ده شكله مبلم خالص .

(حشم) في الصحاح والاسم الحشمة وهو الاستحياء والغضب أيضاً . قال الكميت : ورأيت الشريف في أعين الناس وضيعا وقل منه احتشامي

وحَشَمُ الرجل خدمه ومن يغضب له .

انتقلت هذه الدلالات إلى المصرية حيث أضحى الاحتشام ممثلا فى حياء المرأة وأدبها وقد انتقل إلى حد ارتدائها من ثياب محتشمة لا تبرز مفاتنها ؛ ومن ثم يأتى الأمر :

البسى حشمه . وقد انطلق الاحتشام إلى الأخلاق وأدب الكلام : احتشمى يا بت .

وفي علاقة الخدم أصبح الاتباع والمزاوجة ظاهرة دالة في المصرية حيث يعبر عن يسر الحال والغنى الطاغي فيقال لديه خدم وحشم وهما كما نعلم في الفصحى بمدلول واحد لكن المصرية جمعت فى عبها اللفظين للتكثير والتكبير .

(خرطم) والخرطوم فى الصحاح الأنف وقد اتسعت دلالاتها بعلاقات المشابهة فقيل فى عامية مصر خرطوم الفيل وخرطوم الماء . وقد حدث تبادل فى أعضاء الوجه حيث تقول فتاة من الحرفيين فى مصر : إديله على خرطوم عينه أى اضربه على وجهه فى المكان المؤلم جدا وهو العين .

وكلمة خرطوم الدالة على الأنف فى الفصحى توازيها خرشوم فى الفارسية وهى تعنى أنف الجبل المشرف على واد كما يقول الزمخشري فى معجمه .

(خشم) فى الصحاح الخيشوم أقصى الأنف وقد خشمته أخشمه أى كسرت خيشومه . والضربة التى تفقد الوعى تكون فى الأنف ، وقد كثفتها المصرية بتشديد عين الكلمة تقول : ضربته لما خشمته ، ومكان الأثر الأول هو الأنف وقد عمم هذا الأثر إطار الوجه فقيل : إتهف بالبكمشته فيها ؛ والموقع التشديد فى العين بأن الا حرف الشين يذكرنا بوراء خرشم التى وضحت فى خرشوم الفارسية التى وضعت فى الكلمة السابقة فى إطار خرطوم .

(دوم) دام الشيء في الصحاح يدوم ويدام، دوما ودواما، وأدامه غيره، وقال بعضهم بصوب التدويم في الأرض ويقول: منه اشتقت الدوامة بالضم والتشديد، وهي فلكة يرميها الصبي بخيط فتدوم على الأرض أي تدور. فدلالة الجذر ذاهبة إلى معنى الاستمرار والدوران الحاصل في شكل الشيء، والدوران استمرار؛ لأن الدائرة يعود خطها إلى النقطة التي بدأ منها.

ومجال الكلمة في العامية المصرية أضحى متسعا ثريا حيث تطلق على الجماد والمعنى والإنسان فدوامة المياه تسلم إلى الغرق، وحمل الهموم الثقيلة يمثل عبئا يجعل صاحبه يقول: أنا في دوامة مش عارف أخرج منها، والفلكة التي تدور يقال عنها لدينا بالنحلة وهي دائمة اللف والدوران، فالمصرية أخذت اللفظة التي تعطي إحساس الدوران صوتا وهو طن الذكر لنطق وزن النحلة.

ودلالة الاستمرار أطلقت على الزوجة حيث الديمومة منها مطلوبة، ومن ثم سميت بالمدام، حتى لو كان بين الكلمة وبين مقابلها الإنجليزي صلة mother فلعل اللفظ الأجنبي ألف مسار العربية فأتيناها ثم أتبعناه من باب هذه بضاعتنا ردت إلينا.

أزلية العلاقة رضيت بإطلاق المدام على المرأة المتزوجة، أما دلالة الحدث المستمر فقد أوقعته المصرية موقع السببية حيث يقول المغني: ما دام تحب بتنكر ليه. والدوران الذي لم يأخذ جذر دوم في النحلة أبقته المصرية في ثمرة دائرية تسمى بالدوم يستمتع بها الأطفال.

(رتم) يقول صاحب الصحاح مارتم فلان بكلمة، أي ما تكلم بها وحين تأتي المصرية رابطة الرتم بالإيقاع في لغة المتحضرين الذين يتحدثون عن رتم الأغنية ورتم الحياة، وفي ذلك يعجب الإنسان على أيهما اعتمدت المصرية على الجذر العربي أم المنطوق الأجنبي rirm.

(ورم) ورم الشيء في الصحاح سال وهو ممتلئ ، وأورم على الخمسين أي زاد . فالزيادة والكثرة مركزا الدلالة في هذه الكلمة ، لكن الناظر إلى المصرية لو أدرك أن لسان صاحبه يأبى تحويل الحلق حين يخرجها في صوت قريب هو الزاى يعلم أن إطلاق هذه الكلمة على كثرة المال أو كثرة الورق فيقال : ده معاه رزمة فلوس والفلوس معاه رزم رزم وأحنا عايزين رزمتين ورق وقد تحرك المجاز ليحول كثرة الأولاد التى ينوء بها حمل العائل المسكين تنطق بلسان المصرى مسكين دى معاه رزمة عيال !

(وسم) في الصحاح والرواسيم كتب كانت في الجاهلية ورسمت له كذا فارتسمه إذا امتثله ، ورسم على كذا وكذا أى كتب . .

والرسم تشاكيل كتابى يكون معلما وطريقا ومثالا ، ومن ثمّ أضحى الرسم منهجا ، والرسوم بقايا الديار وهى علامات ورموز . وفى العامية أطلقت دلالة الرسم بعيدا عن الرسم بالفرشاة فأصبح لدينا رسمٌ بالكلمات ورسمٌ بالكاميرا واتسعت الدلالة لرجلنا رسوم الجمارك الباهظة وهى ما يفرض من جزية على سلعة الكفار الداخلة بلدنا ، إذ كيف ننسى أكثر من ذلك ! ووجدنا دفعت الرسوم ، أى مصاريف المدرسة والجامعة .

وأدهى من ذلك يدور طالب الفتاة حولها محاولا الإيقاع بها فى حبه أو زواجه وهو خير أهل لها فيقال : يا هم ده بيرسم عليها وعلى أبوها . والفتوة ابن البلد يأبى لإنسان أن يخدعه بالظاهر فيقول على الفور : أنت حترسم علىّ يالّه والّلا إيه !

(رمم) في الصحاح رممت الشيء أرمّه وأرُمّه رمًا ومرمّةً ، إذا أصلحته يقال قدومٌ شأنه . . والرِّمّة بالكسر العظام البالية والجمع رمم ورمام وهذا واضح من قوله سبحانه وتعالى : « قال من يحيى العظام وهى رميم » . والرمرام ضربٌ من الشجر وحشيش الربيع . أينَ هذه الدلالات مما

استخدمته المصرية شبيها برم التعظيم ، أي نفع الجوع وإخفاق الشبع « يا بني كل زمّ عضمتك ؟ » وأين ذلك مما استخدم في تكيس البناء وإصلاحه : « ده البيت عايز مرمّه ؟ » أي إصلاح ؛ فالدلالة للزيادة والتمام مستخدمة لدى المصرية . ولكن ألم تتسع وتقلب النقيض حيث تكون سبًا آتيا من اتعاظ الإنسان بالمآل الذي سوف يصير إليه بعد الموت بأن يصير جيفة نتنة ومن هنا يقال : « يا بن المرمّة » ، ولأن الجيفة تعافها نفس الإنسان ولا تطلبها إلا شهوة الحيوانات فإن الآكل النهم يخلط ولا يميز يقال عنه « بياكل زي المرم » ؛ ولأن للدليل شبيه لتركيك الشخص الباحث عن الفتاة في طيب منبت الأصل والجمال والخلق يقال له : « ده رايح يرمرم من ألما ... »

(زقم) في الصحاح الزقم أمن طعام لهم فيه تمر وزبد يقال شجرة الزقوم طعام الأثيم ؛ وازدقم الشيء أي ابتلعه ، والتزقم التلقم والزلقوم باللام الحلقوم . وقد ضاقت الدلالة في عامية المصرية حيث أصبحت قرينة الفلاحة الريفية التي تُسمّن أوزها أو بطها أو حمامها فهي تجعل من أوقاتها ... التطعيم المقبلة على الذبح مع ... في زقم حمزة في لسان المصريين .

(زلم) في الصحاح يقال هو العبد زلمة وزُلمة وزَلمه ، أي قدّ قدر العبد ، وقال الكسائي أي حقا ، وقال الخليل : الزلمة تكون للمعز في حلقومها متعلقة كالقرط ... فإن كانت في الأذن فهي زنمة بالنون ، ويرى الصحاح في زنم ما يراه في زلم دلالة . لقد اقتصرت العامية في دلالة هذه الكلمة على ما تعلق بحلق المعز مطلقة إياه على حيوان آخر هو الفيل حيث أضحى خرطومه « زلمه » إذ يقال الفيل أبو زلومه وقد أطلقت لغة الشوام على الرجل زلمه وما كان لهذا الإطلاق من علاقة بالفصحى إلا من خلال نقل الوصف من العبد الأدنى إلى الحر الأعلى .

(سخم) في الصحاح السخمة السواد ، والأسخم الأسود ، والسُّخام بالضم سواد القدر ، وسخم الله وجهه أي سوده ، ودلالة السواد والاتساخ واضحة في مسار الفصحى ، ومن هنا ارتكزت العامية على تكثيف على هذا المدلول فقالت : إنت يا سخام الطين مؤكدة دلالة السخام بالمضاف إليه الطين . وتقول : أنت مسخمط على عينك ، أي يا من أطلق الله سوادا وظلاما على عينك فلم تعد ترى شيئا ولاتعقل شيئا .

(شكم) في الصحاح وفي الحديث إنه عليه الصلاة والسلام احتجم ثم قال اشكموه أي أعطوه أجره وقال قوم شكمه شكما وشكيما عضه . والدلالة في الفصحى تنتمي إلى نقيضين إعطاء الأجر وهو حسن والعض وهو أذى . ويبدو أن العامية المصرية تحركت مع المدلول الثاني المتصل بالأذى حيث وجدنا في العامية اشكمه وفيها يقال : " ده عايز واحد يشكمه وفي هذا إيذاء عام أكبر من إيذاء العض " ويقولون للمرأة الفلتانة التي لا حاكم لها " دي عايزة واحد يشكمها " أي تحتاج زوجا يأمرها فتلين وتطيع ويستقيم حالها ، وفي السيارات ما يخرج العادم بصوت أجش يسمى شكمان . فهل هناك من صلة مجازية بين العض في الفصحى والشكمان في العامية ؟

(شام) الشام جمع شامه وهو الخال كما في الصحاح ويكون علامة حسن إذا ما كان في المرأة ، وهذا المدلول عاش في المصرية دليل حسن وجمال للفتاة ومنه يطرب المغني سامعيه بقوله : الحلو أبو شامه على جبينه قال إيه ماحنش عاجبينه . والحسن المعنوي قائم في الشيم ولاافتراق فيه بين فصحى وعامية .

(طرم) والطُّرامة بالضم في الصحاح الخضرة على الأسنان وقد اطرمت أسنانه ، ولون الأسنان مدعاة لنهوله عليها ، ومن هنا كان كسرها في

شجار تطريا فى العامية المصرية حيث يقال : طرأت أشغاله . فالعلاقة بين الفصحى والعامية الحلو فى كل

(عندم) والعندم فى الصحاح البقم ويقال دم الأخوين . والدم حين ساوى العندم أدركه الموشح الذى يقول : والذى أجرى دموعى عندما ، بفتح العين أى جعلها دماً يسيل ، وقد استطاع المؤلف المصرى فى ذكاء أن يخلط بين الفصحى والعامية محدثاً لبساً باستخدام كسر العين ليتحول الدم إلى ظرف زمانى ليخلق لها حسن الوصل بين شطر فصيح وشطر عامى ويكون الألفة بين الشطرين قائمة والمفاصلة بينهما قائمة فى غير ما ابتذال وذلك حين يقول :

والذى أجرى دموعى عندما كان بحاله وجاتله بلوه من السما

وقد ألفه لنا بين الشطرين حين قال :

وفقت أنت المنى والطلب والله يجازى اللى كان السبب

فالفصحى فى شطر والعامية فى الآخر ومن أراد الوصل دور واحدث الخلطة ومن أراد القطع جعل كل شطر حيزاً مستقلاً يضع الفصحى فى جانب والعامية فى آخر ويكون التصريع مؤكداً للاستقلال .

(عشم) والعشم الخبز اليابس والقطعة منه عشمة ، والعيشوم ما هاج من الحماض ويبس ، وعشم الجلدى ظهرت فى يبوسة الخبز ويبوسة الحماض . وإذا انقطع العشم فى المصرية انقطعت الصلة وجف الحنان . والعامية المصرية تلتمس هذا المدلول سلباً وإيجاباً فتقول : العشم سلبا ويحتال فى وصل المحبة والرضا فتقول : عشمان فيك ولك عشم وياك يا جميل . إن كنت فى الحب تصونه . فتطلب القرب والمودة عشم ويطلب المساعدة حين الحاجة عشم أيضاً فأنا عشمان فى معروفك تحل مشكلتى .

ولست أدري هل اليوسة والجفاف حلتا بمدلول العلمية الواضحة في عشماوي الذي يقوم بتنفيذ حكم الإعدام !

(قزم) في الصحاح القزم بالتحريك الدناءة والقماءة والقزم رذال الناس وسفلتهم فالصغر والدناءة دلالتان مفهومتان من حقل الجذر وهما دلالتان انسابتا في معين العامية المصرية تحكمان معنى القزم الصغير حسيا ومعنويا كما يبدو من قولنا :

هتصارع قزم . ده قزم بين العلماء .

(قشم) والقِشْم بالكسر في الصحاح الجسم يقال أري صبيكم مختلا قد ذهب قشمه ، أي لحمه وشحمه وانشد ابن الأعرابي :

طبيخُ نحازٍ أو طبيخ أميهة دقيق العظام سيئ القِشْم أملَطُ

وما دام القشم اكتمال بجسم وما دام يطبخ فإن هاتف الرائحة يسيل ريق المصري الذي ينتظر سلى لية الخروف أو اللحم كي يأكل القطع التي بقيت منه والتي تسمى قشيما .

(قطم) في الصحاح قطم عضّه وذوقه . والمعنيان واردان في نطاق المصرية ، فالقطع مع الذوق موجودان في قولنا . دوق خدّ لك قطمه .

(لهم) اللهم في الصحاح الابتلاع وقد لهمه بالكسر إذا ابتلعه ، وهنا يدور الحس الصوتي الخاص الذي يسأل هل حرفت المصرية أصوات اللهم حتى أصبحت بمعادلة الميم المشددة الهمّ كما تقول الأم المصرية وهي تطعم طفلها : ممّ هم فتنى الإيحاء تشجعه على الأكل والابتلاع ، أو تقول له : همّ يا جمل . فالابتلاع هنا محدود بخصوصية الطفل وكم من أصوات وكلمات تتحاور من خلالها الأم مدللة ومغيرة من أجل الأطفال .

(هرم) فى الصحاح يقال هو أذل من هرمة . . وفلان يتهارم يرى من نفسه أنه هرم . وبعيداً عن مراد الفصحى هل يكون السب أو العجب إن صح الموجود فى قولهم : يابن الهرمة دليلا على تحايل الآخر وخداعه كما حاول المربى التهارم كى يلويهما وهو صغير !

(ش) وفي تعالق حرف النون :

(ربن) فى الصحاح الأربون العربون ، وهذا يؤكد إمكان التبادل الصوتى بين الفصحى والعامية بل بين الفصحى والإنجليزية Arab وعرب وقد دلت الأغنية التى خلطت بين القبيلين قرانكوآراب .

(حرن) فى الصحاح فرس حرون لاينقاد ، ويقال حرن فى البيع إذا لم يزد ولم ينقص ومعنى عدم الانقياد والطاعة المفهوم من الدلالة الأولى وإن أطلق على الحيوان موجود فى المصرية رجلا وحيوانا فيقال : ده حرن على الأكل للحيوان وحرن علينا للإنسان .

(حين) بعيدا عن الدلالة الزمانية يقول صاحب الصحاح : وحينت الناقة إذا جعلت لها فى كل يوم وليلة وقتها تحلبها فيه ، فمورد اللبن المستمر الدال على الخير والرزق غير المنظور موجود فى حينت الناقة . وقد انتقل مدلول الرزق هنا إلى العامية المصرية ليكون دليل الرزق المادى من جراء العمل كما هو واضح من قولنا : حيته بقرشين كويسين ، ويسأل العامل عن موعد أخذ أجرته قائلا للأسطى : امتى هانتحين بإذن الله ؟

(زبن) فى الصحاح والزبن الدفع ، وزبون المحل فى العامية المصرية ما أضحى زبونا لاندفع والمحل الذى يكثر رزقه هو المحل الذى تكثر زبائنه فالزبون الشخص الدافع للمال .

(ت) وفي نطاق الألف المنقلبة عن واو أو ياء :

(حفي) في الصحاح قال الكسائي رجل حافٍ وقد حفي يحفى حفاء وهو أن يمشي بلا خف ولا نعل وهذا مراد لفظته العامية تماما وأطلقته على الذي يسير حافيا في الشارع دون نعل وأطلقت مراده لتعم به صفة الفقر المدقع وتصم رجلا به قائلة : ده حافي بن حافي ، وكي يزداد الفقر سنة أطلقت على الذي لا يجد طعاما يستر به الجوع : ده بياكل عيش حاف وتسخر منه قائلة : ده مش لاقي ياكل عيش حاف فكيف يقوم بعبء الزواج ، وقد أراد الرجل أن يخطب ود الفتاة بأن يعطيها مرتبه كاملا فقال : يعني المهية من الصراف مع العلاوة على الإنصاف حيكونوا ملك اديكي تضافي وان شالله آكل أنا عيش حاف ، أي غير مغموس .

(حلا) وفي الصحاح الحلو نقيض المر ، وحلوت فلانا على كذا مالا ، فأنا أحلوه حلوا وحلوانا إذا وهبت له شيئا على شيء يفعله لك غير الأجرة

قال علقمة بن عبدة :

ألا رجلٌ أحلوه رحلي وناقتي ... يبلغ عني الشعر إذا مات قائله

والحلوان أيضا أن يأخذ الرجل من مهر ابنته لنفسه وكانت العرب تعير به .

قالت امرأة : لا يأخذ الحلوان من بناتنا

جملة قيم دلالية أعلمت إليها الفصحى منها حلاوة الطعم والهبة الزائدة على حد الأجرة ، ومن المعيب أن يأخذ الرجل لنفسه حلوانا من مهر ابنته ، إذ عليه أن يزيد لأهله بأهله ويكتسب ، وكم منا من يعيب ذلك الآن .

والانحطاط الدلالي في المصرية جعلها ترادف الفصحى لتضيف إليها شيئا فكما كرهت الفصحى أخذ الرجل من مهر ابنته عابت العامية المصرية على الرجل ذلك ، وقد أطلقت الحلاوة على الشيء الذي يحصل عليه وشيء

خاص هو الحلاوة الطحينية وحلاوة المولد والملاحة والجمال وهذا استرسال خواص حيث يقال : إيه الحلاوة دى وقد أمرك أمرها المطرب الذى يقول : ياحليوة ياحليوه يا حليوه فى القلب هواك حليوه . والذى يقول يا حلو صبح يا حلو طل وأطلقت المطربة هذه الدلالة على الرجل فقالت : الحلو فيه تقلان قوى ، ولم يقتصر مدلولها على وصف الفتاة كما قلت فقد قيل فى الرجل أيضا : يا حلاوتك يا جمالك خليت للحلوين إيه . مقابلات للكلمة واستخدامات فى حيز المكافأة على الإخبار بشىء سار يقول فين الحلاوة بتاعتى ، أنا عايز حلاوتى وفى مقابل السمسرة فى البيع بالريف أو الأسواق يقال فين الحلوان بتاعى وقد تنطق دهشة وسخرية وتهكما مثل يا حلاوة !.

(علا) فى الصحاح وعلوان الكتاب عنوانه يقولونه باللام . لاعيب إذا ولا سخرية من الريفى الذى يقول اديني المعلوم باللام قاصدا العنوان .

(قنا) فى الصحاح قنوت الغنم وغيرها قنوة وقُنوه أيضا قنيه وقُنيه إذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة فالاقتناء واضح حيث شراء الشىء للذات لا للبيع مع الحرص عليه . وفى العامية المصرية خصصت الدلالة بالتربية وبخاصة تربية المرأة فأنت تقول عمن ربيته : أقنيته فى بيتى وتلعن الزوجة الشاطرة التى لاترعى حق التربية مطلقا مشركا زوجها فى الذنب قائلا : اخص ع اللى قانيكى فى بيتك .

(قوا) وبات فلان القواء وبات القفر فى الصحاح إذا بات جائعا على غير طعم ، ودلالة القفر جعلت المصرية تستخلص الكلمة للدعاء على من تغضب عليه فتقول : جعلك قوا ، فيرد عليك : قوا يقويك أنت واللى خلفوك .

تلك جملة كلمات كان الحوار بين العامية والفصحى يثبت بعضاً من خلاق وأن الجهة بينهما ليست بمشكلة وأن وضع هذا فى تصور ذلك مثر للدرس الظواهر اللغوية وذلك بأن فى بعض حوار لهذه الكلمات لأن الأعجمى له حضور ؛ ومن ثم فبالإمكان أن يصبح الحوار ثلاثيا والألفاظ الأعجمية فى المعجم العربى وبخاصة الفارسية ليست بالقليل ومعظم هذه الكلمات تتصل بالأشياء التى تمثل ظلالا لحضارة الفرس أكثر من تمثيلها للمبادئ والأحداث والتراكيب فالجذر فى معجمنا عربى لكن صوغه فى بعض الاتجاهات قد يبتعد به عن العربية وقد بانت بعض كلمات ذات صلة بالفارسية وهذه بعض كلمات من الصحاح مرلها فارسى وللمصرية نصيب فى عقد صلة مع هذه الكلمات وتلك بعض نماذج :

(زرب) فى الصحاح الزرابة التى يكثر بها للنز لأن ثقلها بالميم خففت فقلت المزبة وأما المرازبة من الفرس لمعرب ولتأكيد ذلك يقول الجواليقى فى معربه ص ٣٦٥ « والمرزبان الرئيس من الفرس بضم الزاء والجمع المرازبة والمرازب أعجمى معرب » وقد تكلمت به العرب وتفسيره بالعربية حافظ الحد .

والمصرية لا علم لها بما يدور فى الفارسية هناك فقد اقتضبته من الجذر بدلالته العربية الأولى الموجودة فى الإرزبة حيث تحولت لديها إلى المرزبة بالميم بدلا من الهمز وفى ذلك يقولون : ده إيده عامله زى المرزبة بتشديد الياء .

(بردج) فى الصحاح البردج السبى وهو معرب وأصله بالفارسية .. برده . وهنا جيد فارسى لم تستخدمه الفصحى ولم تتلقه العامية المتصلة بالفصحى

(بهرج) في الصحاح البهرج الباطل والرديء من الشيء وهو معرّب يقال درهم بهرج ، ودلالة الرداءة الواضحة رداءة في ظاهر صحة حيث البهرجة مظهر يخفي وراءه سوءا في العامية المصرية ، ونحن نعيب البذخ في غير موضعه فنقول : إيه البهرجة ده .

(بار) والبوَر أيضا الأرض التي لم تزرع في الصحاح ، والبارياء والبورياء التي من القصب وقال الأصمعي البورياء بالفارسية وهو بالعربية باري وبوري ، وتضع تسليتم العامية بدلالة البور في الأرض الزراعية حيث يغضب الفلاح ويقول : هاسيبها بور والله لابورها . والبور هنا فقد للنتاج وهذا ما جعل المصرية تطلق على المرأة التي لاتنجب بأنها كالأرض البور ، والخسران واضح يسلمنا إلى الكلمة المعربة البوار أي الخسران . وفي قهاوي مصر البوري الذي يلجئه أصحاب الكيف من خلال حرق التمباك والغريب أن بها نوعا من السمك يطلق عليه البوري .

(طنبور) في الصحاح الطنبور فارسي معرب والطنبار لغة ويبدو أنه آلة موسيقية والفرس أهل موسيقى ولكن من البادي أن العامية المصرية في ريف الأمس قد استخدمت الطنبور وسيلة دائرية لرفع الماء من الترعة إلى مجاري الحقول .

(كبر) والكبر بالتحريك في الصحاح الأصف فارسي معرب وعامة مصر يرونه نوعا من الخضروات شبيها بالبقدونس حيث توجد تلك الأرومة ذات الحقل الدلالي الخاص (شبت ، بقدونس ، كسبر ، سلق ، جرجير ، فجل ، كرات ...) .

(كزبرة) وهي في الصحاح من الأبازير بضم الباء وقد تفتح وأظنه معربا هذا المعرب هو الكزبرة التي تستخدم للطعام في مسمى العاميات ذات الصلة بالفصحى .

(بوس) البوس فى الصحاح التقبيل فارسى معرب ، والبوسة ما أكثرها فى عامية مصر ، ولاشىء للتشابه بين التلاقى غير البوس والثرثرة .

(سمط) والسميط فى الصحاح فارسية الآجر القائم بعضه فوق بعض ، والفصحى استخدمت السمط وعنونت به سمط اللآلئ والمسمط نوع من أنواع الموشح ، ويبدو أن علاقات العامية استخدمت فى ماكولاتها : السميط وشكله الدائرى يشبه السوار من اللآلئ والمسمط وتشكيلة لحومه والشوق إلى ما فيه يجلب الإنسان كما يجلب اللؤلؤ النساء .

(فشل) فى الصحاح والفشيل المغرفة فارسى معرب والمغرفة فى المصرية المعاصرة الكبشة وبين كبش فش من فشل تلاق صوتى ليس بالبعيد .

(هدم) ويقال فى الصحاح هذا شىء مهندم ، أى مصلح على مقدار وهو معرب وأصله بالفارسية إندام مثل مهندس وأصله اندازه . وتنحو على المصرية تقول هندامه كويس وده مهندم فى نفسه .

هذه بعض كلمات من كثير تخللت فى نطاق الفصحى فصاغتها بذوقها وجعلتها غالبا من قوالبها وقد وصلت إليها عامية مصر فى كثير فكان السؤال بحاجة إلى بحث هل كانت الفصحى وسيطا بين الفارسية والمصرية أو أن الطريق مردود توسيطه .

حوار بين الفصحى والعامية
فى السياق والتركيب

مقصود هذا الحوار ليس تفضيل العامية على الفصحى أو العكس وإنما هو وصف محايد لموقع العامية فى إطار الفصحى ، فهو محاولة لرؤية الثوابت النحوية التى ألفتها الفصحى فى نطاق العامية ؛ ومن المدرك المعلوم أن الذى قرّب العامية وأبعدها عن نطاق الفصحى تركيبيا ضياع ظاهرة الإعراب ، أى عدم وضوح حدّ العلامة الإعرابية باعتبارها عنصرا تتميز به وظيفة الكلمة وموقعها لا باعتبارها مجرد أداء حركى إيقاعى . لأن الصوت الساكن يعطى تصورا إيقاعيا كما تعطى الحركات تصورا خاصا بها ، وإذا كان الأداء الصوتى قد استخلص للسكون قيمة من قيم علامات المضارع دالا على حالة من حالات الجزم باعتبارها قيمة صفرية تمثل سلب الحركة فإنه قد أبقى كثيرا من المبنيات تحت وطأة السكون لا يفترق حتى الفصحى فيه عن العامية كثيرا .

وحين تسلم العامية نفسها إلى قيم الاختزال اللغوى وهى حريصة على ذلك بحيث تستبعد كثيرا من الأصوات محققة مطلب الشارع والحياة ، أى مطلب الوفرة فى المجهود اللغوى ؛ وحين تسلم نفسها إلى نظام أداء وتلوين نطقى يناسب موقع بيئتها وتفاعلاتها فإن العلامات تمثل فى حركتها عبثا لا تطيقه تاركة أمر الإحساس بالوظيفة والموقع والرمز للثابت الذى يحرك مسرحها وهو الموقف والمقام والسياق .

إن فقد العلامة الإعرابية فى إطار تشكيل العامية ميز لها حين مقارنتها بالفصحى ، لكن هذا الفقد لم يأت عن طريق خوف الخلط بين مواقع العلامات ؛ لأن هناك إحساسا غامضا ببقاء هذه الحركات خبيئة مستبطنة لو أريد بعث هذا الخبئ لظهر دون أدنى قدر من العسر والصعوبة ، فنحن لن نستبدل

ضمة بفتحة أو فتحة بكسرة ؛ لأننا بذلك ننزع حركة إيجاب لنوقع حركة أخرى ؛ ولكن الاستبدال هو بعث الصامت الفارغ إلى مزيد إضافة يقتضيها تفصيح الكلام .

إن المبنى على السكون فى العامية المصرية فى قولك للمخاطب مثلاً :

مالكْ ومالى يستحيل إلى فصحى بقولنا : مالَكَ ومالى

حيث تحل فتحة البناء محل الصامت الساكن فى الضمير المتصل مطابقاً للمخاطب . والذى يتابع مسار هذا الضمير فى اللغة العامية فى قولنا مالكُمْ يا جماعةْ سوف يجد أن وفرة فى المجهود النطقى تحققت من خلال اختزال مقطع حققه السكون فالجملة بمنطوق العامية تحسب كماً وكيفاً على نحو :

mal	kum	ya	ga	maa	ʕah
cvc	cvc	cv	cv	cvv	cvc
1	2	3	4	5	6

→

وهى بمنطوق الفصحى :

maa	la	kum	yaa	ja	maa	ʕah
cvv	cv	cvc	cvv	cv	cvv	cvc
1	2	3	4	5	6	7

ستة مقاطع فى العامية تقابلها سبع فى الفصحى مع اختلاف نسبى فى نوع المقاطع

إن ذلك الطريق المقطعى الباحث عن الاختزال وسرعة الإيقاع جعل العامية تهرب من حدة الحركات التى تردد بها الكلام وتثرى من خلالها الكيف ولعل مجموعة من الجمل العامية بنظيرتها فى إطار الفصحى توضح بعض الثوابت

والمتغيرات في حدود العلاقة بينهما ؛ ومن أجل ذلك فنحن أمام جملة تراكيب تنبئ عن ملامح العامية في إطار الفصحى .

جمل عشوائية لم يسبق إليها اختيار :

(أ) لبست م الهدوم دى كتير وفصحاها : لبست من هذه الهدوم كثيراً .

فأين الفروق الواضحة بينهما ؟

كسرت العامية فاء الفعل مع الكسر ألف صوتي لها وحركت تاء الفاعل بحركة كسر مخطوفة واختزلت النون من حرف الجر (من) تخلصا من التقاء الساكنين ، وأخرت اسم الإشارة عن المشار إليه ؛ وهذا يوقع الإشارة في موقع الوصفية وجعلت صوت الثاء في كلمة كثير تاء مع كسر فاء الكلمة .

جملة تغييرات تجعلنا نسأل هل فارقت بهذه التغييرات الحدود المقام ؟

في كسر العامية لتاء الفاعل أخضعت التاء لإلف الكسر عندها وحققت بذلك أمر المجاورة الصوتية التي وضحت من خلال كسر للام والباء والتاء وميم الجر . واختزلت نون حرف الجر (من) مستأنسة بوادي الشعر الذي حبب هذا الاختزال حين قال الشاعر :

ولبست م الإسلام ثوبا واسعا

وقول جميل : وإن أنس م الأشياء ...

وفي تأخير اسم الإشارة عن المشار إليه إضافة دلالية يحتكم إليها البلاغي في بيان أن المشار إليه هو موضع الاهتمام ، وفي بيان القلب الموقعي من خلال الخروج عن باب الإبدال إلى باب النعت حيث تتحرك التبعية فيصبح المتبوع تابعا والتابع متبوعا فقولنا هذه الهدوم مبتدأ عنه بعده بدل وقولنا الهدوم هذه موصوف بعده صفة .

أما تحويل الثاء إلى تاء فتلك مساحة نطق خاصة يسأل عنها الجهاز النطقي الذي لم يلجأ بهذا التغيير إلى المخالفة التامة ؛ لأن بعض الناطقين يحولون الثاء إلى ثاء إذا ما حدث للأسنان فلج ما ؛ فقرب المخرج وموقع اللسان بالنسبة للأسنان مكّن لهذا التبادل أن يكون مقبولا .

ويأتي البحث عن العلامات لنجد الموقف دالا على الإمكانة الصفرية التي تتحرك من العدم إلى الإيجاب ومن الإيجاب إلى العدم ؛ لقد تخيلت العامية وتصورت أن حذف نهايات كلماتها إلى التقييد والبناء ، ومن ثم تصورت أن الفارق بينها وبين الفصحى ليس بالكثير ، لأن كم المبنى في الفصحى إذا ما قيس بالمعرب قليل وأن قسطا من المعرب يتابه التقدير فتوة في أمره الحركات وعلى هذا سألتُ ما قدرة توظيف الحركات لصالح الموقع والوظيفة ؟

سؤال تخيلته العامية وأثارته ومادرت وقتها أن السبيل المميز لحرف لغة عن أخرى يتمثل في خصوصية هذا الحرف وتحقق الاستثناء فيه ، فخصوصية الحرف هنا من ثوابت الفصحى يشبه ثوابت المعتقد والدين ؛ فالعربية وضعت نفسها في مقابل حاد مع لغات العالم قديمها وحديثها بموجب هذه الحركات وقد استقر للعربية تشكلها بموجب استقرار ناموسها المعجز بحيث أصبحت العلاقة بين القرآن والفصحى علاقة التوازن والموازرة فالفصحى طريق إلى القرآن والقرآن طريق إلى الفصحى ومن هنا أضحى استمرار الفصحى مقرونا باستمرار القرآن وهذا حق مؤكد مصداقا لقول المولى عز وجل الذى أنبأنا بحفظ التنزيل وحفظ لغته ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾

(ب) النهاردة الصبح سافروا . ومقابل هذه الجملة العامية في الفصحى : هذا النهار (الصباح / صباحا / في الصباح) سافروا . وهي جملة يقولها والد لأبنائه .

ماتغيرت أمور الفصحى في موقع العامية إلا لبحث العامية عن موقع اختزال يوافق هوى الناطق المصرى الذى استغنى عن هاء التنبيه فى اسم الإشارة والفصحى تقول له لامانع من ذلك فالهاء فى نظامى للتنبيه ولا حاجة إليها فى موقعك وموقفك أيها الأب ؛ فكون الكلام منك لأبنائك تنبيه نفسى أكثر منه تنبيها لغويا . وصيغة الإشارة المستخدم هو« ده » التى هى من مبدلات (ذا) وذال الفصحى تجعلها العامية دالا وفى الإشارة إلى المؤنثة برز للمثال وجود كما ورد للمذكر أيضا وجود « وكى تنطق العامية المشار والمشار إليه معا ألغت حركية العلامات مما أحدث فى التركيب العامى اختزالا نلاحظه من هذه المقارنة بين النهارَ هذا والنهارده .

فالنهار هذا تتفك مقطعيا إلى :

?an	na	haa	ru	han	zaa
cvc	cv	cvv	cv	cvv	cv
1	2	3	4	5	6

والنهارده نلاحظ أولا أن هاءها لا إمكان حول الوصل لها فالناطق منتقل من الدال إلى صاد الكلمة التى يستخدمها ، ومن ثم تتفك مقطعيا إلى :

?in	na	har	dus
cvc	cv	cvv	cv
1	2	3	4

فقد تم الاختزال من خلال توفير مقطعين أحدهما متوسط والآخر صغير ، وقد تحولت المقاطع المتوسطة المفتوحة فى الفصحى إلى مقاطع متوسطة مغلقة ، حيث المساحة الزمنية مع المقطع المغلق أقل من المساحة الزمنية للمقطع المفتوح وبقية التركيب الفصيح محافظ على موقعية الظرف مع بقاء الأمر على صيغته ومن أجل ذلك فإن تحليل بقية الجملة « صباحا سافروا » يتم على النحو التالى :

1	2	3	4	5	6
sa	baa	han	saa	fi	ruu
cv	cvv	cvc	cvv	cv	cvv

وفى العامية تتفك البقية (الصبح تسافروا) التى ضاعت منها الصاد الأولى إتماما للمقطع السابق على نحو :

1	2	3	4
sab	hit	saf	ruu
cvc	cv	cvv	cv

والمقاطع أضحت فى العامية أربعة ؛ أى اختزال فى منطوق العامية تم من خلال الاستغناء عن مقطعين قصيرين قللا من الجهد والكم والزمان . وقد استخدمت العامية « الصبح » مستأنسة بجملة « أليس الصبح بقريب » واستخدمت المضارع دالا على الأمر بحذف اللام مما يوحى بأن لاما للأمر جازمة أمكن الاستغناء عنها كما استغنت الفصحى فى بعض شواهد كقول الشاعر :

محمد تفد نفسك كل نفس   إذا ما زدت فى شىء خبالا

أى لتفد نفسك ؛ ومن هنا فالكلمة العامية « تسافروا » تساوى لتسافروا وهنا إحساس من العامية أيضا يؤكد أن الأمر مقتطع من المضارع فهو قرينه ؛ أليست علامة جزم المضارع هى علامة بناء الأمر .

(جـ) وردك على الخدين حلو ياللى ماشى .

منظومة عامية لو وضعت فى ثوب فصحى لقال صاحبها :

وردك على الخدين يا ماشى (يا الذى تمشى) أنت حلو .

وذلك بإظهار المستبطن ومراعاة علاقات التقديم والتأخير والسماح إذا

استخدمنا (ياماشي) بدلاً مما فيه أل . ويكفي أن نلهث وراء مقاطع الفصحى لنجدها على نحو :

war	du	ka	? a	lal	had	day
cvc	cv	cv	cvc	cvc	cvc	cvc
1	2	3	4	5	6	7
ni	yal	maa	sii	? an	ta	hulw
cv	cvc	cvv	cvv	cvc	cv	cvcc
8	9	10	11	12	13	14

أربعة عشر مقطعية ختامها مقطع طويل مغلق تقابل في العامية الموزونة فلفناه بما يلي :

war	dik	? a	lal	had	deen	hil
cvc	cv	cv	cvc	cvc	cvc	cvc
1	2	3	4	5	6	7
wi	yat	ii	maa	sii		
cv	cvc	cvv	cvv	cvc		
8	9	10	11	12		

فالقائم فيها اثنا عشر مقطعاً يتوسطها مقطع مغلق طويل هذا مع اعتبار أن الفصحى اختارت (ياماشي) بدلاً من (يا الذي يمشي) مما قلل عدد المقاطع .

والناظر في التركيبين بعيداً عن عدد المقاطع يلاحظ في جملة العامية :

- طرح العلامة من الكلمات ورحلة الخدين حلو .
- الاتجاه إلى حمل اللين مداً فكما ألفت مُوت بدلاً من مَوْت وبيت بدلاً من بَيْت ألفت الخدين بدلاً من الخدَّين .
- كسر فاء الكلمة وهو إلف عامي وهذا واضح في نطق كلمة حلو .

- استخدام اسم الموصول (اللي) بديلا من الذي أو أل وهذا يسلم إلى أنها أقرب إلى (أل) حيث كونها مشتركة وهذا ما تحول به (اللي) في العامية التي تصلح للمفرد والمثنى والجمع مذكرا كان أو مؤنثا .
- نادت العامية ما فيه أل وقد كثر لديها ذلك على حين تندر في الفصحى ؛ ولعلها بهذا الاستخدام بررت استعمال الفصحى وأهلته للقبول .

ومع هذه الخصوصيات أغفلت العامية حقا من حقوق الفصحى وهو التنوين والعامية لامحتاجة لأن السكون لديها يقوم مقام ما يحدثه التنوين من سكت وقصم داخلي مع توفير مقطعي كمّي لايحققه وجود التنوين فحلو من غير تنوين مقطعان متوسط ومقيد لكنها بالتنوين مقطعان متوسطان .

(د) سماح ياأهل السماح لوم الهوى جارح

وهي منظومة بالعامية لو أدركتها الفصحى محققة فيها ثوابت النظام لقالت :

سماحٌ يا أهل السماحِ لومٌ الهوى جارحٌ

وكم العامية يتم على نحو :

sa	mash	yah	lis	sa	maah	huu
cv	cvvc	cvc	cvc	cvc	cvvc	cvv
1	2	3	4	5	6	7
mil	la	waa	gha	rih		
cvc	cv	cvv	cvv	cvc		
8	9	10	11	12		

اثنا عشر مقطعا تخللهما مقطعان طويلان مفتوحان .

وكم الفصحى يتم على نحو :

sa	maa	han	yaa	?ah	las	sa	maa
cv	cvv	cvc	cvv	cvc	cvc	cv	cvv
1	2	3	4	5	6	7	8
hi	law	mul	ha	waa	gaa	ri	hun
cv	cvc	cvc	cv	cvv	cvv	cvv	cvc
9	10	11	12	13	14	15	16

ستة عشر مخرجا حققتها الفصحى فبان لدى القارئ كم الاختزال الذى حققته العامية وبان له أيضًا جملة فوارق في التركيب هي :

- اكتفت العامية بالمصدر نائبة عن الفعل دون تنوين للمصدر لنفرتها من التنوين ؛ على حين أن الفصحى نونته نائبا عن فعله ، ولو كان المجرى للنصب لأصبحت المفعولية المطلقة هي الأصل ولو كان للرفع لأمكن وقوعه خبرا مع إمكانة أن يكون نائبا عن الفعل .

هذا هو حوار الحركة وهو حوار وظيفي موقعي يمثل خصوصية وتفردا للعربية .

- اختزلت العامية همزة أهل ؛ وكم من اختزال حاصل للهمز في نطاق الفصحى إما بالتسهيل حيث الكلمات ذئب ، بئر ، رأس تصبح ذيب بير راس ، أو بالإسقاط كما هو وارد في همزة الوصل وهي وإن لم تكن همزة صريحة إلا أنها من وادى الهمز .

- ضياع علامة المضاف إليه وتحويل اللين في لوْم إلى مد وعدم التنوين في جارح وإن مكّن الوقف على هذا المرفوع في الفصحى التسوية بينها وبين العامية حيث إمكان الوقف بالسكون مع التصريح في الأداء بإمكان الاشمام والروم والنقل وهي قيم كيفية تدرك الفصحى أمرها .

(هيا) قاعدين ليه ما تقوموا تروحوا

وهـــى جملة تكثر فى ملاعب الكرة ولو كان لها أن تنطق بالفصحى لكانت :

لماذا أنتم قاعدون هيا قوموا وارجعوا .

مع فهم شبه الجملة من الموقف والإنفعالات وارجعوا إلى بيوتكم .

والفارق الكمى بين الجملتين واضح مقطعيا وهذه بعض دلالات تركيبية فى الجملة العامية :

- تحولت قاف الفصحى إلى همزة فى العامية واختزلت حركة المد فى (قعدين) وقد أدى هذا إلى اختزال مقطعى فقاعدين قا/ع تتحول المقدمة إلى مقطع واحد (قع) ، (اع) . والعامية لم تألف لجمع المذكر الحوار الاعرابى الذى حددته الفصحى تماما حيث الواو للرفع والياء للنصب والجر ، ولأن العامية لاتعتمد الحركات للتوظيف الموقعى فرضت الياء فى جمع المذكر فى كل المواقع قاعدين ، رايحين ، نايمين ، آكلين ، شاربين . فالاختزال المقطعى وثبات صوت الياء علامتان لكلمة (قعدين) فى العامية إذا ما قورنت بالفصحى .

- استخدمت ليه مع وقفة ولو كانت الفصحى موجودة مع الوقفه لقالت «لمه» بهاء السكت ويبدو أن الميم التى تمثل عنصر الاستفهام قد ضاعت فى الفصحى واختت عنها لام التعليل ولضحت الهاء الحيز السابق الذى يشير إلى الميم والياء الموجودة موقع الميم إمالة تألفها لهجة فى مصر وقد تقطعها لهجة السواحلية من سكان الإسكندرية فتصبح الياء أقرب إلى الكسرة .

- استخدمت الأداة (ما) مع مضارع مجزوم للتعبير عن الأمر لأنه من الأفعال الخمسة (ما تقوموا) ويبدو أن (ما) هنا ليست للنفى ، لأن النفى

يناقض الأمر المطلوب فلا النفي من معناها ولا الوصل ولا التعجب فهي أشبه بسكتة واثدة .

(و) بُصّ ، شوف الأهلي بيعمل إيه ؟

وهي جملة تفهم من خلال موقف ومسرح في العامية ؛ لأنها تقال من خلال هتاف جماهيري ، ومفرداتها لاتقرب عن الفصحى وإحكام النظام في الفصحى يصل بها إلى :

بُص انظر ماذا يعمل الأهلي

ومقاطع العامية يلاحظ فيها كثرة المقاطع المنبورة ؛ لأن انفعال الجماهير يعتمد على نبر كل مقطع من مقاطع الجملة العامية :

bus	saaf	?il	?ah	lib	yiʕ	mil	?iih
cvc	cvvc	cvc 3	cvc	cvc	cvc	cvc	cvvc

وفي الفصحى كان البديل :

bus	?un	zur	maa	daa
cvc	cvc	cvc	cvv	cvv
yaʕ	ma	lul	?ah	lii
cvc	cvc	cvc	cvc	cvv

عشرة مقاطع للفصحى في مقابل ثمانية مقاطع للعامية . ولو قارنا تركيب الفصحى بالعامية لقلنا .

- ما جرى على كلمة (بص) في العامية جرى في الفصحى ، وكذلك الكلمة الثانية باعتبار أن علامة البناء الساكنة حققت مثيل وقفة العامية .

- يتضح الخلاف فى جملة (الأهلى بيعمــل إيه) العامية حيث أبانت العامية تأخر أداة الاستفهام وعدم تصورها ، وأدخلت العامية حرف الجر على الفعل ولعلها استأنســت فى ذلك بقول الشاعر :

والله ما ليلى بنام صاحبه

وقد استخدمته العامية بديلا لأداة الاستفهام ماذا .

(ز) ياهلْ اللا ياللى هنا

جملة عامية يقولها داخل المـنزل مستأذنا حتى لايحرج أهليه ولو كان للمستأذن أن يستخدم الفصحى تعالى : يا أهل الله يامن يقيمون هنا !

والمقارنة توضح أن مقاطع العامية هى :

yah	lal	lah	yal	lii	hi	naa
1	2	3	4	5	6	7

ومقاطع الفصحى :

yaa	?ah	lal	laa	hi	yaa	man
1	2	3	4	5	6	7
tu	qii	muu	na	hu	naa	
8	9	10	11	12	13	

ثلاثة عشر مقطعا فى مقابل سبعة مقاطع أمر يؤكد حق الاختزال وفى إطار المقارنة بين التركيبين نلاحظ ما يلى :

حذفت العامية همزة « أهل » تخفيفا وضاع مذاق الهاء فى لفظ الجلالة بين الهاء والمد وهما معا مثلا وقفة داخلية وهى وظيفة صوتية لم تضع من خلالها الدلالة لحماية السياق للمراد ... وظهر الموصول العامى « اللى » فى مقابل (مَنْ)

اسم الموصول المشترك في الفصحى ومن هنا قوبل بمشترك .

(ح) اسم الله عليك ، اسم النبي حارسك وصاينك

وهي جملة فـي عاميتها دعائيـة متواصلة لحفظ المدعـو له ولو سارت هذه الجملة مسار الفصحى لجاءت على نحو :

اسـم الله عليك ، اسم النبي حارسك وصائنك

ومع أن « عليك » في الفصحى تأخذ مدلولا عكسيا حيث المفروض الدعاء له لا عليه ، لكن الكافات في نهايـة كل دعاء اسلمت إلى اثبات الدعاء له وقد يكـون البديل المـناسب كـلمة معـك بدلا من عـليك . والـفارق بين القـولين السابقين من الناحية المقطعية واضح كما وكيفا ، ولا تحمل جملة الفصحى إلا مدلول الدعاء فقط ، أما مدلول العامية فمع موقعها ومنشدها قد تكون للدعاء مرة وللسخرية مـرة وللتعجب أخرى ، أى أن هذه المقاطع يتـحرك كيفها ، أي يتحرك النبـر على كل مقطع من مقاطعهـا وكذلك التنغيم الحاصل لتركـيبها بناء على المقـصود الذي يطلبه المـتكلم ، ففى الجـملة ثراء لماتى لأنها عـن منطوق واقعي .

وما غربت الجمـلة العامية تركيبيا إلا في فقد العلامة وتحـويل حرف اللين في علـيك إلى مد في العـامية واطراح أو غموض هـاء لفظ الجلالة لقـيام المد بديلا عنها .

وأخيراً فهـذه مجموعة من التراكـيب وردت غير بنت اختيـار حين وضعت في مقارنة مع الفصحى بانت عدة أمور :

- فقد الإعراب في العامية باعتبار علاماته مميزا موقعيا .

- فقد التنوين الذى يمثل راحة داخلية فـي مسار الفصحـى وذلك لإحلال السـاكن محله .

- مخالفة التضام حيث التصاق حرف الجر بالفعل في العامية ، وحيث اطراح تركيب العامية اليه بالاستفهام الذى له الصدارة في الفصحى .

- تأخر الإشارة على المشار إليه كثيرا وبخاصة إذا كان المشار إليه ؛ لأنه لو كان من غير أل لقيل ده محمد ، دى بنت جارتنا .

- الميل الواضح إلى كسر فاء الكلمات .

- الميل إلى المقاطع المتوسطة المغلقة (ص ح ص) أو (cvc) .

- إمكان وجود المقطع الطويل بداية ووسطا (ص ح ح ص / ص ح ص ص) أو (cvvc - cvcc) ، والذى يسّر وجوده أن مساحة السكته بعده فى العامية واضحة مما يبرر وجوده حيث تأتى صلاحيته فى الفصحي مع الوقف .

- استخدام اللى موازية لاسم الموصول المشترك فى الفصحى .

- التخفيف الواضح بإسقاط الهمز وقطع المد حين الوصل .

بعض دلالات من الممكن أن يتأسس منها ومن غيرها لو درست ثوابت النحو كالإشارة والاستفهام والنفى والعلمية والضمائر والتبعيه والإسناد فى العامية ، وقتها تصبح الدلالات واضحة ويتقابل نظام بنظام ويبين أن المخالفة ليست حاده وأن هناك نقاط اختلاف ونقاط اتفاق وقبل كل ذلك نستطيع أن نقول عما لاحظناه سابقًا :

إن كل الملاحظات تسلم بمالايدع مجالا للشك إلى تحقيق الاختزال اللغوى الذى هو علامة العامية لغة المنطوق الحى لا المكتوب المدون وقد حقق هذا طريق الاستعمال الذى لكثرة ارتباطه بالكلام يطلب الوفرة فى المجهود اللغوى . إن أمر العامية لن يغرب عن الفصحى تمامًا فالصلة بين القبيلين قائمة إن لم يكن فى تطابق النظام برمته فليكن فى كم غير قليل ، هذا الكم المتصل

بإمكان الفصحى لو ركزت على مستويها في الأداء والنطق والتعليم لكان الإلف بين ناطق الفصحى وناطق العامية قائمًا ولما ظهرت تلك الحدة القائمة لدينا الآن والمتمثلة في الازدواجية الواضحة بين الفصحى والعامية .

هل في متابعة المعجم العامي والتركيب العامي الذي له ظل يصل به إلى الفصحى من ضرر على الفصحى ! ما أظن ذلك فالفصحى جهاز لغوي حضاري معجز له المقومات التي تستقبل المفيد وتترك النافر وما حق للفصحى تطور ولن يحق لها بقاء إلا بهذا الوعي من التفاعل والعناء .

هوامش البحث

١ - معجم تيمور جـ ٢ ص ١٢٩ تحقيق د. حسين نصار .

٢ - السابق جـ ٢ ص ١٠٩ .

٣ - الاعلام للزركلي جـ ١ ص ٢١٣ .

٤ - في اللهجات العربية ص ١٦ الطبعة الثامنة ١٩٩٠ الانجلو .

٥ - لسان العرب جـ ١٧ مادة لسن .

٦ - في اللهجات العربية ص ١٧ .

٧ - علم الدلالة د. أحمد مختار عمر ص ٢٦٣ الطبعة الثالثة عالم الكتب

٨ - دلالة الالفاظ ١٤٦/١٤٧ بتصرف الطبعة الثالثة الانجلو .

٩ - علم الدلالة أحمد مختار ٢٢٧ / ٢٢٨ .

جدول ببعض الرموز المستخدمة

(١) الحركة والصحيح والمقاطع العربية :

يرمز للحرف الصحيح في الأبجدية العربية برمز (ص) عربيا و (C) لاتينيا ، ويرمز للحركة القصيرة بالرمز (ح) عربيا و (V) لاتينيا فإذا ما طالت الحركة رمز لها عربيا بالرمز (ح ح) أو (م) ولاتينيا بالرمز (VV) . وتتحدد رموز المقاطع العربية على النحو الآتي :

نوع المقطع	رمزه عربيا	رمزه لاتينيا
القصير	ص ح	CV
المتوسط المغلق	ص ح ص	CVC
المتوسط المفتوح	ص ح ح (ص م)	CVV
الطويل المغلق	ص ح ص ص	CVCC
الطويل المفتوح	ص ح ح ص (ص م ص)	CVVC

(٢) رموز الأبجدية العربية لاتينيا

الحرف	رمزه	الحرف	رمزه	الحرف	رمزه
الألف	?	السين	s	الميم	m
الباء	b	الشين	s	النون	n
التاء	t	الصاد	s	الهاء	h
الثاء	Ø	الضاد	d	الواو الصحيحة	w
الجيم (الفصحى والعامية)	g	الطاء	t	الياء الصحيحة	y
الحاء	h	الظاء	ð̣	ألف المد	aa
الخاء	x	العين	s	واو المد	uu
الدال	d	الغين	ɣ	ياء المد	ii
الذال	ð	القاف	q		
الراء	r	الكاف	k		
الزاى	z	اللام	l		

الفهرست

الإعلان لو اخلصت للفصحى ٣٧ ، الضيق بالفصحى راجع إلى الضيق من خلال تكلفتها ٣٨ .

القدوة السياسية ٣٩ ، كلمة جيسكار ديستان بجامعة القاهرة ٣٩ ، دور سياسي أمتنا في الحرص على جلاء الفصحى ٣٩ .

معاهدنا ونحو الكلام ٣٩ مرحلة النشأة مرحلة تكوين السليقة اللغوية ٣٩ ، أين حصتا القراءة والإنشاد ٤٠ ، الأستاذ القدوة المبدع ٤١ ، المكتبة المدرسية والإذاعة الصباحية ٤١ ، نطاق الجامعة والموازنة بين إطارى اللغة والكلام ٤١ ، دراسة الأساليب وإنشاء معجم تركيبي ٤٢ ، الوعي بالكلام وعي شمولي ٤٢ .

- الممنوع من الصرف وغربة المسار من ٤٥ - ١٠٦ .

وضوح الصيغة ووضوح علاقاتها يسلمان إلى سهولة النظام ٤٥ ، مسار الموضوع ٤٥ ، التنوين والمنع ، ٤٧ ، نفي الصورة الخطية ليس منعا ٤٧ ، التنوين علاقة تطريزية ٤٧ ، التنوين أعم والصرف أخص ٤٨ ، سيبويه والتنوين ٤٨ ، ابن يعيش والخفة ٤٨ ، التنوين وحروف المد ٤٩ ، التنوين إثراء للواقع اللغوي ٤٩ ، التنوين يعادل سكتة الكلمة في اللغة الإنجليزية ٤٩ . وظيفة التنوين والسكت ٥٠ ، التنوين ومراد الاختزال ٥١ ، التنوين وقيم الزمان ٥١ ، القاضي أبو يوسف واعتراف بحقيقته ٥١ و الثراء الإيقاعي للتنوين ٥٢ ، دامغة جرير ٥٢ ، تنويم الترنم إنشادي لا علاقة للشاعر به إلا لو أنشد شعره ٥٣ ، التنوين للتناسب والضرورة ٥٤ .

دلائل الغربة في الممنوع وخروج النظام عن المألوف ٥٥ ، الازدواجية والمنع ٥٥ ، الممنوع من الصرف ومقاربته مع جمع

المؤنث السالم ٥٥ ، التردد بين دلالتين تسلم إلى كسر المألوف ٥٦ ، مساحات المنع من الصرف في اللغة ٥٧ ، تحليل صوتي ٥٨ ، العلمية والتركيب المزجي ٥٩ ، طريق المزج مخالف لطريقتي الإسناد والإضافة ٥٩ ، اختزال حاصل للمزج ٥٩ ، الخلاف المقطعي بين المزج والإفراد ٦٠ ، المزج والبناء ٦٣ ، وزن الفعل محقق للمنع ٦٤ أصالة الوصف مع وزن الفعل ٦٤ تصور للشبه مقطعيا ٦٥ الموافقة تامة مع اعتبار الممنوع من الصرف موقوفا عليه ٦٨ .

العجمة حواز حسولها الوقسع والمنافرة والذوق ٦٩ ، للموقع والزمان ٦٩ ، طغيان الكلمات الفارسية ٦٩ ، هل أحس المقعد بحدود العجمة جغرافيا ٧٠ ، رأى في قلائد الجمان ٧٠ ، الزمزمة لدى ابن جني ٧١ ، الزمزمة كلام المجوس ٧١ ، أقسام المعرب ٧٢ ، الجواليقي والخلط بين الفارسي والعبري ٧٣ أبو عمرو الجرمي ٧٣ ، الفراء والاسم الفارسي ٧٤ ، الثعالبي والفارسي ٧٤ ، قرب بين العربية والعبرية ٧٥ ، الجواليقي وسياقات صوتية لاتقبلها العربية ٧٦ ابن سيدة واعتبار الأعجمي دخيلا ٧٧ ، بعض كلمات فارسية لها رصيد في عربيتنا ٧٨ بعض كلمات عبرية في رصيد العربية ٨١ ، الأعلام السابقة وقرب موقعها من بيئة العرب ٨٢ ، أسماء الأنبياء ٨٣ ، وصف مقطعي ٨٤ ، تفسير مقطعي لنهاية هذه الأعلام ٨٧ ، وصف لأعلام نابت عن الموقع ٨٨ ، رفض هذه الأعلام لما تملكه من سمات غير موجودة بالعربية ٨٩ ، ربط الأعجمي بمساحة جغرافية محدودة ٩٠ .